# بلاغة الغرب

احاسن المحاسن وغرر الدرر
من قريض الغرب ونثره

عربه من الفرنسية
محمد كامل حجاج
بالمحكمة المختلطة



Choix de poèmes lyriques
et prose d'auteurs français
avec leur biographie.

par

M. Kamel Haggag



طبع بمطبعة التوفيق بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أنشأ الانسان . وميزه بفضيلتي النطق والبيان . ليترجم عما يوحيه اليه الشعور الشريف والوجدان . وصلاة وسلاما على نبراس العلم والعرفان . من خص بالحكمة وفصل الخطاب . وأوتي من جوامع الكلم ماسحر الالباب . حتى ساد قومه مجدا وفخراً . وان من البيان لسحراً .

وبعد فهذه نخب اقتطفها من معجز بلاغة الغرب لترى معشر العرب ما احرزه الغربيون من قصبات السبق في مضمار التحرير والانشاء . وما لهم من سلامة الذوق وحسن التعبير في الوصف والاعراب عن الشعور والعواطف بما يحس به الوجدان دون كلفة

يقع شعرهم ونثرهم على الآذان كنغمات الموسيقى بما يشجي السامع من رقة الوصف وسلاسة التركيب وأوانس الالفاظ وغرر البيان وبعد الكلام عما تعقد من المعاني وخلوه من الخياليات المتشعبة والتنقل فيها بما يذهب

بالسامع كل مذهب فيركب متن الشطط ويصعب عليه الفهم فلذلك يعقله الفكر لاول وهلة دون امعان واجهاد قريحة .

وقد سلكت في تعريب هذه المقتطفات مسلك الامين حرصا على المعاني لابرازها بمشرب الكاتب لنعرف أسلوبه وروحه في الانشاء وصغتها في قالب عربي سهل العبارة قريب التناول لازف الى الناطقين بالضاد عرائس نظم الغرب ونثره رافلة في الحلل العربية وعساني اكون اديت بعض الواجب الاجتماعي وخدمت الناشئة بعمل نموذج لهم للترجمة والانشاء ليجمعوا بين الاصل والتعريب ويعلموا كيف يسيرون فيه ويصوغون المعاني في القالب العربي اللائق بها والذوق السليم الملائم لها . وان ساعدني الحظ وصادف عملي نجاحا واقبالا من معشر قراء العربية شمرت عن ساعد الجد واستمررت في عملي هذا ناشرا اجزاءه تباعا كلما سنحت الفرص وسمحت اويقات الفراغ والسلام

# Victor Hugo

## فيكتور هوجو

كان القرن التاسع عشر طفلا في حوله الثاني حينما تمخضت الايام بمولود ( بيزانسون ) وهو ابن الكونت (سيجيسبير هوجو ) من مشاهير القواد والكتاب الحربيين ثم طوحت به في كل شرق وغرب كحبة تذروها الرياح حيث تشاء .

نشأ من دم بريطاني ولوريني فأصبح هذا الصبي واسطة عقد شعراء القرن الماضي بل امام شعراء الغرب على الاطلاق (١)

ولما ولد في عام ١٨٠٢ كان القريض الفرنسي منحطاً تغلب عليه الضعف حتى كاد يودي به وقد مضى وقتئذ على قتل (اندريه شينييه André Chenier ) الشاعر النابغة ثمان سنين فلم يبق من خيرة الادباء الا ( شاتوبريان Chateaubriand ) فانه أتى بنثر رقيق متين تزينه روح الشعر

(١) كتبت مجلة Je sais tout في عددها الصادر في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٨ ان اثنين من محرريها كتبا الى المشاهير من النوابغ في العلوم والفنون الجميلة في جميع أقطار أوروبا يسألون كلا منهم رأيه عن الامام في الشعر والموسيقى والتصوير وفن وضع الروايات والعلوم فانتخب باغلبية الاصوات فيكتور هوجو في الشعر وبيتهوفن في الموسيقى وبلزاك في فن الروايات وباكون في العلوم

واذا استثنينا بعض الكتاب مثل ( اندريو Andrieux ) و ( كولين دارلوفيل Colin d'Aarleville ) اللذين مهرا في الروايات التمثيلية من نوع ( الكوميدي ) والشعر البسيط المألوف فان الباقي من الادباء لا يصلحون الا لنظم الروايات المحزنة ( التراجيدي ) التي كان يضرب الكل فيها على نغمة واحدة والملاحم [1] الساذجة والادوار المنظومة وغيرها مما تجرد جميعها من سحر البيان وغرر الابداع فكان نصيبها من القصاص ان طرحت في زوايا النسيان

وكان من بين الادباء في هذا العصر من يحسن الوزن وتأتيه القوافي طوعا ولكن نظمه خال من روح القريض ( كديليل Délille ) . ويقال انه كان يفتخر في أواخر أيامه بانه نظم في الابل اثنتي عشرة قصيدة واربعاً في الكلاب وثلاثا في الخيل وستا في النمور واثنتين في القطط وواحدة لكل من الشطرنج والنرد والضامة والبليار وعددا عظيما في الشتاء والصيف والربيع وغروب الشمس والفجر حتى ضل في عدها. ولما ظهر الجزء الاول من ديوان فيكتور هوجو المسمى ( اود [2] وبلاد ( Odes et Ballades ) الذي بدأ به وهو في السادسة عشرة من عمره سنة ١٨١٨ -- سنة ١٨٢٨

(١) الملاحم جمع ملحمة وهي في اللغة الوقعة العظيمة التي يلتحم فيها الجيشان واصطلح عليها المتاخرون كابن خلدون وأطلقوها على المنظومات التي تمثل احوال أمة أو قوم وتفصل تاريخهم ووقائعهم الحربية

(٢) بحران من الشعر الفرنسي ففضلنا وضعهما بلفظهما

كان برداً قشيباً للبلاغة بعد ما بلي ثوبها وبدراً تماً في سماء البيان غاب لظهوره كل نجم ولم يكد يبلغ العشرين حتى ادهش الناس بحميته وحماسته وقوة خياله وغزارة مادته وطلاوة انشائه وانتظام وزنه وسلاسة تركيبه

وقد قويت وعظمت هذه الصفات في الاجزاء التالية من ديوانه وفيها ( الشرقيات ) سنة ١٨٢٩ و ( اوراق الخريف ) سنة ١٨٣١ و ( اناشيد الشفق ) سنة ١٨٣٥ و ( اصوات الضمير ) سنة ١٨٣٧ ( والاشعة والظلم ) سنة ١٨٤٠

وكما انه مهد للشعر سبلا جديدة وحل اصفاده [١] التي رسف فيها حيناً من الدهر فانه اتى بمعجزات المنثور وعنوان البيان وآية البراعة في كتابه ( نوتردام دوباري Notre-Dame de Paris) سنة ١٨٣١ الذي جمع فأوعى من شتات اللغة فكان له القدح المعلى [٢] في دولة النثير كالنظيم

نظر الى فن التمثيل وقد هوى الى الدرك الاسفل من الحطة والعوز فصال عليه واستطال حتى هذبه ورفع شأنه وبعثه بعثاً جديداً

ومن مشاهير رواياته التمثيلية التي سارت بذكرها الركبان وسحبت على غيرها ذيل النسيان ولم تفارق للآن اعظم المراسح ما وضعها شعراً مثل ( ايرناني ) و ( ماريون دولورم ) سنة ١٨٣٠ و ( الملك في لهوه ) سنة ١٨٣٢ و ( روى بلاس ) سنة ١٨٣٨ و ( ليبورجراف ) سنة ١٨٤٣ وغيرها . وما

(١) جمع صفد وهو القيد

(٢) السهم السابع في الميسر وهو افضلها واذا فاز حاز سبعة انصباء من الجزور

كتبه نثرا مثل (لوكريس بورجيا) و (ماري تودور) سنة ١٨٣٣ و (انجيلو) سنة ١٨٣٥ وغيرها وقد كتبها بنظم محكم السبك ونثر متين الحبك

وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤١ ومنح رتبة (پيردو فرانس) سنة ١٨٤٥ ثم خاض غمار السياسة الى ان صار رئيساً لحزب الشمال الديموقراطي وخطيبه الاعظم. ثم حارب ضد لويس بونابرت فحملته يد الاستبداد سنة ١٨٥١ الى بروكسيل حيث نفته هناك ثم انتقل الى چيرسي ومنها الى جيرنزي (وهما جزيرتان انكليزيتان في بحر المانش) ولبث في منفاه ثماني عشرة سنة ولم يرجع الى وطنه الا في سنة ١٨٧٠ حيث بر بقسمه بان لا يطأ ارضه ما قامت لعرش الملك قائمة

ولقد اسعده النفي بنفحات مدهشات البيان فراق له جو الخيال واوحت اليه الموجدة ببدائع البدائه واحاسن المحاسن فزف الى القراء من بنات افكار النظم والنثر ما خلب العقول وسحر الالباب فنظم كتابه الذي وسمه (بنابليون الصغير) وكتاب (العقوبات) سنة ١٨٥٣ فكان كافعى تنفث سما زعافاً فاغرة فاها نحو نابليون الثالث. ولم يجر يراع كاتب في الحقد والضغن بمثل ما اتى به قلمه في هذا الكتاب. ثم وضع كتاب (المشاهدات) سنة ١٨٥٦ و (سير القرون) سنة ١٨٥٩ وهو من ابلغ ما خطه بنان الشاعر. حشر فيها سير القرون الخوالي من اغلب الامم مما يدل على سعة اطلاعه في التاريخ واظهر فيها رقي الامم من طور الى طور وتدرجهم في الكمال ثم كتاب (البؤساء) سنة ١٨٦٢ وهو نثر وخير ما

كتب في درس الانسانية والحياة الاجتماعية مما تذوب له القلوب حناناً ورحمة وتذرف لهول بؤسه العيون الجامدة دماً ومالم يستطع كاتب ان يأتي بمثاله او ينسج على منواله و (عملة البحر) سنة ١٨٦٦ و (الرجل الضاحك) سنة ١٨٦٩ و (ثلاث وتسعون) وغيرها

ولما آب الى وطنه بعد سقوط المملكة وضع كتاب (العام الاسود) سنة ١٨٧٢ ثم الحلقة الثانية من (سير القرون) سنة ١٨٧٧ والحلقة الثالثة منها في سنة ١٨٨٣ و (تاريخ جناية) وقد ذكر فيه حوادث الهيئة الاستبدادية وغيرها من كتب تاريخية وفلسفية وقصصية ورسائل وافكار وخواطر وصار من رؤساء الحزب الجمهوري وكان يطربهم بخطبه الشائقة في العدل والانسانية والتقدم الادبي والاجتماعي الى ان توفى بباريس سنة ١٨٨٥ وهو في الثالثة والثمانين من عمره ومشى في جنازته الوف مؤلفة مما دل على عظم مكانته في قلوب قومه وتمجيدهم له

## Napoléon II

### نابليون الثاني (١)

سنة ١٨١١ : — عام وما ادراك ما العام ماجت فيه أمم لا يدركها الحصر وقد اضجرهم الانتظار وفنى منهم الصبر . يظلهم غمام مكفهر . مبتهلين الى الله ان يستجيب دعوتهم وينيلهم أمنيتهم

وكانوا يشعرون ان هذا الملك الواسع الاكناف المترامي الاطراف يميد تحت ارجلهم رعباً ويرتعد خشية ورهباً محدقين بابصارهم الى قصر اللوفر وقد زمجر فوقه الرعد حتى كاد يدكه كطور سيناء . مطرقين بجواد بصر بصاحبه يقول بعضهم لبعض ستتمخض الايام بمولود ذي شأن ينتظره هذا الملك العظيم ليليه ويأخذ بزمامه

ليت شعري ما الذي اعده الجد لهذا الرجل الذي يفوق قيصر ورومية ومن سيضيف حظوظ البشر الى حظه فيسعدون بسعده ويشقون بشقائه

(١) هذه القطعة ترجمها المرحوم الفاضل نجيب أفندي حداد بعنوان ( المستقبل لله ) ولكنها مخالفة كل المخالفة لهذه الترجمة واني اتوسل الى القاريء ان لا يتسرع بتوجيه اللائمة اليّ قبل ان يراجع الاصل الفرنسي

وبينما هم يتحدثون اذ انقشع الغيم المربدُّ [١] واشرقت السماء رافلة في حلتها اللازوردية . يتلألأ في كبدها بدر هذا المولود الذي اختاره القادر ليقبض على صولجان هذا الملك الفخم. فما كان لهذا الشعب الصاخب [٢] الا ان صمت واستكان لظهور هذا المولود في عالم الوجود

نفحت ريح هذا الرضيع في قبة دار العجزة [٣] تخفقت فيها الاعلام المسجونة واهتزت كالسنابل حركتها الرياح . وكان صياحه الرخيم هو الذي اطلق من المدافع المتربعة ببابه اصواتها المزعجة

نفخت الكبرياء بعرنين والده الاشم [٤] . وكان مطبقاً بذراعيه على صدره ثم فتحهما . تحوط يده ابنه الذي تنبعث من عينيه انوار اضاءت ما حوله وارتد عنها كل طرف كليلا

***

ولما عرض الاب وارث عرشه على رؤس الاشهاد من أمم تابعة وملوك خاضعة هاجت به شجونه [٥] ونظر شزراً وازدراء لمن حوله من الملوك اذ لم يرَ غير ابنه كفؤاً لهذه المملكة الشاسعة كنسر حط من علٍ [٦] فوق قلة [٧] صائحاً مستبشراً بصوت ملؤه الكبرياء والعظمة: المستقبل لي

(١) المتكاثف (٢) من الصخب اي اللغط والجلبة (٣) دار عظيمة من الآثار المشهورة بباريس وبها بقايا نابليون الاول (٤) اي الانف المرتفع بحسن كناية عن الانفة وعزة النفس (٥) الهموم والاحزان (٦) اعلى (٧) قمة الجبل

وحدي وطوع بناني! كلا ثم كلا فالمستقبل ليس لأحد بل لله الواحد القهار ولا تمر ساعة الا وتودعنا الكائنات . المستقبل سر مكنون والارض وما عليها من مجد وسعادة وقوة وتيجان ونصر متنازع لطمع اشعبي حقيق. وهذه المنح كلها عواري[1] كطير حط على دورنا فما هو الا لمحة ويطير

مهما بلغ المرء من الحول والقوة ومهما ضحك وقهقه او بكى واعول لا يستطيع ان يطلع على الضمائر والسرائر ولا ان يقضي على احد قبل اجله وساعته

* * *

أيها الخيال الاخرس والطيف الملم يامن هو اتبع لنا من ظلنا يامن يدعونك الغد

انما الغد حارت فيه الافهام . وضلت في مفاوزه الظنون والاحلام . يبذر الانسان السبب فينضجه القادر غداً فيستحيل من عالم الذر الى عالم الظهور والقوة . غداً برق محتجب . ونجم مستتر في السحب . وخائن يزيح الاثام . ومنجنيق يدك الحصون والمعاقل . وكوكب ينتقل من منطقته وباريس تتبع بابل . غدا تنوب[2] العرش واليوم يحمله ! غدا جواد يخوض المهامه مرغياً مزبداً . غداً أيها الفاتح تلتهب موسكو في الليل الحالك

(١) جمع عارية وهو الشيء المستعار

(٢) نوع من الشجر يريد تحول عرشه بعد العبث به الى خشب عار مما كان يزينه من القطيفه

كالمصباح في يد المدلج . غداً تغطى جثث حرسك القديم السهول والبطاح . غداً واترلو . غداً القديسة هيلانة. غداً الرمس !

انك لتستطيع ان تطأ المدن بسنابك خيل فرسانك. وتحل مشكلات الحروب بصمصامك . وتسد نهر التاميز والنصر حليفك بحولك وقوتك . وتحطم الابواب المغلقة بسطوتك وقدرتك. تملا بنشوة الظفر. يرنح عطفيك صوت نفيرك . ساحباً ذيل النسيان على كل صيت طائر

أمد الله في أيامك . انك لقادر ان لاتترك من الارض ذراعا . وان تنزع أوروبا من شارلمان وآسيا من آل سام ولكن هيهات ان يخضع لك الغد الى الابد

*
* *

يا للنائبات الواعظات ! — لما أخذ شبل هذا الاسد تاج رومية بدل اللعب حتى ذاع شأنه . ولما أظهره أبوه للملأ وجبينه الملوكي يهتز دهشوا لعظمة هذا الصغير وهيبته

وقد ظفر والده لاجله بوقائع عديدة وفتوحات عظيمة فجلس بجانب سرير طفله مبتسما بادي البشر . وقد كان كبان يعرف كيف يؤسس بناءه اذ أجهز على الدنيا بضربة معول فأقبلت خاضعة طائعة حسب أمانيه

ولما أتم الوالد ما أعده ليمهر الطفل الحقير بالعظمة الدائمة . هيأ له قصراً وطيد الاساس متين الدعائم ليحفظ حياة ابنه من العوادي والغوائل

ولما ظمىء النسر وجد امام فرنسا كاساً مفعمة [1] بخندريس [2] الامل وقبل ان يدني هذا السم المموه من شفتيه ويذوقه انقض فارس من القوزاق على الطفل انقضاض العقاب على الظبي وأردفه خلفه على الجواد وفر كالسهم قذفته القوس

وفي ذات ليلة كان المضرحي [3] صافاً [4] في القبة الزرقاء اذ اكتنفته ريح صرصر عاتية كسرت جناحيه فهوى الى الغبراء هوي الصواعق وانقضت عليه الذئاب الضارية عند وكنه تتقاسمه وتنهشه بانياب حداد . فكان من نصيب انكلترا القشعم [5] والنمسا الهيثم [6]

لم يغب عنك ما فعل بهذا العظيم الهائل فقد زج به في أعماق السجون ست سنين وراء أفريقية والبحار

النفي ممقوت كافر ! — كان هذا البطل العظيم متربعاً في قفصه منحنياً تلعب أسنانه بركبتيه . ولو كان قلب هذا الطريد خلواً لكان أنعم بالا . ولكن قلوب الآباء لهي قلوب الآساد اذ كان ابنه آخذاً بشغاف قلبه . ولم تبق له الدنيا الا ذخيرتين في عرينه صورة ابنه وخريطة الدنيا وبعبارة أخرى مرمى فكره ولبه وجميع قلبه

وفي المساء كان يسرح الطرف في مخدعه اذ كانت تدور في رأسه

(١) اسم من أسماء الخمر (٢) مملوءة لحافتها (٣) النسر العظيم (٤) من صف الطائر اذا بسط جناحيه في الهواء وسكنهما فلم يحركهما كما تفعل الحدأ والرخم (٥) النسر القوي (٦) فرخ النسر

الصلعاء أعماله وفتوحاته الماضية. وكان السجانون والديادبة له بالمرصاد ليل نهار ليقرأوا مايرتسم على جبهته من الفكر والآمال

ما كان يفكر ساعتئذ في ملحمة كتبها بظبة حسامه. اذ يصف اركول وأوسترلتز ومونميراي [١]. لا ولا الاهرام وباشا القاهرة وصافناته الجياد التي عضضن صدور خيله. لاولا الجلل والمدافع التي لبثت تحت قدميه عشرين سنة واذكت الوغى بقتامها وسحبها السود. ولما هبت ريحها على هذا اليم الهائج كانت الاعلام الخافقة ماثلة في الملحمة الشمواء

لا ولا مجريط [٢] او قصر الكرملين [٣] او الفنار. لا ولا موسيقاه تعزف في الصباح لا يقاظ الجند. لا ولا جنوده المعسكرة في السهول من خيل ورجل بملابسهم الحمراء كزهور ارجوانية نابتة في حقل من الحنطة

بل كان شغله الشاغل عسجد شعر طفله الجميل وورد خدوده وهو نائم مطمئن بفم يكاد ينطبق وهو كالشرق في بهائه وحسنه. وقد انحنت عليه مرضعه متهللة تلقمه ثديها ضاحكة.

رزح الوالد تحت اثقال همومه وشجونه وقد تيمه حب ابنه فأسند بمرفقيه الى كرسيه وهاجت بقلبه تأوهات مستعرة فتفجر الدمع من آماقه واسترسل على خدوده. —

---

(١) الوقائع الحربية التي انتصر فيها نابليون (٢) الاسم العربي لعاصمة اسبانيا المعروفة بمدريد (٣) كان هذا القصر مقرا للقياصرة بموسكو

بوركت [1] من طفل مسكين أثلجت شعوب رأسه . وانك وحدك القادر على تسلية ابيه وعزائه لملك ضاع وافلت من بين يديه

* * *

أناخ الدهر بكلكله على النسر وفرخه فالحقهما بخبر كان . فياله من زمان قاس ابتدأ بقهار الجبابرة . وغلاب القياصرة . ثم ختمه بعظام رفات نخره . وقد كفت عشر سنين لنسج اكفان الاسد وشبله

احتوى اللحد مجدا وصبا وكبرياء . والمرء يود لو يترك له الموت خلفاً ولكنه لا يسمع له نداء . وكل عنصر يرجع لاصله فالهواء يأخذ الدخان والارض الرماد والنسيان الاسم

* * *

ياالهياج والاضطراب الذي اجهله وانا احقر الملاحين اذ لا ادرك كنه ما يعمله القادر في الغياهب تحت اللجج [2] الهائجة الحاقدة عليك الهازئة بك . واسرار الخالق غامضة يضل فيها النهى . ليت شعري اهذه الامواج الثائرة . واصوات هذه الحفر المرة المزمجرة . وهذا التيار الدوار بمخالبه الهائلة . والبرق ولألاؤه . والرعد وقصفه ودويه . اليست الهم صالحة لدرر البحار ؟

وهذه الانواء والعواصف المخوفة لترتعد امامها الخلائق من امير وحقير . ياللبم من اعمى اصم اضل من شعب ثائر هائج . وماذا ينفعك

---

(١) انتقال في الكلام والمتكلم الآن هو فيكتور هوجو (٢) جمع لجة وهي الامواج

نشيدك ياشاعري واغانيك التي يمليها عليك الخيال ويرددها الصدى في هذه اللجج الحائرة المضطربة وقد صمت آذانها فلا تسمع لك نداء ولا غناء ويذهب صوتك صرخة في واد

وانت ايها الطير المسكين الذي تتقاسم ريشك الرياح وانت تغني فوق زبد ذلك الجبار العتيد على سارية جارية (١) ضلت سبيل النجاة ! ليل طويل . وعذاب مستمر ! وسماء مكفهرة لا يرى بها وكن رائق . وقد اختلطت الاشياء بالناس اختلاط الحابل بالنابل (٢) وهووا في مهاوي الفناء وابتلعهم الخضم الغشمشم فكانوا من المغرقين

كل من عليها من ملوك وامراء ونابليون العظيم والصغير طوتهم الارض في جوفها طي السجل للكتب ومحتهم كما تمحو اللجة اللجة . وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

---

## Le Naufragé

### الغريق

واأسفا للمرء المسكين تلعب به الكائنات والعوالم لعب الشمال بالشجر . ثم تفترسه كالسنور يلاعب الفارة ريثما تنبه منه شهوة الطعام ثم يمزقها كل

(١) سفينة (٢) مأخوذ من المثل العربي التبس الحابل بالنابل اي سدى الثوب باللحمة واما الواردة في المثل الآخر ثار حابلهم ونابلهم فمعناه الصائد بالحبالة أي الشبكة والرامي بالنبل ويضرب الاخير للقوم اذا تقلبت احوالهم وثار بعضهم على بعض

ممزق بانياب حداد واظافر كالاسنة . تصعقه الزرقاء[١] وتبتلعه الغبراء[٢] ضعيف تعس منكود . ولدمحاطا بنحس يثقل كاهله . ويحني عاتقه . يسترشد عقله فيضله ويغره . وان أبرق له الالهام ببعض اشعة ضئيلة ليهتدي بها في حنادس ضلاله . ادركها القضاء الغامض فطفق يجالدها وتجالده حتى تنطفىء وتنعدم

أنعم النظر في البحر واعطف على رابية من الصفا ناتئة من الماء فوقها كوخ حقير لصائدي الاسماك . عرشه من بقايا السفن التي حطمتها الامواج الثائرة . يحيط به الماء احاطة السوار بالمعصم . وتضمه اللجج ضما عنيفا كالافعوان[٣] يلتوي على فريسته ببأس حتى يكاد يهشم منها الاضلاع . تود لو تزعزع الصخر من مكانه لتفترس الصائد

انكمش هذا البائس الضعيف في كوخه فاصطلحت عليه الانواء والاعاصير فلم يستطع ان يبرح مكانه ليكدح لرزقه . عظم واتسع امامه المحيط لينصب له شراكه . اكفهرت السحب نخاف منها كل نسر قشعم . واسود من الفضاء الاهاب ثم اومض البرق وقصف الرعد وصفرت العواصف وهاجت الامواج وطفقت تحطم في جدار هذا المنكود . وما وراء هذا الفضاء وعظمته والليل وظلمته الا الحتف المميت

ماذا تفكر ايها الشقي البائس لتنجو من مطاردة هذه العوالم الحاقدة عليك وانت عدوها الالد . أتتخذ لك نفقاً في الارض ام سلماً في السماء .

(١) السماء (٢) الارض (٣) ذكر الأفاعي

اتراك تستطيع الصعود وقد حالت دونه العواصف والانواء وانى لك وانت ترتعد مكانك من هول المنظر . واني لا اخالك الا مقبوراً ضليلا طريداً . ليت شعري كيف تنازل هذه القوى العظيمة التي مالها من نفاد وانت اسير حفرتك

حسبك دفاعا مع العظمة التي أقبرتك في كوخك وأهاجت عليك السماء وما حوت والارض وما وعت حتى اغبر وجه الكون عليك اسفاً واظلمت الدنيا حداداً . فاخضع ايها الغريق للقضاء واستسلم لهذا اليم الجبار العتيد .

وهذه الشمأل [١] العاتية التي أوشكت ان تقوض اركان مأواك . وهذا الوابل الذي كاد يجرف ذراك [٢] . وتلك الغياهب التي تهلع لها القلوب . تبذل الوسع لمحوك وفنائك . وهذا الليل المقبل بالويل . الذي ترتعد منه رعباً سيصب فوق رأسك الاعاصير الهوج [٣] مع الظلمات . فاجمع اعضاءك والتصق بالارض وطأطيء رأسك لما يهب فوقها من العلى دون ان تسائل السماء المعتمة عن السبب . ودع الهلاك يسيل فوق أعضائك التي تثلجت من الهول . اذ لا قوة لك ولا حول

---

(١) ريح الشمال (٢) بمعنى البيت (٣) جمع اهوج ويقال إعصار اهوج وريح هوجاء وهي التي لا تستوي في هبوبها وتقتلع البيوت

Pour le sable comme pour la femme il y'a une finesse perfide

ان للرمال للينا خائناً كلين النساء

يشاهد في بعض المواطن من شواطئ بريطانيا الفرنسية واسكتلندا ان المسافر أو الصائد يأخذ طريقه في مستنقع بعيد عن الشاطئ لا يكاد يظهر ماؤه على الصعيد (١) فيلاحظ بغتة انه منذ هنيهة يحس بثقل قدميه وان العراء (٢) تحتهما كالقار (٣) تلتصق به نعلاه. بيد انه لم يصادف بللا في طريقه ينذره بما يضمر له من السوء هذا الرمل الناعم الذي يفوق في الفتك خضراء الدمن (٤) وكلما خطا خطوة غارت قدمه قليلا وتركت أثراً لا يلبث ان يمتلئ ماء. نبع هذا الماء لينذره بسوء المنقلب ولكن أسبل القضاء على عينيه ستراً فلم يبصره. امامه الشاطئ الرحب سهل ساكن لا يفرق بين صلبه ورخوه فأخذ يواصل سيره ليبلغ الشاطئ. كاد يعتريه القلق. ولأي امر يقلق؟ غاية ماهنالك انه اخذ يشعر ان قدميه تزدادان

(١) وجه الارض (٢) المكان المتسع الذي لاسترة به (٣) الزفت

(٤) مأخوذ من الحديث الذي ذهب مثلاً: اياكم وخضراء الدمن أراد بها (المرأة الحسناء في المنبت السوء) والدمن جمع دمنة وهو ماتدمنه الابل والغنم من ابعارها وأبوالها فينزل عليه المطر فينبت كلأ قوياً نضراً لانه امتص هذه الاسمدة فتأكله الانعام فيضرها ويمرضها

ثقلا كلما خطا خطوة • وعلى حين غفلة يجدهما غائرتين في الرمل اصبعين او ثلاثة • أوشك ان يشعر الآن بضلاله فألقى عصا الترحال ليبحث عن الطريق الامين • ثم نظر فجأة الى قدميه فوجدهما غائصتين في الرمل • نزعهما راجعاً القهقري ولكنهما غابتا ثانية الى الكعبين. تخلص وارتمى يسرة فأخذه الرمل الى نصف ساقه. انتشلهما وانطرح يمنة فغاص الى ركبتيه. تحقق الآن من ضلاله فسقط في يده وكاد يقطع سبابته من شدة الندم. عرف ان قد غره السراب. وتقطعت به الاسباب. فوقع في حبالة هذا الوسط الهائل الذي لا تثبت عليه الاقدام بل لا تستطيع ان تسبح فيه الاسماك. يحار الكاتب في تسميته. ليس بر ولا بحر. أخذ يفكر في سبيل للنجاة فرأى ان يطرح حقيبته كالسفين أخذها الموج من كل مكان فقذف الركب عرض البحر ما تحمله من كل مرتخص وغال لينجوا بأنفسهم. جعل يعالج النجاة وقد أعيته الحيل فابتلعه الرمل الى ركبتيه. طفق يصيح مستغيثاً مشيراً بمنديله ولكن الرمل مستمر في اختطافه. فان كان الشاطئ مقفراً. والديار بعيدة. وعدم النصير فقدحم القضاء وذهب صرخة في واد. فريسة لهذا القبر السحيق. مستمراً في هويه البطيء في جوف الارض التي لم تمهله وابتلعته واقفاً حراً في عنفوان صبوته وشرخ شبابه. كلما عالج وقاوم واشتد في صياحه وصراخه أسرعت الارض في ابتلاعه. بخل الثرى بالتعجيل بالتقامه ليترك له من الوقت ما يكفيه لوداع هذا العالم ليزداد حسرة على حسرة ومصابا فوق مصاب اخذ يسرح الطرف فرأى امامه الافق والاشجار

والرياض الزاهرة ودخان القرى يتصاعد كالسحب وشُرُع السفن الماخرة في عباب البحر والطير الصادح والشمس المشرقة والسماء اللازوردية.

* * *

وهذه الرمال لهي القبر خرج من بطن الثرى على شكل مستنقع خفي ليختطف الاحياء الاصحاء

يحاول هذا التعس الوقوف والقعود والاستلقاء بغير طائل . بل كل حركة يفعلها تزيد في غرسه . فيزأر كالاسود وينهب الارض بذراعيه من اليأس حتى اذا التقمه الرمل الى صدره رفع ذراعيه وزاد زئيره. ينشب اظافره في الرمل ويتكئ على مرفقيه لينسل من هذه الهاوية . ولا يزال الرمل حتى يصل الى كتفيه ثم الى عنقه فلا يرى منه الا الرأس . لم يبق منه الا فم يصيح ويستغيث ولكن حنق عليه الرمل فألجمه وسده فلا تسمع له همساً ولا لمساً. بقيت عيناه تتوسلان بذرف العبرات ولكن سئم منهما الرمل فأقفلهما وصار يتخبط في ليل اليَل . بقي منه شعر يلعب به الهواء . ثم خرجت من الرمل يده واختلج بعض خلجات فاضت بعدها روحه فكان من الهالكين. وان هي الا هنيهة التأم فيها الرمل وعاد كما كان سوياً. وطوت الارض في جوفها بائساً كانه لم يك شيئاً

## Un Peu de Musique

## طرفة من الموسيقى

أرعني سمعك وانظر هـذا الغاب وأصخ (١) لتغريد الطيور في اوكارها المحجوبة عن الابصار وهـذه الجلبة تقترب منا من ضحك واصوات ووقع اقدام منبعثة من اعماق هذه الادغال السحيقة وقد رمى البدر لألآءه الفضيّ على سوادها وفيها يسمع رخيم نغمات مزاهر جبال (انسبروك) التي تمتاز بجلاجل مقبضها التي ترن فيه حبة من الرمل فيختلط هناك صوت الانسان بهذه النغمات مما يحدث اشبه بلحن مبهم

هيا ان اردتِ ان نتيه في عالم الاحلام فنركب جوادين من حسان الخيل المطهمة وانك لتجذبين اليك قلبي اذ أريد ان أنتشلك من بين أسرتك

نحن سائران يطربنا شجي شدو العنادل (٢) في هذا الغاب اذ انا سيدك وفريستك. فلنسافر فقد اقترب النهار من الرحيل وسيكون جوادي الفرح وجوادك الحب وسيسيران جنبا لجنب ورأسا لرأس وسنطعمهما في رحلتنا هـذه الشائقة قُبَلاً بدل الشعير. وانهما يترافسان اذ يضرب فرسي برجله في احلامي ومهرك يرفس في كبد السماء ونحن في سفرتنا

(١) من اصاخ استمع وأنصت لصوت (٢) جمع عندليب وهو البلبل

هذه في حاجة لرحل يتركب من دعواتنا وسعادتنا وبؤسنا والزهرة التي في شعرك الجميل

خيم الظلام واسودت اشجار البلوط وقد ضحك منا الشحرور ساخراً من وسواس [١] السلاسل التي ربطت بها قلبي . وليس الذنب ذنبي ان لم تهمس الينا الادغال [٢] والاطواد ونحن سائران متكاتفين قائلة : فلنحب

كوني لينة حنونة فما ابهج الغاب المبلل وقد نجيت [٣] اغصانه على اجمل شكل

ارى الفراش يتبع انفاسك الشذية . وطيور الليل الحواسد يفتحن عيونها المستديرة وقد اكمدها الحزن والحور [٤] وقد املن آنيتهن مبتسمات في المغاور متسائلات : (هل أصبنا في عقولنا) فهذان (لياندر [٥] وهيرو) اذ انسكب ما حملناه من الماء ونحن منصتات لحديثهما الشجي

---

(١) صوت الحلي او ما شاكلها (٢) الغابات

(٣) من نجوت الشجرة اي شذبتها وقلمتها

(٤) اخترنا لفظة الحور في ترجمة (Nymphes) واعتاد اغلب الكتاب على ترجمتها بالعذارى فلا يفرق القارىء بينها وبين الآدميات وهي في خرافات اليونان آلهة اناث جميلات كن يعشن في الغابات والمغاور وحول الماء

(٥) من خرافات اليونان ان شاباً من ابيدوس احبته هيرو كاهنة الزهرة الهة الجمال وغرق في ايلليسبون وصار يضرب بهما المثل في الحب

فلنعرج على النمسا ونستقبل سنا القمر بجباهنا وسأكون عظيما وانت غنية حيث ربطنا الحب بعرى متينة لا انفصام لها. ولنسر على الارض بمهرينا الجميلين ثم نطير في الفضاء بل في الاسرار بل في الذهل! ثم نعوج بالخان وننقد صاحبه اجره من ابتسامك وناهيك بابتسام العذارى ومن سلامي وحبذا سلام التلميذ. وستكونين سيدة واكون (كونت) وسيفتح قلبي لما ستقصينه من الحديث كما تتفتح الزهرة من كمها ونحن نسامر نجوم الليل المتألقة

النغم شجي يتردد صداه تحت الخمائل (١) التي ازرقت من لألاء القمر ثم يضعف اللحن فينعدم النغم ويخمد صوت الصادح كطير حط وسكن صامتا

---

## Puisque J'ai mis ma lèvre

### اما وقد وضعت شفتي

اما وقد وضعت شفتي على كاسك الدهاق (٢) وأسندت بجبهتي الشاحبة بين يديك فاستنشقت عرف زفير روحك الشذي الذي غيب في بطون الغياهب

وحيث أسعدني الجد بان تصيخي الى الكلمات التي بها تنكشف

---

(١) ما تكاثف والتفت اغصانه من الاشجار (٢) الطافحة بما فيها من الشراب

اسرار القلب الغامضة ورأيت ثغرك يضحك فوق ثغري وعينك تبكي فوق عيني . وشاهدت شعاعا يلمع فوق رأسي من كوكبك الدري الذي احتجب . وبصُرت بورقة من الورد نزعت من ايامك وسقطت في لجج حياتي . فالآن استطيع اقول للاعوام التي تكر : مري وسيري فلست اخاف الشيخوخة ! واذهبي بازهارك الذابلة فان لي في الروح زهرة ناضرة يعجز الكل عن اقتطافها . وان اصطدم جناحك بكاسي التي أرتوي منها فلا يُسيل منها شيئاً وان ملأتها حتى طفحت . وان روحي لكثيرة النار وانت خلو من الرماد . وبقلبي من الحب اكثر مما عندك من النسيان

# Alphonse de Lamartine

## الفونس دولامارتين

نابغة من شعراء الفرنسيس ولد بماسون سنة ١٧٩٠ وبدىء بتهذيبه في قصر ابيه ببلدة ( ميللي ) تحت رعاية ام حنون لم ترد منه الا ان يكون مستقيما طيبا . وبعد ما أتم دراسته في معهد اليسوعيين خرج من بلده سائحا متجولا في ايطاليا وسويسرا سنة ١٨١١ ومكث فيهما سنتين الى ان سقط عرش الملك. ورجع فانتظم في سلك الحرس ثم ترك الخدمة عندما أسس ( الريستوراسيون[١] الثاني ) وبعد بضع سنين عاشها بالانتظام وضع في سنة ١٨٢٠ كتاب ( تأملات الشعر الاولى ) التي أعلت شأنه ورفعته الى مصاف فحول الشعراء ونشر بعده بثلاث سنين ( التأملات الجديدة ) ثم ( موت سقراط ) و ( آخر غناء الحج ) و ( شيلد هارولد ) وفي سنة ١٨٢٩ ظهر مؤلفه ( الانسجام الشعري والديني ) وفي سنة ١٨٣٠ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي وبعد ما تجول في الشرق بترف ورفاهية عين نائباً في مجلس النواب فلعب دوراً عظيماً في الخطابة والشعر ولشهامته وعلو أفكاره تبوأ منه المحل الارفع

(١) هو مدة حكم أسرة البوربون من سنة ١٨٢٤ لغاية سنة ١٨٣٠ والثاني منه هو المدة الاخيرة

ثم وضع تباعا ( رحلة الشرق ) سنة ١٨٣٥ و ( چوسلين ) سنة ١٨٣٦ و ( هبوط ملاك ) سنة ١٨٣٨ و ( التفرغ للقريض ) سنة ١٨٣٩ ثم عرج على التاريخ فوضع كتاب ( الجيرونديين )[١] سنة ١٨٤٦ وان كان كثير الخياليات لكنه آية في البلاغة ومن الكتب الخالدة

وبعد قليل كان في رأس الحركة الثورية ولما أسست الجمهورية الثانية كان عضواً في الهيئة الحاكمة المؤقتة ووزيراً للخارجية . وقد حازت الخطبة التي القاها في ٢٥ فبراير ضد الثورة استحساناً وشهرة

ووجد نفسه في ١٥ مايو عاجزاً عن مقاومة الجمعية العمومية وقد أجهزت عليه ايام شهر يونيه فلم يحز في الجمعية التشريعيه الا انتخابا جزئياً ثم أبعده استبداد شهر ديسمبر عن السياسية نهائياً

وأشهر مؤلفاته بعد سنة ١٨٤٨ ( المسارّات ) سنة ١٨٤٩ و ( چينڤييف ) و ( نحات احجار سان پوان ) سنة ١٨٥١ و ( جرازييلا ) سنة ١٨٥٢ و ( دروس علوم الادب ) سنة ١٨٥٦

وكانت اواخر ايامه كلها بؤساً متواصلاً وعاقبه كده واجتهاده بالفقر المتواصل والجاه نكد الايام لان يقبل من الحكومة الملوكية ٥٠٠٠٠٠ فرنك هبة يعيش من ريعها سنة ١٨٦٧ ومات بعدها بسنتين سنة ١٨٦٩ في دار بپاسى ( من ضواحي باريس القديمة ) التي منحها من مدينة باريس وكان كتابه ( تأملات الشعر الاولى ) لفرنسا شعرا جديداً خرج من

---

(١) حزب سياسي ظهر مدة ثورة سنة ١٧٨٩

صميم فؤاد الشاعر حاويا لدقة الصناعة وحماسة اللهجة وسلاسة النظم ترجم فيه عن انفعالاته وآلامه غير ماحوى من المباحث الفلسفية والدينية. اما كتابه ( الانسجام الشعري والديني ) فيعوزه كثير من صفات السابق . ولقد بهر الناس بكتابه ( جوسلين ) وهو رواية نظمية من ابدع ما كتبه وان كان انتقد في بعض مواضع منه لتقصير في صوغ القريض فان عدداً عظيماً من صفحاته كان نموذجا للنظم ومثالاً للبلاغة والفلسفة . واما مؤلفه ( التفرغ للقريض ) فان العيوب تشوبه من كل ناحية وهو غزير المادة عظيم الفكرة ولكنه ضعيف الصياغة وبه بعض قطع رقيقة العبارة دقيقة الاشارة

وقد انتقده احد الادباء العصريين (المسيو لانيلاك) في كتابه (علوم الادب الفرنسية) فأنحى عليه بمر الانتقاد ولكنه مصيب في رأيه حيث قال : « كان لامارتين نائباً وخطيباً ولكنه ليس بالرجل السياسي وكان في آخر عهده بمجلس النواب يجلس بينهم وكأنه في عالم آخر ويتكلم ويذهب قوله من النافذة ادراج الرياح. ومؤرخا وليس من فرسان ميدان التاريخ وروائياً كثير التكلف دون ان يكون له صفة في الفن ومنتقداً وليس للانتقاد اهلا وناثراً ولم يوهب سلامة الذوق في النثر ورغماً عن تقلبه في جميع هذه الفنون فانه لم يتقن غير صناعة القريض التي امتاز بها وحدها وبرز فيها على الاكثرين من فحول الشعراء

## Le Chien Du Solitaire

### كلب المنفرد

لهفي على من يلج داره القفرة الموحشة ولا يرى عند اقترابه نافذة مفتوحة او تحدثه نفسه بمن يلقاه عند قدومه بالأيناس والترحاب او يحفل به من اخت او حليلة او أم يرقبن عودته رقبة الاعياد ويستطلعنه بالطلائع والرواد ويمددن خطواته ويتهللن بشراً وفرحاً عند اقباله حتى تكاد جدران البيت تنتعش وتدب فيها الحياة لتكلأه [١] بصنوف الوقاية والحنان

شتان بين سعادة هذا وشقاء وحيد منفرد يدخل ذراه صامتا فلا يسمع وقع خطوات تلقاه او صوتا يرن في أذنه او يجد فرداً يشاطره آلامه ويقاسمه شجونه غير هذا الكلب الودود القديم الذي ينبح حينما يسمع خطاك. ولا قلب يفكر فيك وينتظر مجيئك سواه

وعينه التي تشاهدك في حلك وترحالك وان كانت لاتستطيع البكاء لكنه حينما يراك باكياً يفهم حالتك فيكاد ينفطر منه القلب رحمة وحنواً لك. لا يرفع عينه من مرمى نظرك ولا يحولها عنه وان غبت اصبح حائرًا يقلب طرفه في انحاء البيت كأنه ينشد ضالة. وان هـذا ليأخذ بمجامع القلوب بيدانه من الغرابة بمكان

---

(١) من كلأ كلاءة حفظ ورعى الشيء

ايها الكلب الامين ! ان الله يعلم ما بيننا من البون الشاسع والفرق البيّن بين الهامك وعقل سيدك وهو وحده الذي يدري سر ارتباطنا حياتك في النظر الى سيدك وموتك في موته . واي شفقة وحنو منحتهما من الخالق حتى انك لتحب من يكرههم جميع الناس

وان كنت ايها الحيوان راقداً في مواطىء النعال فلا اذكر ان قدمي مستك يوما ما احتقارا كما انى لم ازجرك قط بكلمة تجرح حنانك ورأفتك . لم ارغب عن ملاطفتك او امل منها وما برحت محترما طيبتك واخلاصك اللذين لا يوصفان . وحامدا الخالق على هذه المنحة التي اودعها فيك وجملك بها

وكما ينبغي لنا ان نحترم احقر مخلوقات الله اجد منك بجامع الخلقة والعواطف الشريفة مخلصاً وصديقاً حميما

وحينما تقع عينك على عيني تتناجى النواظر وتترجم عن القلوب . وان الم بي السهاد. وتجافى جنبي عن الوساد .وانت بجانب سريري بالمرصاد. يكفي لأيقاظك نفس مضطرب مني

تقرأ شجوني في عيوني الكسيرة وتبحث عن همومي في ثنيات اسرة جبيني وتجتهد في تسليتي بمداعبتي عاضاً بلطف يدي المتدلية بجانبك

وعينك كالمرآة الرائقة اذا واجهتها لا يلبث ان يرتسم فيها حزني وفرحي . ونفسك شريفة عالية وحبك لا تدركه العقول

لست في القلوب شيئاً وهمياً تحتقره العواطف او جسما حياً تحركه

الملاطفة . يخدع الناظر بحركاته وتصنعه الوداد والرفق

وحينما تنطفيء هـذه العواطف الشريفة من عينك لا أعلم في اي سماء تنشر وتحشر . ولا ريب ان الانسان والنبات لا يموتان وتنعدم منهما الروح بل يميتهما الخالق زمناً ما ليبعثهما بعد امد ويجمع بين الارواح واجسامها. وقدرته عظيمة تسع جميع الخلائق وستنتحابُ في الاخرة كعهدنا في الدنيا

ومهما كان البون [1] عظيما بين الانسان والعجماوات والنباتات فان الحب المتبادل بينه وبينها سيخلد ولا يتغير في الدار الاخرة . كما ان القادر لا يطفيء نوره الذي يتلألأ في نجوم الليل الشائقة . وكذلك نظر هـذا الـكلب الاندلسي الفاتر الذي يشف عن الحنو والشفقة والامانة وهو الذي كان يقود الاعمى الفقير وأودى حزناً على لحده

تعال ايها الصديق الحميم الذي يأنس ويطرب من وقع اقدامي وانا داخل البيت . ولا تظن اني سيحمر مني الوجه خجلا امام الخالق لحبي لك . هيا جفف مدامع عيني المغرورقة بلسانك . وأدن قلبك من فؤادي لنتمتع بحبنا ونثمل برحيقه

---

(١) الفرق

## L'Isolement

## العزلة

طالما كنت أجلس في الجبل تحت ظل شجرة من البلوط وقد خيم الحزن على صدري فكنت أسرح الناظر في السهول التي نشرت امامي احاسن محاسنها يتلو بعضها البعض وقد اخذت زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج . وقد آذنت ذكاء بالغروب مرتدية حلتها الصفراء تعلوها الكآبة . ولا ادري ان كان ماألم بها توجعاً ورحمة لي أو من ألم البين والفراق

امامي النهر يزمجر بأمواجه الزاخرة المزبدة . وينساب كالافعي وسط الرياض . وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة . وقد ارتسم كوكب المساء على صفحات الماء . وكانت الجبال التي تحوطني متوجة بغابات قاتمة رمى عليها الشفق أشعته الاخيرة

لم تك هذه المناظر الجميلة لتروقني أو تنفحني ببعض سرور ينعش القلب . بل كنت اشاهد الارض كظل متنقل . كما ان شمس الاحياء لاتدفئ الاموات

كنت انقل الناظر من اكمة لأكمة ومن الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب فلم أظفر بهناء يخفف مابي من ألم الكآبة والوحشة

ماذا تفيدني هذه الوديان والقصور والاكواخ التي لا اعبأ بها اذ

لا اجد فيها ضالتي المنشودة . وما كانت لتشرح صدري هـذه الانهار والصخور والغابات مع ما انا فيه من الانفراد والعزلة . وان غاب عن عيني عزيز واحد فالدنيا بأجمعها تكون امامي قفرة موحشة

لا احفل بشمس تتبعها عيني في مسيرها من الشرق الى الغرب جارية في سماء صافية او مكفهرة اذ لا انتظر شيئاً من الايام

وان استطعت ان اتبعها في مجراها لكنت أشرف على الجو والصحاري ولكني لا ارغب في شيء من جميع ماتنيره ولا اطلب امراً من هـذا العالم العظيم

ولكن ربما كان بعد هـذا الكون عالم آخر تضيئه الشمس وتظله سماء اخرى . ولو تسنى لي ان اترك جثماني في الارض واصعد بروحي الى السماء لانظر بعيني ما اراه في الاماني والاحلام . فهناك انتشي من رحيق المنبع الذي آمله واجدما أتطلبه من الامل والحب وهـذا غاية ماتشتهيه الانفس وليس له اسم في المقام الدنيوي . فلم بعـد ذاك امكث في الدنيا دار النفي اذ لاعلاقة لي بها ولا شأن لي فيها .

مثلي كمثل الورق الذابل حينما يتساقط من الغابات في المروج فتحمله الريح الى الوديان فاحمليني مثلها ايتها الشمأل العاتية !

L'Automne

## الخريف

سلام ايها الغاب المتوج ببقية من الخضرة ! وقد اصفرت منك الاوراق وذبلت فتناثرت على العشب . سلام ايتها الايام الاخيرة من دولة الجمال والهناء ! واني ليروقني النظر الى حداد الطبيعة على محاسنها التي انقضت وفاتت اذ أجرّع ماتجرّعه من الالم . وبودي لو انظر النظرة الاخيرة لشمس باهتة تكاد اشعتها الضئيلة تنير ما تحت قدمي من ظلمة الغاب وفي هذه الايام من الخريف التي تحتضر فيها الطبيعة أجد في نظراتها التي يغشاها الموت ارتياحاً وابتهاجا . وان هذا لوداع من حبيب وابتسامة اخيرة من شفتين اقترب منهما دبيب الموت ليطبقهما اطباقاً لا انفتاح بعده

وحريٌّ بي وقد كدت اتأهب لفراق افق الحياة باكياً اياما طوالا واملالم ادركه ان ارجع على عقبيَّ واشاهد بعين ملؤها الحسد نعماً لم اتمتع بها

ايتها الطبيعة الجميلة الحلوة بأرضها وشمسها ووديانها لك عندي دمعة أؤديها وأنا على شفا الرمس . فالهواء يتضوع نشره والضوء زاه نقي والشمس تحلو وتجمل في عين المائت

اني اود ان لا أبقي في هذا الكِم (١) قطرة مما امتزج فيه من الرحيق

---

(١) غلاف الزهرة الذي يحيط بالازرار قبل تفتحها ويقصد به هنا الشاعر عينه ويود لو يستنزف منها دمعها

ومرارة العيش . ولكن ربما بقيت في هذه الكاس التي شربت منها الحياة قطرة من العسل . او ينظر الى المستقبل بعين عنايته ويرجعني الى السعادة والهناء. اللذين خاب فيهما الرجاء . او اجد بين هذه الجموع روحا لا اعرفها علمت جليّ حالي فاقبلت لتنيلني مناي

وحينما تسقط الزهرة تردطيبها الى الصبا وحياتها الى الشمس وتودع الدنيا بين يديهما بينما اموت وروحي وهي في النزع يسمع لها نغم شجي تذرف له العيون وتخفق منه القلوب

---

## Un Village des Alpes

### قرية من جبال الألب

يرى الناظر جبال سافوا الشواهق وقد اكتست بحللها السندسية وتجلببت برياضها الأريضة الغناء وسد الصخر مسالكها فلا يشاهد فيها الانسان غير المهاوي التي ترتعد منها الفرائص وتقشعر منها الجلود اذ يرى نفسه معلقاً في الفضاء فوقه السماء وتحت قدميه مهوى سحيق تهلع من هول رؤيته القلوب

لم يترك الصفا محلا للطين الا الصدوع [1] فتكاد تنشب فيها الاشجار جذورها والبزور شطأها وقد عظم بهذه المواطن القسطل ورسخت اصوله

---

(١) الشقوق

في فروج [١] الصخور وتدلت افنانه فوق المهاوي السحيقة المظلمة . وانتثر فيها المنثور وتضوّع شذاه

ترى ما استوى من اعالي الجبال وهي في لونها الازرق ومسالكها البيضاء وعلى كثب منها حقول البُر على وشك الحصيد وقد أزرت صفرته بالعسجد والقابة الحالكة وهي وسطه كنقطة من العنبر في صحيفة من الذهب وانعكست الوان السماء على صفحات ماء البحيرات وهو في سكونه كماوية [٢] الحسناء وقد نبت تحت ظلال القسطل [٣] الوارفة الكلأ [٤] الاخضر الغض فترى سوقه التي قرضتها ثنايا الغزلان والاروى فغلظت واخشوشن زغبها وتخلله قطر الندى كمنثور الدرر او دمع العاشق

وفي فصل الربيع وهو اقصر من ابتسام البرق يحمل نسيمه من اريج وروده وازهاره وقد احاطت بالافق جبال من الثلج بيضاء ناصعة تأخذ بالابصار كقوارير البلور وحينما تهدأ العواصف وتظهر قمم الشواهق ترى السماء صافية لابسة ثوبها اللازوردي

وفي هذه العزلة لا تسمع الا اصوات الصبيان وخوار العجول وصوت الجلاجل المعلقة برقابها فترن من قفزاتها وطفراتها وخرير السيول المتحدرة من اعالي الاطواد مما ينساه السمع لكونه اعتاده وألفه. وهذه الاصوات بمجموعها اشبه بصوت صادح لا ينقطع غناؤه الجهوري الرنان

---

(١) بمعنى الصدوع (٢) المرآة (٣) المعروف عند العامة بأبي فروة (٤) الحشائش والاعشاب

وانتثرت الاكواخ تحت الاشجار في ظلها الظليل من غير نظام ولا ترتيب وكانها نبتت كما تهوى مع هذه الغرائس. وترى اهلها المساكين يتقاسمون بينهم الدعة والسكون. راضين بعيشهم الهنيء وكل يمرح تحت ظل شجرته وامامه حقله. فتراه في الصباح على باب داره وفي المساء داخلها وقد اكتنفهم الصفاء وخيم عليهم الهناء

---

A une Fleur séchée dans un album

زهرة جافة في كتاب

عاودتني الذكرى فتذكرت يوما اختلسناه وذهبنا الى شاطىء البحر وقد رقت وراقت السماء ولم يشب صفاءها غيم ولا اعصار. تظلنا شجرة من البرتقال كاسية من زهرها الابيض الناصع تضوعت رياها فشملنا من عرفها الشذي

امامنا بحر ازرق يعب عبابه ولا يرى له ساحل وكانت ازهار البرتقال المتناثرة تهاوى على رأسي وتجللني كمطر من الثلج. وقد جمل الكلأ الارض ببساطه الاخضر وتخللته ازهار جميلة متنوعة ينبعث منها عبق لطيف عطر الارجاء والاندية بنشره

ايتها الشجرة النابتة بجانب المعبد الدارس الذي بطش به كر الغداة ومر العشي . لقد توجت هذا العماد بافنانك النضرة وازدان هذا الطلل البالي بزهرك المونق . ولقد قطفتك ايتها الزهرة البديعة البيضاء ووضعتك فوق صدري لانتعش من استنشاق طيبك ونشرك . والآن وقد انقضى ذاك اليوم بسمائه ومعبده وبحره وشاطئه وحملت السحب عرفك وسارت به الى حيث تشاء اجد وانا اقلب صفحات كتابي رسوما عفت واثارا درست من يوم جميل هنيء

# Alfred de Musset

## الفريد دوموسيه

نادرة من فحول شعراء الفرنسيس ولد بباريس سنة ١٨١٠ ومات بها سنة ١٨٥٧ وهو ثاني انجال ( موسيه پاتى ) تعلم في كلية هنري الرابع فكان من اقرانه فيها ( الدوق دورليان ) وبعدما تردد بين الحقوق والطب والرسم والموسيقى انقطع لعلوم الادب

وفي الثامنة عشرة من عمره الحق بالمعهد الادبي عند ( نوديه ) وكان مخصصاً للمذهب المطلق [١] فوضع بعد دخوله بسنتين كتاب ( قصص اسپانيا وايطاليا ) سنة ١٨٣٠ فكان له استحسان عظيم و ( دون پابز ) و ( الاندلسية ) وقصيدة في القمر وغيرها فكانت من نفثات اقلامه وهو في شرخ شبابه مما سحر الناس برقته المتناهية في الشعر ورشاقته البديعة في صوغ القريض حتى نهض بالمذهب المطلق ورفع شأنه

وقد حلى طروس ( مجلة باريس ) ببدائع رواياته مثل ( ادعية لا تجدي ) و ( اوكتاف ) و ( فكر رفاييل السرية ) ثم ظهرت رواياته

---

(١) من ضمن اقسام الشعر الفرنسي قسمان عظيمان : المقيد (Classique) وهوما تقيد بما سنه القدماء من شعراء اليونان واللاتين والمطلق (Romantique) وهو مالا يتقيد بشيء وهو عكس الاول

التمثيلية ( ليلة في فينزيا ) و ( منظر في كريسي ) سنة ١٨٣٢ و ( الكأس والشفتان ) و ( فيم تحلم الفتيات ) رواية لطيفة و ( شجرة الصفصاف ) مرثية و ( ناموتا ) قصيدة طلية بلهجة تهكم رقيقة

وعلاوة على اقتداره النادر في بث تأوهاته التي تكاد تسمعها من بين سطوره فانه كان يجاري بعض الشعراء في مذاهبهم لاسيما ( بيرون ) الشاعر الانكليزي المشهور ونخص بالذكر ( رولا ) سنه ١٨٣٣ فانها من اسلوب الشاعر السابق ولها رنة مؤثرة نخم فيها الهيام

ثم اصابته نوبات وقلاقل حولت ذكاءه من طور الى طور ارق منه سببه له الحب اذ احب (جورج صاند ) الروائية الشهيرة واحبته وسافر معها في شتاء سنة ١٨٣٣ الى ايطاليا متنقلا بين جنوه وفلورنسا وبولونيا وفيرا ثم ألقى عصا الترحال في فينزيا وهناك شجر بينهما خلاف شديد افضى الى الانفصال بسبب انقلابها وخيانتها عهده . فرجع الى باريس وحده في ابريل سنة ١٨٣٤ وقد انهكته الشجون وتيه الهوى المبرح وسحقته هذه التجارب ولكن كان لها الفضل لكونها صيرته شاعراً مجيداً من اوائل الشعراء كما اشار بذلك في عرض كلامه في قصيدة ( ليلة من تشرين الاول ) حيث قال :

« وقصارى الكلام ان بليتك هي التي أنارت قلبك فالفادحات والأوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تكون المعارف . وانها لشرعة قاسية ولكنها حكمة بالغة قديمة كالدنيا ونكدها »

ومن سنة ١٨٣٥ الى ١٨٤٠ ظهرت معجزات قريضه ونثره وصوت آلامه في الحب والشك والسلوان وهي ( لياليه الاربعة ) التي سارت بذكرها الركبان: ( ليلة من ايار ) و ( ليلة من كانون الاول ) و ( ليلة من آب ) و ( ليلة من تشرين الاول )

ففي الاولى يبكي ( موسيه ) من خيانة حبيبته ويعرض عن الطيف الذي يدعوه الى الغناء . وفي الثانية يبحث في العزلة عن شفاء آلامه واوصابه . وفي الثالثة يعاود قسمه بان لا يفتح قلبه للحب . وفي الرابعة يزعم انه طاب ويود ان يقص اخبار آلامه التي يدعي انه بريء منها ولكنه عندما سردها كادت تجهز عليه وطأة الانفعال فاخذ الطيف عليه موثقاً بالغفران والنسيان

وهذه الليالي مع ( رسالته الى لامارتين ) و ( تذكار ) هي التي رفعته الى مصاف فحول الشعراء الذين يشار اليهم بالبنان. ولم يلهم شاعر غيره ان يوفق للاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

يأخذ العجب القارئ لمَ خص هذا الشاعر وحده بهذه الهبة الجليلة؟ هذا لانه احرقه الجوى وبرى اعظمه الهوى واذاب ما على فؤاده من الحجب فاستنار بنور الحب عقله وجنانه فكان يعبر عن وجدانه وشعوره كما يصف الناظر المرئيات . وغيره لم يجمع بين الوجد المبرح والبلاغة الساحرة فتراه مهما كان مقتدراً على القريض وحاول ان يصف الهوى فانه لا يصفه الا وصفاً خيالياً سمجاً تمجه الاذواق وتزدريه الاذهان

وبعد ( الليالي ) ظهرت قصيدته ( الامل في الله ) ورواية قصصية كبيرة كتبها نثراً وسماها ( اعتراف طفل من ابناء الجيل ) سنة ١٨٣٦ سرد فيها الشاعر وقد قارب الشفاء ما انتابه من مضض الآلام ثم (نعمة طيبة ) وهي بديعة النظم شائقة المعاني

وكتب عددا عظيماً من الروايات التمثيلية كان لها نصيب وافر من الرقة والبلاغة تماثل في اسلوبها روح شكسبير منها ( فانتازيو ) و ( اهواء ماريان ) سنة ١٨٣٣ و ( لورينزاشو ) و ( لايمزح بالحب ) سنة ١٨٣٤ و ( باربيرين ) سنة ١٨٣٥ وغيرها

وفي أواخر ايامه أنهكه التعب والمرض من الافراط في الملذات [1] فضعف ذكاؤه وفي سنة ١٨٥٢ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي بعدما وهت قواه الجسدية والعقلية وما فتئ مرعياً في فرنسا بانه اكبر الشعراء في الحب واصدقهم وأشدهم تأثيراً

---

(١) كان حبه مبرحا متيما فكان يعتكف في داره ممضيا وقته في البكاء والنحيب حتى جن في اواخر ايامه من شدة الحب وكان يكثر من شرب الابسنت وقت انفعاله واضطرابه ليخفف مابه من وطأة الحزن والبكاء

## La Nuit d' Octobre

### ليلة من تشرين الاول

الشاعر

أصبحت والحمد لله لا اتذكر مما تكبدته من الآلام. فيما سلف من الايام. الا كطيف خيال او ضباب خفيف اهاجه الفجر ثم لاحت بعده تباشير الصباح وابتسام النسيم العليل . بين الندى البليل

الطيف (١)

ما الذي دهاك ياشاعري وأي عناء خفي أنَّ منه قلبك حتى صرمت حبالي وصرتُ اتلهف لسبر هذا الداء الكمين الذي طالما أنضب مني الدمع

الشاعر

قد كان ألماً معروفاً بين الخاص والعام . ولكننا اذا شعرنا ببعض السأم حل القلوب تصورنا لقصر العقول اننا أول من احس بالداء

الطيف

انك لارفع مما اتصفت به فالنفس العلية لا تتألم من الحادث الجلل .

---

(١) من خرافات اليونان ان المشترى إله الآلهة كان له من ( منيموزين ) احدى زوجاته تسع بنات يعرفن باسم الموز ( Les Muses ) واختصت كل واحدة منهن بفن من الفنون وصارت إلهة له . وفي هذه القطعة تخيل الشاعر انه يخاطب طيف ( موز ) الشعر فلذلك فضلنا التعبير عنه بالطيف بدل ( موز ) او الهة الشعر

وما الذي حرك منك الآن أيها الحبيب ما سكن من أليم الذكرى . فافتح لي صدرك وخبرني عن موضع دائك فقد لقيت من لا يضيع عنده السر . وان السكوت لاخو الموت. وفي الشكوى الى اخي المروءة سلوان وعزاء . كما قد ينجي الكلام من وخز الضمير والندم

الشاعر

وحيث لامناص لي الآن من بث الشكوى . وشرح ما صدع الفؤاد من الهم والبلوى . واني لأحار في تسمية هذه الآلام احب ام جنون ام كبرياء . ولا ادري ان كان اصاب احداً قبلي ما اصابني منه . وحيث خلت بنار الدار فاجلس لاقص عليك الحديث وهاك الكنارة[1] فايقظ مني الفكر بنغماتك العذبة

الطيف

خبرني يا شاعري قبل سرد اوصابك واشجانك ان كنت برئت منها وعوفيت . فتكلم ودع الحب والحقد جانباً . ولو فكرت اني وسمت باحب الاسماء والطفها الا وهو المعزي المسلي نافي الاحزان والاتراح . فلا يجربك الظن اني كنت قرينك فيما ذهب عنك من الجوى المبرح

الشاعر

قد انقشع الداء وتم الشفاء ولم يبق منه في الذاكرة الاخيال . وحينما

(١) آلة موسيقية باوتار كانت تستعملها العرب واطلقناها هنا على ( الليرا ) وهي آلة موسيقية وترية كانت مستعملة عند قدماء الافرنج

يدور بخلدي ذكر المواطن التي خاطرت فيها بروحي اتخيل اني ارى مكاني انساناً غيري واني لست بطل القصة . فهيا تجاذب اطراف الحديث باطمئنان ونتساجل بث الشكوى . فما احلى البكاء والابتسام عند تذكار الاوصاب التي يتسنى لنا نسيانها

الطيف

احنو واعطف على قلبك المنفطر كأم حنون ساهرة بجانب ولدها المحبوب . واني لارتعد كالريشة في مهب الريح فوق هذا القلب الذي طالما كان عني ما انتابه من مضض الوجد ولوعة البين . وها انا يقظ وكنارتي مهيأة لرقيق النغم وشجيه لتتبع لهجة صوتك الحزين علّ انفي عن قلبك ما ما علق به من الهموم والآلام

الشاعر

لا يعد من عمري الا ما قضيته في العمل . فحبذا الوحدة وحمداً لله الذي حبب اليّ الانقطاع عن العالم وانعكافي في غرفة مطالعتي هذه كمسكين بائس . ولكم اقفرت بي الدار وافترش الغبار المقاعد ولا انيس لي الا المصباح فنم هذا القصر بل كوني وعالمي الصغير . . وانت ايها الخيال الخالد . هلم نغني فاني احب ان اطلعك على اعماق قلبي واقص عليك ما تحدثه المرأة من المصائب وما رمتني بها احداهن وربما لا تجهلها . قد سلبتني النهى وصرت لها كالرقيق فاقد الارادة والقوة . بيداني كنت احسبني راتعاً في بحبوحة الهناء والسعادة . وكنا نمشي على كثبان الرمل

الفضيّ على مقربة من الغدير وامامنا على مرمى النظر شجر الحور الابيض يعبث النسيم بقامته الطويلة الهيفاء التي كانت بمثابة دليل على الطريق الذي نؤمه وكنت ارى في ضوء القمر هذا الجسم الجميل يتثنى بين ذراعيّ كماء الجداول ونحن سكوت والهوى يتكلم

وما كنت لافكر لاي شأو تطوّح بي السعادة والهناء . ولا ريب ان نار الغضب التي اتقدت في قلوب الآلهة كانت في حاجة لقربان تأكله لانها حنقت عليّ واقتصت مني لكوني اردت من باب التجربة ان اكون سعيداً

الطيف

ان خيال التذكار الهنيء جاء طارقا ذاكرتك ليخيم في رسومه القديمة فلِمَ لا ترغب ان يسير سيرته الاولى وذلك خير من جحود ايامك الحلوة الرغدة . وان كنت قد عثر بك الجد ايها الفتى فاعمل على شاكلته وابتسم لايام حبك الاولى

الشاعر

كلا نخليق بي ان ابتسم لايامي المنكودة كما انبأتك من قبل ايها الخيال واني اود ان اقص عليك بلا تأوه ما انتابني من الاماني والالام والبُحران (١) والزمان والمكان

في ليلة على ما اذكر من تشرين الاول كثيبة قرة (٢) هي وليلتنا هذه

(١) اختلاط العقل عند نوبات المرض الشديد (٢) شديدة البرد

صنوان او توأمان وكانت رياحها تعصف بنغمة واحدة فتحرك من رأسي التي اجهدها النصب ماسكن من مر الشجون والاتراح . وكنت مشرفا من النافذة منتظراً حبيبتي منصتا كأن على رأسي الطير في ظلام حالك فجاش القلق بخاطري وساورتني الظنون والاوهام حتى مثلت امامي الخيانة وكان الحي الذي اسكنه معتما قفراً لا يرى فيه الا نفر قليل من السابلة [١] بأيديهم مصابيح . وكان كلما هب النسيم من الباب يسمع له على بعد صوت اشبه بأنين انسان . وما ادري كيف اعبر عما دار بخلدي من التشاؤم حتى غبت من القلق والحيرة عن الصواب . واذكر انه بقي لي مسكة من القوة فلما دقت الساعة اقشعررت وارتعدت فرائصي ولم تقبل بعد فبقيت وحدي مطرق الرأس اسرح الطرف في الطريق . واني لم اخبرك بعد بأية جرأة أضرمت هذه المرأة المتلونة في قلبي نار الحب اذ كنت لا احب غيرها في العالم ولا استطيع ان أحي بدونها يوما واحداً . فتمثل لي النحس بصورة ابشع من الموت ولافصم ما بيني وبينها من عرى الالفة والمحبة لم ادع في جعبة اللعن لفظاً او معنى للغدر والخيانة الا ووسمتها به . وانتظمت امام ناظريّ جميع المصائب التي رمتني بها فلم يفتني العد والحصر . فوا أسفا على ذكرى جمالها المشؤوم فكم سببت لي من بث وهمّ لم يلطفهما سلوان ولا عزاء .

فما عتّم ان لاح الفجر وأنا منتظر بغير طائل ولا جدوى . وكنت بجانب الشرفة وقد داعب النعاس عيني فأغفيت ثم صحوت فرأيت تباشير

---

(١) المارون في السبيل أي الطريق

السحر فرددت طرفي بجأة في اطراف الطريق الضيق فسمعت وقع اقدام خفيفة فقلت اللهم تداركني بقوتك فاني اراها وهي عينها فدخلت فقلت لها من أين اقبلت وما فعلت الليلة ؟

اجيبيني . ماذاتبتغين مني . وما الذي طوح بك الي في هذه الساعة . واين استاق هذا الجسم اللطيف الى الصباح مع أني لم ابرح مكاني وحيداً ساهراً باكياً . اين اضطجعت ولمن جدت بابتسامك ؟ . يالك من غادرة خائنة جسورة. امن الممكن ان تجيئيني لتقديم ثغرك لقبلي فهيهات هيهات لما تبغين وبأي شوق قبيح تجترئين ان تعانقيني بأذرع مُملّ منها ومللت فاذهب واغرب عني ياخيال الخليلة وارجع الى رمسك ان كنت أنشرت منه ودعني انسى زمن صباي مدى حياتي واذا تذكرتك تحققت بان لست الا في عالم الاحلام

الطيف

ناشدتك الله ان تلطف مابك فاني اقشعر من حديثك وان جرحك ايها الحبيب مهيأ للانفجار ثانية اذ اندمل على الصديد والاذى . واها لدنيا لا تنسى مصائبها عاجلا الا بعد كر السنين. فانس جهد استطاعتك مضض الايام واطرد اسم هذه المرأة التي لااريد تسميتها من ذاكرتك

الشاعر

خزيا لك يامن هي اول من علمتني البغض وأفقدتني الرشد من الغضب والانزعاج . تبا لك أيتها المرأة التي سحرتني بعينيها فوقعت في حبالة

هذا الحب المشؤوم الذي أقبر ربيعي وايام هنائي في عالم الخيال.وان صوتك وابتسامك ونظرك المفسد المضل لهي التي علمتني اللعن والسباب . ورماني في مهاوي اليأس صباك الفتاك وجمالك الفتان

عار عليك فاني لم اك بعد الا ساذجاً كالطفل وكان قلبي كزهرة في الفجر لم تتفتح من اكمامها الا لحبك . ولا ريب ان هذا القلب الذي لم يجد له غوثا ذهب فرطاً ولو تركته بُراء لكان أسعد حظا . فضحا لك ياعلة ضري ووسواسي يامن نجرت ينابيع الدمع من آماقي وجفوني وابث سائلا مسترسلا لايجفف له نابعاً من جرح لم يبرأ بعد.ولكني ساتطهر في هذا الينبوع المرعلي اترك فيه درن تذكارك الممقوت

الطيف

حسبك ماقاسيته من هذه الخائنة . وحيث ان أمانيك لم تلبث الا عشية أو ضحاها فلا تفضح هذا اليوم حينما تذكرها وان أردت ان تحب فاحترم الحب .

خلق الانسان ضعيفاً فتراه لايقوى على الغفران لمن اساءه الا بجهد جهيد فاغنم الراحة من عذاب البغض والحقد وان اعوزتك المسامحة فعليك بالنسيان وكما ان الموتى نائمون هامدون في بطون اللحود يلزمنا ان نخمد عواطفنا في رموس القلوب . وذخائر الافئدة المغبرة يجب علينا ان لا نمد يدا الى بقاياها المقدسة. ولِمَ اراك تئن من سرد مصابك وعذابك وتبتغي ان لاتراه الا في عالم الرؤيا أو كحب كاذب كبرق خلّب . اتخال ان القضاء

يسير بغير حكمة ولا سبب وتظن ان الضربة التي أصابتك ضربة طيش . كلا فعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وربما كان ما اصابك واقيا لك من أعظم منه . وقصارى الكلام ان بليتك هي التي أنارت قلبك فالفادحات والاوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تكون المعارف . وانها لشرعة قاسية ولكنها حكمة بالغة قديمة كالدنيا ونكدها · نحن في حاجة للبكاء لنحيي ونثمر كالحصيد يعوزه الندى ليدرك . والسرور رمزه نبات مقطوع مغطى بأزهار تميل أعناقهامن الندى . الم تشف من جنونك ولم تزل في عنفوان شبابك سعيداً محبوبا. وهذه المسرات الصغيرة هي التي تُرغب الناس في الحياة . واذا كنت لم تذق طعم البكاء ماذا تكون حالك . اكنت تهنأ بآصال تمرح فيها بين شجيرات الخلنج مع صديق قديم تشربان وتتسامران . اكان يسوغ لك كأسك ان كنت لم تذق طعم البشر والفرح . الا تحب الازهار والمروج والرياض وشعر بترارك (١) وتغريد الطيور الصادحة وميكيل انج (٢) والفنون الجميلة وشكسبير (٣) ومحاسن الطبيعة . ولولا بعض تأوهات قديمة لما كنت تفهم شجو السموات وطربها الذي لا يوصف وسكون الليل وخرير الامواج. ولو لم تعتورك الحمى

---

(١) من مشاهير الشعراء الايطاليين (٢) مصور مشهور من ايطاليا (٣) من فحول شعراء الانكليز

والسهاد ما كنت تفكر في الراحة الابدية ولما كانت لك خليلة جميلة تقاسمها صنوف المسرات والملذات [١]

الشاعر

لقد قلت حقاً فالحقد ممقوت . وما كان ذاك الا قشعريرة ملؤها الانزعاج تحدثها هذه الأفعى حينما تزحف في القلوب. فأصخ لي ايها الخيال وكن شهيداً لهذا اليمين : قسماً بعيني حبيبتي المزرقتين بالزمرد. والجو والسماء . والشمس المشرقة في الافق كدرة متدحرجة . والطبيعة وعظمتها . والخالق وقدرته . والنور ولألائه . والنجم العزيز عند المسافر. والمروج ونضرتها . والغابات ورهبتها . والحياة وسلطتها . والعالم وحركته . انني لطاردها من ذاكرتي وسأعيش مسلوب الحجى من الوجد والشغف. والساعة السعيدة هي التي انساها فيها واغفر لها ما قدمت وأخرت . وليعف بعضنا عن بعض ولنفصم عرى الحب الذي جمعنا امام الخالق بآخر العبرات التي ستكون وداعا الى الممات

والآن ايها الخيال البهي الطلعة أسمعني بعض الاغاني الشجية المطربة اغاني الايام الهنيئة السعيدة اذ الرياض تنفح بأريج شذاها وقد اقترب الصباح فهيا ايها الخل الوفي نقتطف احاسن ازاهير هذه الجنات .

(١) في هذا الموضع كرر المؤلف الجزء الذي ذكر فيه سيره مع خليلته في ضوء القمر قرب الغدير فلذلك ضربنا عن ذكره صفحا لتكراره بلفظه ومعناه

تعال نمتع الناظر بمحاسن الطبيعة الخالدة التي تطرح الآن نقاب النوم ولنعتبر انا سنولد الساعة مع اشعة الغزالة ؟

---

## La Cavale Sauvage

### الفرس الوحشية

كاد يودي بها الظمأ في مفازة [١] تستعر منها الرمضاء [٢] فهامت على وجهها ثلاثة ايام تبحث عن الماء. فلم تظفر به في ارجاء هذه البطحاء. ثم املّت ان تجود عليها السماء بوابل يدرأ عنها غائلة الغلة [٣] في صحراء افترش الغبار نخلها وركد هواؤها فترى جريد النخل متدلياً لاحراك به وقد حمي وطيس الشمس وأضحى الفضاء كتنور اكلبه السجر [٤]

سارت متخبطة في هذه الجرداء [٥] ترتاد بئراً تبل منها صداها وانى تجدها وقد جففته ذكاء [٦] وترى الاسد مضطجعة فوق الصفا [٧] تحرّق الارّم [٨] من الغيظ

شعرت هذه المهرة البائسة انها رزحت تحت كلكل القضاء وقد غلى الدم في عروقها وانفجر من منخرها نخانتها قواها ووقعت مغشياً عليها

---

(١) صحراء (٢) الرمل حينما يسخن من حرارة الشمس (٣) العطش الشديد
(٤) اي ضار كلباً من السجر اي الايقاد (٥) الارض التي لانبات فيها (٦) الشمس
(٧) الصخر (٨) تصرف باسنانها حنقاً

وشرب الرمل دمها بنهم فارتوى وعرفت انه ما ضن عليها بالماء الا وهو اظمأ منها ثم تمددت وانطفأ نور عينيها النجلاوين فأسلمت الروح وأدرجت الصحراء فرسها بل ابنتها في اكفان من رمالها المضطربة

افات فرسنا المنكودة ان ترقب القوافل وهي مارة تحت ظلال الاشجار الوارفة. فما عليها انفلت من شقائها الا ان تتبعها مطأطئة الرأس لتجد في بغداد الاسطبلات الرطبة المنعشة والمذاود المذهبة والبرسيم المزهر الغض وآباراً باردة لم ترها السماء

وان كان الباريء قد خلقنا من طين واحد فلا بد ان يكون عجننا في آنية مختلفة الصلصال وجففنا في شمس تكاد تميز من الغيظ

ومهما يكن المخلوق نسراً أو خطافاً فلا يستطيع ان يحني عاتقه أو يخفض جناحيه من الذل اذ ليس له من السعادة والهناء اعظم من كلمة واحدة : وهي الحرية

---

## A Une Fleur

### زهرة

ما تبتغين أيتها الزهرة العزيزة التي هي احب والطف تذكار . ومن طوح بك الي وقد بقي فيك مسحة من النضارة والحياة ؟

قطعت طريقاً طويلاً طي قرطاس مختوم فماذا سمعت وبم همست

اليك اليد التي قطفتك من الخمائل ؟

هل انت الاضغث [١] يدب فيه الموت ؟ او متهيء لان يزهر مرة اخرى ام أدرجت فيه فكرة ؟ لهفي على زهرتك ايها الضغث التي تماثل ببياضها الوداعة المحزنة . وورقك بلونه يشابه الامل الخائف المتهيب

تكلم ان كنت تحمل اليّ رسالة فقد لقيت من لا يضيع عنده السر . ليت شعري اخضرتك سر من الاسرار ورياك [٢] لغة من اللغات ؟ فان كان الامر كما تحدثني به النفس فناجني ايها الرسول الخفي وان لم يك عندك شيء فابق صامتاً ونم على قلبي خفيفاً رطبا

اني لا اعرف حق المعرفة هذه اليد التي ملئت فضلاً وولعت بالاهواء وعقدت كمك الباهت بهذا الخيط الناعم . وان هذه اليد لم يجد ( فيدياس ولا پراكسيتيل [٣] ) لها اختاً ليتخذاها نموذجاً لما يصنعان من بديع التماثيل الا يد الزهرة ربة الجمال

انها لزهراء حلوة جميلة صادقة ويقال انها ستكون كنزاً لمن أسعده الحظ فكانت له عروساً . ولكنها حكيمة قاسية اخاف غضبها وشرها . فصه [٤] ايتها الزهرة ودعيني اتيه في بيداء الاماني

---

(١) قضيب صغير من النبات به بعض اوراق أو ازهار (٢) الرائحة الجميلة (٣) اثنان من مصوري التماثيل من مشاهير قدماء اليونان (٤) اسكتي

## Lucie

### لوسيا

كنت ذات ليلة جالسا بجانبها فانحنت على البيانو وتسربت اليه يدها البيضاء وهي غارقة في بحار امانيها فُخيل اليَّ اني اسمع خرير الماء او ان النسيم مر على مقصبة [١] مشفقا ان يوقظ ما حط عليها من الطير

وكانت ملذات الليالي الشجية تنبعث حولنا من اكمام الازهار وعلى كثب منا حديقة غناء بها القسطل والبلوط العتيق تميل منها الجذوع تحت غصونها الميادة ونحن منصتان لسكون الليل وكانت النافذة مفتوحة يمر منها اريج الخريف المنعش فمطر غرفتنا . وكانت الرياح ساكنة والسهل قفراً ونحن وحدنا تساورنا الشجون ولم يك لنا من العمر الا خمسة عشر ربيعا

نظرت الى لوسيا فاذا هي بيضاء ذهبية الشعر بعينين لم ارَ اجمل منهما تزريان بصفاء السماء فسَرَت في دمي نشوة جمالها اذ كنت لا اهيم بغيرها وحبي لها كحب الاخ لاخته . وكان الحياء يخامر كل بادرة منها

وبينا نحن سكوت اذ مست يدي يدها فرأيت جبينها الوضاح وقد ارتسم عليه الحزن . وكنت اشعر ان لنضارة الوجه وشباب الفؤاد وهما توأمان ورضيعا لبان تأثيرا عظيماً في شفاء تباريحنا وآلامنا

(١) مكان مزروع فيه قصب اي الغاب

اشرق القمر في سماء نقية رائقة وما لبث ان اشتملته مزنة [١] بيضاء كنسيج من اللجين [٢] . وكانت ترى في صورتها مرتسمة تتلألأ في عيني . وبخيل اليّ ان ابتسامها اشبه بابتسام الملائكة ثم غنت بصوتها الرخيم العذب :

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ايتها الموسيقي انك لبنت الألم ! ولغة ابتدعها العقل لتترجم عن الحب انزلها الله من سمائه الى ايطاليا ومنها جاءتنا بآياتها البينات . وهي الطف لسان للقلب يحمل فكره التي هي اشبه بالعذارى الخفرة [٣] المتهيبة التي تخاف من ظلها وتمشي مختمرة [٤] دون ان تخشى العيون

ومن يعلم مبلغ ما يعقله او يقوله غلام مثلي حينما يسمع تأوهاتك التي تولدت من الهواء الذي يستنشقه . تنهدات لها رنة حزن اشبه بقلبه لطيفة كصوته ؟

ان فاجأتها وجدتها ساجمة العبرات وهذا غاية ما تعرفه والباقي سر يجهله الناس كاسرار اللجج وغياهب الغابات !

كنا وحدنا تخامرنا الشجون وانا ناظر الى لوسيا وقد خيل الينا ان صدى انشودتها يكاد يذيب القلوب . ثم اسندت على رأسها المثقل بالهموم

(١) السحابة البيضاء (٢) الفضة (٣) الشديدة الحياء (٤) مدارية رأسها بخمارها

فسألتها هل يشعر قلبك انك في موقف ( ديسديمونا [١] ) فلذلك تغالبك الهموم من كل صوب ؛ انك تبكين ايتها المسكينـة وقد تركت شفتي تلثم ثغرك اللطيف اذ انت هائمة في مفاوز الشجون . فكأنني ما قبلت الا الحزن وعانقتك فوجدتك مثلوجة الجسم شاحبة اللون . واليوم ولم يمض الا شهران اراك الآن رهينة الرمس !

ايتها الزهرة النضرة الطاهرة ! ارى موتك قد تمثل ابتساماً يماثل حياتك عذوبة ورقة . واصبحت وقد حملك الله بمهدك الى رحمته

ياما احيلى سراً منك يسكنه الطهر والعفاف من شجي الاناشيد واماني الحب وابتسامات تخجل وميض البروق وفعال في السذاجة [٢] كفعال الاطفال .

وانت ايها الحب يامن لم تدرك له العقول كنهاً ولا يقدر ان يعتصم منه احد ويامن أوقف ( فوست [٣] ) مترددا على باب ( مرجيريت )

فكيف اصبحت ياصفاء الايام الاول الهنيئة ؟ خيم السكون على روحك ايتها الكاعب ! فوداعا لذكراك وسلاماً على يدك البيضاء التي كانت تحدث من ( البيانو ) في ليالي الصيف تلك النغمات التي لا يزال رنينها مرفرفاً في اركان البيت

---

(١) امرأة أو تللو ( من روايات شكسبير ) ويضرب بها المثل الفرنسي للمرأة العفيفة الطاهرة الذيل البريئة المتهمة من زوجها بالشبهات ظلما (٢) البساطة (٣) رواية مشهورة للفيلسوف الالماني ( جوت ) ومرجيريت حبيبة فوست

أوصيكم ايها الاحباب الاعزاء ان تغرسوا على قبري شجرة صفصاف فاني اهوى لونها الباهت كالحزين الاسف واغصانها المرسلة كدمع الباكي فنم ظلها الظليل على ارض سأنام فيها نومي الطويل

# André Chénier

## اندريه شينييه

واسطة عقد شعراء زمانه ولد سنة ١٧٦٢ بالآستانة من ام يونانية واب فرنسي كان سفيرا لدولته بالقسطنطينية فعلمته امه في صغره اللغة اليونانية حتى انه حصل على نصيب وافر منها وطالع في الرابعة عشرة من عمره دواوين شعراء اليونان وفي السادسة عشرة ابتدأ يترجم الشعر اليوناني الى الشعر الفرنسي فتشبعت قريحته من روح النظم القديم فكان شعره يماثل المقيد في الشكل ولكنه جديد الفكر عصري الخيال

أتيَ به الى فرنسا وهو في حوله الثاني واتم دراسته بمدرسة ( نافار ) وعالج قرض الشعر مبكرا في شرخ شبابه وهو في السادسة عشرة من عمره وبعد ما قضى بضعة شهور في ستراسبورج وهو ضابط برتبة ملازم ثان اقام طويلاً بباريس ثم اتصل بالسفارة الفرنسية في انكلترا ولبث فيها ثلاث سنين ثم آب الى فرنسا سنة ١٧٩٠

كان محباً للفكر الجديدة ومن نصرائها شديد المارضة ببلاغة ملؤها الحماسة نحو الهيئة الثورية المسماة ( لاتيرور La Terreur ) وقد قبضت هذه الفئة الطاغية على زمام الملك في ٣١ مايو سنة ١٧٩٣ وكان رائدها الظلم العسف فاهلكت الحرث والنسل وضربت اعناق آلاف مؤلفة

من نصراء الحرية الذين انبروا للدفاع عنها في ظرف الثلاثة عشر شهرا التي مكثتها هذه الطغمة العاتية وانقشعت بقتل رئيسها (روبسبيير Robespierre) في ٨ يوليه سنة ١٧٩٤

طفق يحارب هؤلاء الجبابرة بنفثات اقلامه في الجرائد تارة وفي الخطابة طورا مدافعا عن الحرية معددا مساويهم وعسفهم الى ان قبضوا عليه في مارس سنة ١٧٩٤ وسجن في (سان لازار) ثم ضربت عنقه هو و (روشيه Roucher) الشاعر في آن واحد وذهبا كمن سبقهما من الالوف المؤلفة شهيدين للحرية والوطنية في ٢٥ يونيه سنة ١٧٩٤

وكان موته خسرانًا عظيماً لفرنسا اذ فقدت به البلاغة والشعر نابغة في عنفوان شبابه ولم يكد يبلغ الثانية والثلاثين ولو عاش لأتى بمعجزات البلاغة ومدهشات القريض وجر ذيل النسيان على اغلب شعراء قومه من السلف والخلف

ولم يطبع ديوانه الا في سنة ١٨١٩ وهو يشمل الغزل والرثاء والهجاء والاناشيد الوطنية والرسائل وعدة مقاطيع شعرية من الاهمية بمكان لاسيما (هرمس Hermés) وهي ملحمة فلسفية شائقة

وكان شينييه اعظم شعراء القرن الثامن عشر وفلسفته تشابه فلسفة (بوفون Buffon[1]) او (كابانيس Cabanis[2]) وكان جاحدا لا يتدين بدين.

(١) من اعاظم كتاب فرنسا وطارصيته في علم التاريخ الطبيعي سنة ١٧٠٧ – ١٧٨٨
(٢) من مشاهير الاطباء والفلاسفة الفرنسيين سنة ١٧٥٧ — ١٨٠٨

وقد مهر في الشعر واتى فيه بآيات بينات ولم يتفرد بمذهب الشعر المقيد الذي كان يقلده تقليدا تزينه الرقة والانسجام وكان له ذوق سليم في (الميتولوجيا [١]) والتعبير عن الكلمات بالجمل لتسع ما يبثه فيها من نفثات البلاغة ولم يستعمل في كتابته غير الالفاظ الفخمة الفصيحة

وقد اعاد هذا الشاعر المجيد للقريض الفرنسي شبابه بعد ما كاد يودي به الضعف وملأه حمية وحماسة. فجدد الشعر الخلوي بعواطف صادقة تمثل الطبيعة تمثيلاً حقيقياً واحيي الرثاء بما تمليه اليه نفس اضنتها الالآم. واصلح الهجاء بنفحات روحه المتوقدة. وهو اول من انشأ الشعر المطلق واخر شعراء المذهب المقيد واعظمهم

---

## La Jeune Captive

### الفتاة الاسيرة (٣)

« يحترم المنجل السنبلة قبل نضجها غاضاً امامها الطرف ويرشف
« جديد الغصون من الكروم مايهديه اليه الفجر في أيام الصيف من

---

(١) لما كان المؤلف مسجوناً سمع بجواره فتاة تندب حالها وتشكو زمانها وترثي شبابها الغض خائفة من الموت وهي ( مدام دوكواني ) سنة ١٧٦٩ — ١٨٢٠ وكانت آية في الجمال والفضل في شهرتها واجع الى هذا الشاعر لكونه نظم لاجلها هذه القصيدة

« الندى البليل غير خائف من ألم المصر . واني لجميلة فتية مثلها اكره
« الموت ولو اني الآن هدف لقلق البال والسأم

« ليطر الى الموت الزؤام من عصى دمعه من الصبر والجلد وعدم
« المبالاة . ولكني انوح والامل مل‌ء فؤادي . وحينما تهب الشمال اخفض
« رأسي حرصاً ثم ارفعها اذا مرت . وان كان لبعض الايام مرارة فلغيرها
« حلاوة تنسي نكدها وتبرئ اوصابها ؟ وهل رأيت شهدا شهياً لا تعافه
« النفس ان واظبت عليه وبحرا خلواً من الانواء والاعاصير ؟

« تبيض وتفرخ بقلبي الاماني والآمال في سجن تكاد جدرانه
« تدبخ عليّ لئلا افلت منها ولكن ساء زعمها فاني راكبة جناحي الامل
« كالعندليب تسرب من قفص بائع الطيور القاسي طائراً منتعشاً متهللا
« في فسيح الخلاء ومزهر الرياض وقد اكتنفه الهناء من كل صوب.
« يغرد ثملا بنشوة الحرية والسعادة

« ايموت مثلي ؟ من تنام والدعة غطاؤها وتسهر والسكون انيسها ولم
« يخالجها توبيخ الضمير في اليقظة ولا في النوم

« وكان حسن لقائي نهاراً بادياً في العيون وكأنه يبسم لي ظاهراً على
« الجباه التي اكفهرت من البؤس والعناء وقد أنعش مرآي الجميع في
« هذه الاماكن وهللهم بشراً وسرورا

« اني في مبدأ رحلتي الشائقة مسافرة تحت ظلال الاشجار الجميلة
« التي تحف طريقي من الجانبين ولم اكد امر على اولاها وقد مدت امامي

« مائدة الحياة وما اوشكت ان افتتحها ممسكة كأسا مافتئت مفعمة اذ لم
« تكد تنضم عليها شفتاي . ولست الا في الربيع واشتهي ان ادرك
« الحصاد او كالشمس تنتقل من فصل لآخر لتتم سنتها

« اني لزهرة متلألئة فوق غصني مزرية بما حولي من الازهار في
« بستان دولة الجمال ولم تتمتع بأشعة الغزالة الا عند شروقها وأبغي ان
« أحظى بها لغاية غروبها

« ايها الموت ! انك لتستطيع ان تنظرني [1] فاغرب عني واذهب
« لتريح القلوب التي يفترسها الخزي والرعب ويميتها اليأس . فان ( باليس ) [2]
« يعد لي النضر من ملاجئه الخضر و ( أمور ) [3] المنعش من قبله الحلوة
« و ( موز ) [4] الشجي من حفلاتها الموسيقية ولست أبغي الموت قبل التمتع
« بهذه الاحتفاآت الهنيئة

***

كنت مشاطرا لها في الحزن والاسى فاستيقظت مني مخيلة الشعر وأصغيت لهذا الصوت الشاكي وهذا الاعتراف الذي تبوح به هذه الكاعب الاسيرة ثم هززت أثقال الحياة المضنية ونظمت ماتناثر من فمها اللطيف المحبوب من غرر الدرر في سلك عقود القريض فأصبحت اناشيد

---

(١) تؤخرني (٢) اله الماشية والرعاة في ( الميتولوجيا ) الرومانية (٣) اله الحب
(٤) الهة الموسيقى

تشجي العشاق وسلوانا ولهوا لهم يقتلون بها اوقات فراغهم

ولقد تساءل من معها من المسجونين من تكون هذه الحسناء التي زانت الرشاقة جبينها وحديثها ؛ وانا لمشفقون ان تنقضي ايامنا وحبذا لو طال علينا الابد فما نحن بجانبها الا في السعادة والهناء لا في السجن والعناء

# Le Comte Alfred de Vigny

## الكونت الفريد دوفيني

ممن يشار اليهم بأطراف البنان من فحول الشعراء الفرنسيين ولد بلوش سنة ١٧٩٧ وتوفي بباريس سنة ١٨٦٣

كان سنة ١٨١٤ ملازماً ثانيا في فرسان الشرطة (الجندرمة) ثم عين سنة ١٨١٥ في حرس المشاة الملوكي ورقي سنة ١٨٢٣ الى رتبة يوزباشى وأرسل الى الحدود مدة حرب اسبانيا ثم استعفى من الخدمة سنة ١٨٢٨ وقد تزوج قبل هذا العهد بسنتين بفتاة انكليزية تسمى ليديا بونبوري

عاد الى باريس وكان من المطبوعين على الشعر المطلق وابتدأ في نظم الشعر من سنة ١٨١٥ أي في الثامنة عشرة . وظهر أول مؤلفاته سنة ١٨٢٢ بعنوان (منظومات) وفي سنة ١٨٢٦ طبعه طبعة جديدة وسماه (المنظومات القديمة والحديثة) واضاف اليه بعض قطع من ضمنها (موسى) و (ايلوا) و (الطوفان) و (البوق) وفي سنة ١٨٣٧ اتبعها بأخرى وهي (الجليد) و (مدام دوسوبيز) و (الطرادة) و (باريس) و (عشاق مونمورانسي)

وقد كتب نثرا (٥ مارس) سنة ١٨٢٦ وهو رواية تاريخية شائقة كانت آية في البلاغة أجاد فيها واعطى الحوادث حقها من الاستيفاء يزينها

وصف جميل بطريقة لم يجاره فيها مجار . وقصص في مجلدين سماهما (ستيللو) سنة ١٨٣٢ و ( الاستعباد والعظمة في الجندية ) سنة ١٨٣٥ وعدة روايات منها واحدة نظمية وهي ( مغربي فينيزيا ) سنة ١٨٢٩ و ( لامارشال دانكر ) سنة ١٨٣١ و ( شاتيرتون ) سنة ١٨٣٥ وقد حازت اقبالاً باهراً . ولما مثلت مدام ( دورفال ) الممثلة الشهيرة دور ( كيتي ) في هذه الرواية كانت لها اليد الطولى في زيادة شهرتها اذ اجتمعت مهارة التمثيل ورقة الالقاء ببلاغة الانشاء وما حواه من العواطف المؤثرة

وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤٥ وقضى ايامه الاخيرة في العزلة كئيباً كاسف البال ومات بعد ماعانى الآلام النفسانية والمتاعب الدنيوية حولا كاملاً وقاسى من نكد الايام ماتزحزح لثقله الاطواد بصبر يحسده الصبر

وظهر بعد موته جزء ثان من الشعر باسم ( الاقدار ) ونشر في مجلة العالمين سنة ١٨٦٤ و ( يومية شاعر ) وهي حاوية لشروح في التراجم وتأملات طبعها (لوي راتيسبون) سنة ١٨٦٧

تفرد هذا الشاعر النابغة دون غيره من شعراء المذهب المطلق بانه شاعر نفسه . فترى جميع ما كتبه نظماً كان او نثراً لا يدور الا على شكواه من الزمن ووصف مايقاسيه من الهموم والآلام وتقلبات الدنيا . فترى جميع اقواله مترجمة عن وجدانه وشعوره بمرمى عام لاعن خيال . وجميع رواياته نموذجات لسحر البيان ورقيق العواطف وشدة التأثير

وكانت الافكار الرئيسية لهذا الفيلسوف الحكيم تحوم حول الوحدة التي تقهر النوابغ . وخلو بال الخلق وجودهم . وغدر المرأة وخيانتها . وعدم احساس الطبيعة وتأثرها . والجلد والصبر على هذه المصائب والأحن . والخضوع لارادة الخالق ومشيئته

وكان من المجدين حزيناً كئيباً . ولم يبلغ حد الكمال في روائع الابتداع ومدهشات الألهام . ولا تزيد قصائده عن الاربعين واغلبها غامض معقد المعاني . ولكن اثنتي عشرة منها سارت بذكرها الركبان وعدت من روائع البلاغة وسحر البيان مثل ( موسى ) و ( قارورة في البحر ) و ( مصرع الذئب ) و ( بيت الراعي ) و ( جبل الزيتون ) و ( غضب شمسون ) وغيرها مما سبق ذكره من قصائده وان كان هذا الشاعر اقل شهرة من فيكتور هوجو ولامارتين والفريد دوموسيه ولكنه معدود من صفهم

---

La Maison du Berger

بيت الراعي

ان كان قلبك يئن من وطأة اثقال الحياة مضطربا من ألمه كنسر جريح يحاول ان يطير مرفرفا بجناحيه فيقعده ضعفه وتخونه قواه . يحمل كقلبي على جناحه المستعبد عيشاً ملئ نكداً فتارة ينيخ عليه بكلكله

حتى يكاد يسوي به الارض وآونة يثلج [١] صدره فيوشك ان يطير فرحا . او كان لايدق دون ان يسيل جرحه او لم يشعر بالهوى وهو نجمه الذي ينير امامه الافق فيهتدي به

أو كانت نفسك كنفسي انهكها ماتحمله من متاعب الدهر ومرارة الحياة وهوى الى الماء مجذاف سفينتك التي لبست ثوب الحداد فهامت على وجهها في الماء والامواج تلعب بها كما تشاء . فهناك اطرقي برأسك ونوحي على نفسكِ والتمسي في اللجج طريقاً لم يطرق وانظري وأنت مرتعدة الفرائص الى كتفك العارية لتقرئي ماخطه الدهر عليها من اسطر القضاء المبرم بأحرف من حديد مصهر [٢]

او كان جسمك يقشعر من هول آلامه الخفية فيكاد ينشق منه الفؤاد كمدا وقد غلب عليه الحياء مما احاط به من الانظار فتربنه يبحث عن مكنون الخدور ليواري فيها جماله وليأمن مما يهينه من الاعين التي أفعمتها القحة

اوجفت شفتاك من سم المين [٣] واحمر جبينك حينما يسبح في يم احلام دنسة لايحوم عليها طائر الخيال وهي ناظرة مصغية اليك . فارحلي رابطة الجأش قوية العزم واطرحي المدن ظهريا تنعي من بناها ولا تدعي غبار الطرق يفترش قدميك وانظري بعين المفكر الى الامصار المستعبدة والجبال التي اتعسها الانسان باسترقاقه ويمي [٤] الغاب العظيم والحقول

(١) يشرح صدره (٢) حينما يبيض بعد الاحمرار من شدة الاحتراق (٣) الكذب (٤) اقصدي

الفسيحة فانها نعم الملجأ الحر كجزر معتمة يحفها الماء . وسيري بين المروج وبيدك زهرة جميلة فان الطبيعة تنتظرك بسكوت رهيب . والعشب يرفع على قدميك ماتكاثف من ظله . وانين وداع الشمس للارض يؤرجح جميل الزنبق (١) كبخار من لجين . وقد حجبت الدحال (٢) جذوع أشجارها التي امتدت على بعد سحيق . واختفى الطود عن الابصار واسترسلت افنان الصفصاف ونام عسجد الشفق المحبوب في الوادي على بسط العشب الزمردية تحت ظلال مانبت من الخيزران حول العين المنعزلة . ثم تمايل الشفق في الاحراش (٣) الميادة في الافق راكبا متن القرار باسطاً عباءته السوداء على الشواطئ وقد فتح الظلام سجنه للازهار

وكانت على شاهقنا خمائل ملتفة من الخلنج لايستطيع الصائد ان يخترقها فتريبها وهي اعلى من جباهنا رافعة رأساتيه كبرياء واعجاباً وتؤوي في الليل الراعي والغريب . فتعالي لتستري فيها هواك وزلتك . وان كان الكلأ مضطربا فيظهرك او قصيراً فلا يجللك (٤) فاني اجر اليك بيت الراعي فيسير اليك الهوينا على عجلاته الاربع (٥) . وسقفه ليس بعالٍ عن جبينك وعينيك . وان لون المرجان وخديك هما اللذان صبغا (٦) هذه العربة الليلية

---

(١) نوع من النباتات البصلية له ازهار جميلة بيضاء عطرة جداً (٢) الغابات (٣) الغابات أيضاً (٤) يسترك (٥) من عادة الرعاة الافرنج ان يصنعوا لهم اكواخا من الخشب يأوون اليها على شكل العربات (الاومنيبوس) لتكون متحركة ويذهبون بها حيث يشاءون ويجرها جواد عند انتقاله (٦) يقول ان هذه المرأة حيث كان بعنقها عقد من المرجان كان لونه ينعكس هو ولون خديها على العربة فصارت حمراء اللون

ومحاور عجلاتها الصامتة ومدخله معطر ومخدعه فسيح مظلم وهناك في هذا الليل البهيم نجد لنا بين الازاهير سرباً يحفه السكون ويضم رأسينا اللتين اختلط منهما الشعر

وسنرى ان كنت ترغبين في بلاد الجليد التي حينما يظهر فيها الكوكب المحبوب يفترس بأشعته ما يجده امامه من الثلوج فيزهو ويشرق. ومواطن تنهبها الرياح ويحاصرها الجليد بأسوار منيعة وبها القطب اللعين وثلوجه الممقوتة. وسنقتفي سير المصادفات الطائش. ولا يهمني ضوء النهار ولا الدنيا الا اذا راقا في عيني

من أنت ياحواء؟ اتعرفين كنهك؟ اتعلمين غايتك وواجبك في الدنيا؟ اتدرين ان الخالق ليعاقب الانسان مخلوقه لعصيانه وا كله من الشجرة التي نهاه عنها اقتضت ارادته ان يسلط عليه حباً لذاته لا يسبقه حب آخر في كل الازمان واطوار الاعمار. واذ كان اقصى هنائه شغفه بنفسه ترينه معذباً منغصاً منه.

أتعلمين يا أم الخلائق لم سمحت مشيئة القادر بان جعلتك للرجل قرينة لطيفة؟ ذلك لينظر صورته مرتسمة في مرآة روح أخرى ويسمع منك هذا الصوت الجميل المزري بتغريد العنادل والذي لا يصدر الا منك. وليشنف سمعه بصوت رخيم عذب ملؤه الحماس. ولتكوني قاضيه ُ ورقيقه فتتولين حياته وتعيشين خاضعة لشريعته

كلامك اللطيف السار به بعض كلمات استبدادية وعيناك لهما نفوذ

عظيم ومنظرك ذو رواء[١] فخم كما قال ملوك الشرق في أغانيهم ٠ وكل يجتهد ان يحيد عن سهام حكمك العاجلة . ولكن قلبك يكذب هيئتك الجريئة . ويخضع بلا جدال لشقاء الحظ ونكد العيش

فكرتك لها طفرات[٢] كالغزلان ولكنها لاتستطيع السير بغير دليل ولا سند اذ يميت رجليها الثرى وتتعب جناحيها الرياح . تغمض منها العين نهاراً بمجرد ان يسفر الصبح وتارة تصل الى حالق بوثبة واحدة فتزعجها الرياح . وفكرتك المتحركة لا يتيسر لها ان تسهر وحدها دون خوف وملل

لم يشب صفاتك التبصر الذي يمليه الجبن[٣] لان قلبك يهتز ويرن لسماع صوت المضطر المكروب كا (لأرج)[٤] في الكنيسة ساد عليها السكوت والرهبة فترنه يردد صدى الانين فيئن كأنه يتوجع لصاحبه

كلامك كالنيران يهيج الجموع ٠ ودمعك يطهر الاهانة ونكران الجميل . وانك لتدفعين الرجل من ذراعه فيهم واقفاً مسلحاً . وانك لخير من يُهرع اليه لبث الشكاوي الكبيرة التي تنبعث من الانسانية الحزينة بصوت مختنق

---

(١) المنظر البهي (٢) قفزات (٣) يريدان التبصر وقت اغاثة الملهوف من الجبن لانه خائف من ان يبطش به الذي بطش بهذا المكروب فيتبصر ليحمي نفسه ولربما فات الوقت وهلك المستغيث (٤) آلة موسيقية كالبيانو في الشكل لكنها تختلف عنه بانها ليست لها اوتار بل يحدث الصوت من الهواء الذي ينفخ في مزاميره بان يحرك الانسان رجليه على منفاخ وقت التوقيع وهي لا تستعمل الا في الكنائس

وحينما يكاد القلب يتميز من الغيظ الطاهر ترين هواء المدن يخنقه عند كل ضربة من ضرباته . ولكن انين عذابها الاجتماعي يشاهد مجتمعاً فوق دخانها مكونا كلمة يسمعها من شط [1] اودنا بصوت جلي

تعاليْ فما السماء الا كانها هالة من نور تحيطك بزرقتها اذ تضيئك وتحميك . وما الجبل الا معبدك والغاب قبابه . وما الطير يميله الهواء على الغصون المياده والازهار وعرفها والعصافير وانينها الا لتنعش الهواء الذي تستنشقينه ولتحفه بالبشر والابتهاج . وما الارض الا بساط جميل مُدّ تحت اقدام بنيك اللطيفة

احب يا حواء كل شيء في المخلوقات اذ اشاهدها منعكسة في نظرك التائه في مهامه الاماني والذي يبث انى تنقل لهبه المزدان بجميع الألوان . وان استراح بعد تقلبه زاد بهاؤه وانبعث سحره ففاق هاروت وماروت

هيا ضعي يدك النقية المزرية بدُمي [2] العاج فوق قلبي المتمزق ولا تذريني وحدي مع الطبيعة التي اعرفها حق المعرفة لئلا يتطرق اليّ الوجل منها فقد قالت لي بلسان فصيح :

« اني لدار تمثيل لا تعرف للتأثر معنى ولا تضطرب تحت اقدام
« ممثليها . درجات سلمي من الزمرد وفناؤها من المرمر الابيض ونحتت
« الالهة اعمدتها فلا اسمع صراخكم ولا انينكم واكاد احس بمرور تمثيل

(١) ابتعد (٢) جمع دمية وهي الصور الآدمية الصغيرة المصنوعة من العاج يضرب بها المثل عند العرب للجمال فيقال احسن من دمية

« رواية المجتمع الانساني وانشد في السماء المنفرجين البكم بلا طائل
«اجوب البلاد كالاعمى الاصم واجول بين الامم التي يخطئها الحصر
« مزدرية بهم لا أميز بين دورهم وقبورهم . وشتائي يحصد النفوس له قرباناً
« كما لا يشعر ربيعي بشغفكم به
« كنت قبلك ايها الانسان جميلة معطرة تاركة شعري يلعب به
« الهواء كما يهوى متتبعة في السموات طريقي الذي اعتدته فوق محورها
« المنتظم فتميلني المشيئة حيث شاءت يمنة ويسرة ككفتي الميزان ثم بعدك
« كنت اخترق الفضاء الذي يندفع كل فيه سائرة وحدي بوجه باش
« وصمت يزينه العفاف شاقة الهواء بجبيني الوضاح ونهديّ اللذين
« ارتفعا شمماً وكبرياء »

هذا ما سردته عليَّ الطبيعة بصوت جهوري ابسته رنة الحزن واني لأمقتها وحانق عليها لكوني ارى دمنا يخالط امواج بحارها وموتانا تحت عشبها فترين اجسامنا بعد تحول مادتها تمتص جذور الاشجار عناصرها السمادية بشره ونهم فتنمو وتعظم وتزهو . فكنت اقول لنفسي الذي راقها هذا البهاء الممقوت . « خير لك ان تحولي نظرك عنه ولا تذرفي دمعة « واحدة اسفاً عليه بل احبي مالا يشاهد الا مرة واحدة »

من يسعده الحظ ويشاهد لطفك وحنانك ايها الملاك الجميل الشاكي بصوت خافت كأنما هو محتضر ؟ [1] من ولد مثلك وولدت معه الملاطفة

(١) في حالة النزع عند الموت

كأنهما توأمان اذ نراهما تلمع مع البرق الذي يتلألأ في نظرك الفاتر وتمايل رأسك اللطيف وقامتك الرشيقة التي لا تكاد تماسك من لينها وتبسمك الذي انمشه الهوى ونغصه باوصابه

* * *

عيشي وانتعشي ايتها الطبيعة الباردة وتحكّمي فينا كيف شئتِ فهذه سنتك وازدري بالانسان ان كنت في مصاف الالهة فما هو الا عابر حقير جعله الله سلطاناً عليك

احب عظمة الآلام الانسانية اكثر من ملكك وفخامته التي لا تجدي نفعاً وانك لن تؤملي مني حبا

الا تبغين ايتها السائحة المكسال ان تسندي بجبينك الى كتفي لنطير في جو الاماني ؟ فتعالي من هذا البيت المتحرك الذي كي بيردين من دعة وسكون لتشاهدي مامر وماسيأتي من صور العالم ومناظره التي احضرتها في ذاكرتي روح طاهرة من الله وستحيي هذه الصور وتلبسها الارواح لاجلك امام هذا الباب وترين البلاد العظيمة ممتدة امامك وهي صامتة

وستتبع السلف غير مخلّفين سوى ظلنا على هذه الارض الناكرة للجميل والتي جابها من مات قبلنا وستتحادث عنهم في الساعة التي يظلم فيها كل شيء اذ يسرك سلوك منهج عفت رسومه واندرست معالمه فتسيرين وانت غارقة في بحار الاماني مستندة على غصون لا تعلم حقيقتها

باكية كارطميس (١) على حافة عيونها حباً صامتاً ما فتىء عرضة للحدثان

---

## la Mort du Loup

### مصرع الذئب

كان المزن يمر فوق القمر الملتهب كحريق يتصاعد منه الدخان وقد حلك الظلام في الغاب وغاب الافق عن العيون ونحن سائرون سكوتاً على العشب المبلل تحفنا خمائل كثيفة من الخلنج وشجر التنوب الذي يكاد يناطح السماء فلمحنا آثار اظفار كبيرة خطتها ارجل الذئاب السيارة التي اخذنا عليها المسالك

أصغينا حتى كدنا نقطع التنفس ولم تهمس منا الاقدام ولا السهل او الغاب باذني صوت غير مزولة الهواء (٢) التي كانت تبعث بصريرها في الجو وكان النسيم يمر على اعالي الابراج واشجار البلوط التي اضطجعت على ما يحيط بها من الصخور. وبينا نحن في هذا السكون والصائدون بالمرصاد اذ لمح شيخ منهم اثراً جديداً لمخالب عظيمة لذئبين وجروين فانبأنا همساً فجهزنا الخناجر وحشونا البنادق وسرنا الهوينا فارقين ما يعترضنا من الغصون المشتبكة فوقف ثلاثة منا ولبثت مكاني لارى ما استلفت انظارهم

---

(١) الهة الصيد والغابات في خرافات اليونان (٢) آلة تبين الجهة التي تهب منها الريح وعبرنا عنها بهذا اللفظ لانها ما كانت معروفة عند العرب

فلمحت عينين براقتين ومن أمم اربعة اشباح ترقص في سنا القمر بين خمائل الخلنج كديدنها اليومي ولما اقبل الرئيس كانت الكلاب متهللة تشبه صغار الذئاب في فرحها ورقصها ولكن الاخيرة كانت تمرح دون لغط وقد خيم عليها السكون حذرة لا تنام الا غرارا اذ على كثب منها الانسان عدوها اللدود

وكيف تنام الطير في وكناتها * وقد نصبت للفرقدين الحبائل

وكان الذئب الكبير واقفاً وعلى بعد منه انثاه مضطجعة على جذع شجرة كانها تمثال المرمر الذي كان يعبده الرومان ممثلا ذئبة حاضنة (ريموس ورومولوس [1]) اللذين وضعهما الرومان في مصاف الآلهة الصغيرة

ثم اقبل الذئب وقعد باسطاً ذراعيه منشبا اظافره في الرمل ولما استيأس وخاب رجاؤه في النجاة اذ سدت عليه طرائقه امسك اقوى الكلاب من رقبته بفكين قويين كانهما قُدا من حديد وجالد قرنه جلاد المستميت ولم يتركه رغماً عما اخترم جسمه من رصاصنا المتدفق من بنادقنا كالمطر وخناجرنا المغمدة في احشائه ولم يزل ممسكا خصمه غير مبال بما اصابه حتى دق عنقه وتركه جثة بلا روح وكانت الخناجر الغائرة في جسمه اشبه بمسامير سمرته على الكلأ وقد ارتوى العشب من دمه وتحيط به بنادقنا كرزايا قامت على سوقها وما فتيء ناظراً الينا وهو يلعق ما سال

(١) اللذان اسسا مدينة رومة

من دمه حول فمه وبدون ان يتأمل كيف هلك اطبق عينيه ومات ولم ينبعث منه صراخ ولا انين

اطرقت الى الارض مسندا برأسي الى بندقتي مفكراً بغير وصول لغاية اذ حدثتني النفس ان اقتفي الذئبة وجرويها التي كانت في انتظاره على ما اظن ولولا ولداها لما تركت ارملتنا الجميلة الحزينة الفها يحتسي وحده صاب المصاب ولكن واجبها حتم عليها ان تحرس صغارها وتكلأها بعين عنايتها ولتدربها على النفور من عهود المدن التي ارتبط بها الانسان مع الانعام التي استخدمها مهما اودى بها السغب فتراها تطارد امامه اول من امتلك الغاب والجبال لتحصل على ركن تأوي اليه

اسفي حينما افكر في الانسان ولو طاولت عظمته السماء فاني اخجل من ذكره لضعفه وخور عزيمته. وانك وحدك ايتها العجماوات(١) الفخمة العظيمة التي تعرف كيف تفارق الدنيا وبؤسها وآلامها وان تأمل الانسان وجد ان افضل اعماله السكوت وما سواه ضعف وخور

لقد عرفت حقيقتك ايها السائح اذ اخترقت نظرتك الاخيرة اعماق قلبي كأنها تقول لي بلسان فصيح : « ان استطعت ان تبلغ نفسك مبلغ روحي فثابر على الاجتهاد والتأمل لتصل الى هذه الدرجة القصوى من الجلد والصبر والاعجاب بالنفس فاني ولدت في هذه الدحال ونشأت بها

---

(١) العجماوات والانعام البهائم الآنسة

وقد علمتني صروف الدهر ان الصراخ والعويل والتوسل لهي صفات الجبن والعجز والواجب يقضي عليك ان تقوم باعباء ماعهد اليك وكلفت به وناداك اليه حظك بعزيمة تسبق العضب في المضاء مهما بلغ الامر منتهاه من الشدة والمضض وبعد اللتيا واللتي كن مثلي كاظما آلامك ثم مت صامتا دون ان تنبس ببنت شفة

# François Coppée

## فرنسوا كوبيه

نابغـة من شعراء وروائي العصر الفرنسيين ممن يفتخر بهم الشعر المطلق ولد بباريس سنة ١٨٤٢

ظهرت اول مجموعة من نظمه بعنوان (صندوق البقايا المقدسة) سنة ١٨٦٦ وكان في أول ظهوره في عالم الشعر عاطلا من مميزاته ونفحاته. فلما صدرت روايته النظمية (جواب الآفاق) سنة ١٨٦٩ رفعت قدره واستلفتت اليه الانظار من كل فج عميق حتى عد من فحول الشعراء. وهي من معجزات نظمه ودرة يتيمة في بابها لم يأت أحـد بمثالها غير ماحوته من رقيق العواطف ودقيق الاشارات

وكتب عدداً عظيماً من الروايات التمثيلية والمجموعات الشعرية. ومن اشهر رواياته التمثيلية (عواد كريمون) سـنة ١٨٧٦ وهي شائقة مؤثرة و (سيفيروتوريللى) سـنة ١٨٨٣ و (اليعقوبيون) سنة ١٨٨٥ و (لاجل التاج) سنة ١٨٩٥ وهي رواية تاريخية نظمية من أبدع ما كتبه الشاعر سحرت العقول ببلاغتها ومتانة قريضها وما شملته من النفحات العلوية والفيوض الربانية

ومن نخب شعره: (المودات) سنة ١٨٦٨ و (المساكين) سنة ١٨٧٢

و ( بين المنازل والنزه ) سنة ١٨٧٥ و ( الدفتر الاحمر ) سنة ١٨٧٤ و ( المقاطيع الشعرية والمراثي ) سنة ١٨٧٨ وعدد وافر من القصائد نشرت على حدة لاسيما ( اوليفييه )

وما كتبه نثرا مثل ( القصص ) وهي في خمسة اجزاء واشهرت برقة العواطف وجملة روايات نثرية وعدد من مجموعات الحوادث التاريخية منها ( الألم العظيم ) سنة ١٨٩٨ وهي تنبئ بحصول بعض من الانتقال الديني للمؤلف. وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٨٤ ثم اشتغل بالسياسة وعين رئيس شرف لحزب ( الوطن الفرنسي ) سنة ١٨٩٩ ثم استقال عقب انتخابات سنة ١٩٠٢ ومن هذا الوقت امسك اللسان وطرح القلم ولم يكتب الا ماندر

وظهر في هذا العهد الاخير له ثلاثة اجزاء الاول منها ( في الصلاة والحرب ) وهو نظم سنة ١٩٠١ والثاني ( قصص لايام الاعياد ) سنة ١٩٠٢ والثالث ( اشعار فرنسية ) سنة ١٩٠٦ وجملة مواضيع وقصائد ظهرت في الجرائد والمجلات وكان لها استحسان باهر

وقد تبرع للمجمع العلمي الفرنسي بجائزة للشعر قدرها الف فرنك تمنح كل سنتين

مهر وبهر شاعرنا هذا في اغلب انواع الشعر لاسيما المراثي والملاحم. وكان من الشعراء المحققين وحاز القدح المعلى في الشعر القصصي المألوف وانواع الشعر المبتكرة في بابها. وقد اجاد في وصف المناظر الطبيعية كقوله

في وصف ضواحي باريس : « أرض فضاء جرداء . وأشجار هيفاء . وطرق سوداء . افترشها مايلفظه[(١)] دوحها[(٢)] من اللحاء[(٣)] . ولكن لها نصيب وافر من الشجو والطرب يأخذ بمجامع القلوب

وكان مقتدرا في وصف اخلاق القرويين وعاداتهم وصفا صادقا رقيقا شجيا يهز القلوب طربا حينما يصف البؤس المتواصل والفقر المدقع والفضائل المجهولة فلذلك وسموه (بشاعر المساكين) لانه في هذه الطبقة الصغيرة الحقيرة اسعده القريض وحده بنفحات مدهشات قلدته زعامة[(٤)] هذا النوع الذي ابتكره

وقد وفق في التمثيل بين المذهب المطلق والمذهب المقيد فأعطى للاخير العويص الفهم رقة تعبير الاول وسلاسة تركيبه

وهو في الادبيات يشبه شعراء المذهب المقيد لاسيما ( كورنيي Corneille) وقد رزق منها قسطا وافراً ومكانا رفيعا اذ تعد رواياته التمثيلية من اعظم الروايات الاخلاقية

وكان من امهر الناثرين وكتب في الجرائد في قسمي الاخبار والملحقات الروائية نثراً سلس العبارة رقيق التعبير ملؤه العواطف والوجدان الحي . كما انه اجاد أيضا في المواضيع الفكاهية

وقد توفي بباريس في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨ واحتفلوا بجنازته احتفالا شائقا فخما يليق بمقامه الرفيع وبكاه القريض الفرنسي قبل الشعراء

---

(١) تطرحه (٢) الدوح الشجر (٣) قشر الشجر (٤) رئاسة

# Le Passant

## جوّاب الآفاق

## رواية تمثيلية ذات فصل واحد

(يحتوي المرسح على روض بهيج خلوي يضيئه القمر وعلى يمينه بيت جميل توفرت فيه أسباب السرور بصنوفه قائم على سفح اكمة وبجانب الحائط مقعد خشبي قديم . وتظهر من بعد داخل المرسح معالم مدينة فلورنسا ولا يكاد يحققها الرائي والسماء صافية تتلألأ في كبدها نجومها )

سيلفيا ( وحدها )

( ترى سيلفيا لابسة ثوباً ابيض عارية الكتفين والذراعين متكئة على حاجز المثنى مسرحة نظرها في روضها الجميل )

لعن الله الحب فقد صير العين جامدة والدمع عصيا

( ثم تنزل ببطء الى حضيض الاكمة )

لقد قضيت صباي َ في سلب العقول واختطاف النهى وانا الاميرة الخبيثة ويقبل يدي الجميع كملكة وهم صاغرون . وكان قلبي لايشعر ولا يحفل بقبلهم الحارة . فمن يخال اني بعد مابلغت هذا الشأو البعيد اسأم وامل السماء باقية على صفائها الجميل مضى عليها شهران ولم تمطر والصيف وسكونه ولياليه المحبوبة . ولا ريب ان الشعراء والمغنين يسعدهم الحظ

وينفحهم بتشبيهات سمجة . وأرى اسمي تتقاسمه القوافي مع اسماء الازهار فلا تكاد تقع عيني على قصيدة الا وأبصر اسمي فيها حتى امتلكت القلوب وصرت اغبط على هذه المنحة الجليلة

وهؤلاء المتملقون الصاغرون لا انظر اليهم الا بعين ملؤها الازدراء والاحتقار . وهذا ( التوسكاني ) بطل الوقائع والحوادث المتقلب في النعم الجزيلة يطرح تحت قدمي الحلي من ذهب وجوهر . وذاك القاضي يتيه كبرياء واعجاباً . والآخر وزير مال ( جنوة ) يتنافسان في عرض نفيس الماس وغرر الدرر امام ناظريَّ لينظرا لمن يكون الغلب والظفر فيستلفت عيني نحو هديته الغالية . ولكن هيهات لما يؤملون فاني أبغضهم واحتقرهم وكل هؤلاء الرجال ذوي القلوب الخوالي ليتهم يحبونني مفاخرة بحبهم لي لقضاء مآربهم

انني لاتألم من هذه الحياة اذ الموت خير من حياة بلا حب وقد اصبحت لا املك شيئاً من ذخائر الحب حتى زهرة جافة احفظها في كتاب او خصلة من شعر او كلمة حلوة تسترق القلوب يفكر فيها الانسان قبل نومه حتى صارت الحياة خلواً من المسرات كما لايشوبها ضر او فزع اشكو او استغيث منه . فوا أسفاً صرت لا استطيع البكاء ولو خفية . اواه من حزن ضاق به الصدر ذرعا وهم يكاد يتفطر منه القلب . ( مشيرة الى المدينة التي تظهر من بعد ) هذه فلورنسا والليل صافي الاديم والسماء مقمرة ولربما نظرني تلميذ مرة فوقع في حبائل غرامي وغلبه حياؤه فعف وكتم حبه

وجلس بجانب نافذته شاخصا الى السماء يناجي النجوم فيصعد الزفرات تارة ويثمل من نشوة امانيه طوراً

ليت شعري كيف يحفظ العهد لحب لست له اهلا . ولكن لو عثر به الجد ورماه في طريقي المنكود فلا يظن ان قلبي يطاوعني على خذلانه وتركه ليتيه في بيداء هيامه

واني لأعاهده على ان يشاطرني آلامي كما سأهبه وحده نفسي واضن على كل من يخطبني حبي

زانيتو ( يغني على بعد )

احبب بفصل جاء بعد شتاء * فصل الربيع ووصل كل هناء
غارت ذكاء لحسنه فتألقت * ورمت اشعتها على الغبراء
وكذلك الاوكار دب دبيبها * والجو خامره نسيم صفاء
والريش من قمريها انى مشى * ماش رآه فوق وجه الماء

سيلفيا

كل ينغصني ويغيظني حتى هذا الصوت الرخيم في الليل البهيم وسرور الخلق يتبعني ويقفني مني الاثر . فيالقلب حزين وبال كاسف واني وذاك الصادح على طرفي نقيض فانا العن الربيع وهو يترنم بتمجيده

زانيتو ( يغني وقد اقترب صوته )

فاسلك بنا سبل الفراش لنلتقي * يا ابن الكرام بكاعب هيفاء

فهناك نمرح في ظلال خميلة * بالقرب من عين تروق الرائي
ونشاهد الغزلان غزلان النقى * تروي الصدى في هذه البطحاء[١]

سيلفيا

النغم شجي والصوت عذب يستهوي الافئدة ولكني لا اعلم حال هؤلاء الذين يدعون الحب فلندخل ولنترك الميدان فسيحا للذين أسعدهم الحظ والهناء

( ثم تصعد الى بيتها وهي تنظر حائرة الى الجهة التي ينبعث منها الصوت . ويأتي )
( زانيتو ومزهره (٢) على كتفه متأبطاً عباءته وطرفها يكنس الكلأ وراءه ويدخل )
( متهللا دون ان يلمح سيلفيا )

زانيتو ( وهو واقف في صحن الدار )

رعى الله ليالي الصيف التي تمكن المسافر من الرحل الشائقة اذ يتناول عشاءه في قرية حقيرة تحت دوالي الكروم وامامه منظر الغروب البهيج ثم يتم ترحاله في شروق القمر ولا مطية له الا قدماه يسير مترنما برقيق الاناشيد كي لايشعر بالنصب . سقيا لليالي الصيف اذ السماء صافية تتلألأ بها دراريها مبتسمة للمسافر لامعة من خلال اشجار الطريق عشتِ ونعشتِ ياليالي الصيف انت والامل . وها انذا على مقربة

---

(١) اننا لم نستحسن ترجمة هذه الانشودة نثرا فالتمسنا من احد فضلاء شعراء العصر نظمها واشار علينا بان لانذكر اسمه (٢) المزهر هو العود

من فلورنسا وسأعرف غداً ان كان المهد باقياً على حبها لسماع انغام العود وشجي الاغاني الغزلية . ولكني أرى النهار بعيداً وثيابي رقيقة ومزهري هذا احمله على كتفي كضغث على ابالة . واهل الخان الآن في دعة واطمئنان . يطرق بابهم الطارق حتى يكل ساعده وهم كأنهم صم وبعد الجهد الجهيد يفتحون وقد علا وجوههم السأم والضجر فمن لي بركن آوي اليه واقضي فيه ليلتي هذه

( ثم يلمح المقعد القديم بجانب الحائط )

هذا مقعد عتيق ولو انه مضجع خشن لكن الليل هادئ رائق ونعم العشب من وسادة وان شعرت ببرد الليل فستصلح الشمس في الصباح ما افسده المساء وما عليّ الا ان ارقص قليلاً في الشمس فادفأ واستأصل من جسمي شأفة البرد

( ثم يتهيأ للمنام )

سيان عندي هذا المضجع القض (١) وفراش وثير (٢) . فما اجمل النجوم وما احلى خان الخالق الذي لا يكلف اجراً

( ثم يمتد على المقعد ملتحفاً بعباءته وينام )

سيلفيا ( ناظرة من سفح فناء دارها )

يالك من غلام مسكين قد فعل كما قال . كنت اشكو منذ هنيهة من جمال الليل فما اخبثني !

(١) اقض المضجع فهو قض أي تترب وخشن ولم يطمئن به النوم (٢) لين ناعم

( ثم تنزل مسرعة الى الحضيض (١) )

يلزمني ان ادعوه لاني لم أقم بواجب الضيافة ولم يفتني الوقت بعد . يشكو الانسان من الصيف لانه يكون فيه عرضة للشجون ويود لو يكون الليل حالكاً معتماً فينسى جميع هؤلاء البؤساء الذين يطوح بهم الحظ المنكود في كل شرق وغرب ولا من يؤويهم ويواسيهم

( ثم تنظر الى زانيتو وهو نائم )

انه لنائم نوماً هنيئاً سائغاً ولا ريب انه اعتاده وألفه . ولكني صامتة مضطربة امام هذا المشهد الرهيب من عزلة ووحدة وليل اريج . وغلام نائم بهيج . واني ليخيل اليَّ اني اسمع دقات قلبي وكأن عاملا جديداً يحرك منه ماسكن ويثير ماهدأ حتى كدت افقد صوابي

( ثم تقترب من زانيتو وتطيل اليه النظر )

وا أسفا انه لمماثل لاماني

( ثم تأخذ بيده بلطف )

هيا استيقظ فان هواء الليل ضار

( زانيتو يستيقظ ويرى سيلفيا فيدهش ويأخذه العجب )

أأنت من بنات الجن ! لقد كنت الساعة اراك في احلامي وكنت انظر اشباحا بيضاء تمر عليَّ تلو بعضها

(١) اسفل الجبل

سيلفيا

واها لك! لم تكن الا أشعة الكواكب تخلل الاشجار

زانيتو

لا فما رأيته في عالم الرؤيا هو عين ما اشاهده الآن واني لأتصور انني عرفت صوتك أيضاً . ولو ان النائم لايعي شيئاً لكن روحه تسبح في عالم الخيال فترى وتسمع وتحدث وكنت اسمع ايضاً انغام موسيقى شجية لم اسمع مثلها في المقام الدنيوي

سيلفيا

ما سمعته من الالحان الموسيقية لم تكن الا الاشجار تعبث بها الصبا فتمايل غصونها ويسمع حفيفها

زانيتو

ولكن من تكونين اذاً ؟

سيلفيا

انني مفاجئة اعرض عليك طعاما ومأوى ان كنت في حاجة اليهما

زانيتو ( وهو مطيل النظر اليها )

شكراً لك فقد تناولت عشائي متأخراً واستكفيت من النوم

سيلفيا ( تخاطب نفسها على حدة )

اتقي الله وكوني عفوة ايتها المرأة القاسية ! الا تفكرين ان الكل يؤاخذك بل يصعب لعنائه عليك ان مس حبك هذا الغلام الغر بسوء

( ثم تخاطبه )

الا يحق لي معرفة من ينام تحت نافذتي ؟

زانيتو

لك ماتبغين فاني لا اروم الخفاء ومهنتي موسيقار[١] واسمي زانيتو . ومنذ طفولتي وانا اجوب الآفاق وحياتي اسفار ورياضة واذكر انني لم ابت ثلاث ايام تباعا تحت سقف . واعيش من وراء عشرين مهنة صغيرة لااحتاج اليها ولكن احقرها عندي اجلها نفعا

اعرف كيف انزل السفينة في البحيرة وكيف اسيرها . واعلم كيف انتقي من الحديقة الغناء غصنين لدنين اشد عليهما الشباك بمثابة سرير وثير . وأدري كيف اطلق الكلاب السلوقية مثنى وراء الصيد . واعرف كيف اذلل الصعب من الجياد . واعلم كيف اصوغ القوافي وانضدها كعقود الجمان في جياد الحسان . وفضلا عما ذكرته من الفضل الذي لايدانيني فيه مدان . في حلبة الرهان . ادري كيف اربي البزاة والصقور وادربها الصيد . وفي الموسيقى لاسيما المزهر اعد من الرؤساء الفضلاء

سيلفيا ( وهي باسمة )

انت حائز لكل هذه المهن والفنون وتقضي اغلب لياليك طاويا[٢]

زانيتو

لقد صدقتك فيما سردت واني لااعرف لنفسي ترتيبا ولا قاعدة

---

(١) موسيقي (٢) جائعاً

اسير عليها وساعة طعامي ليست محددة اذ طالما نسيتها لان بلادنا لا تعرف للضيافة حقاً وكثيرا ما اكون بعيدا عن بيوت الهناء والنعيم منزويا في ركن من غابة . وقد رددت قبل مجيئي غائلة السغب (١) بقليل من البندق وذلك جمل في روح السنجاب (٢) ورشاقته

وبعد فكان الناس يحسنون وفادتي ويلقونني بالايناس والترحاب لاني لا اشغل مكانا عظيما ويكفيني الشيء النزر

الج القصور ليلا واعرض على اهلها ان اشنف اسماعهم برقيق الاغاني وشجي الالحان وهم على المائدة ثم اصدح بصوتي الرخيم الرنان فاسترق الاسماع والقلوب. وانال كل مرغوب ومطلوب. ويعطف عليّ رب القصر ويتحفني بذراع من الاروى (٣) الشهي وطير سمين وان اشتهيت شيئاً من الصحاف الحارة فما هي الا نظرة اليه تكفيني مؤونة الطلب وان هو الا لمح البصر أو هو اقرب ويكون امامي الصنف الذي تاقت نفسي اليه

سيلفيا

قد وعيت جميع ماسردته واظنك متمما ترحالك الى فلورنسا

زانيتو

سأتممها بلا ريب ولكن لو اتفق وتقاطع امامي طريقان اقصد اجملهما وأضرب صفحا عن عزمي السابق . اتبع اهوائي في اسفاري

(١) الجوع (٢) حيوان صغير في حجم القط وله ذيل طويل ووبره مسترسل يأوي الى اشجار البندق (٣) نوع من الحيوانات يقرب من الغزلان شكلا

واجوب البلاد كالسحاب او كالاوراق الذابلة تطير كما تهوى الرياح . لا يُعلم من اين أتيت ولا اين ألقي عصا الترحال . فمثلي كمثل الشاعر أو المجنون يهيمان في كل واد . اتبع الطير في مسيره وتسمع اغانيّ مرة واحدة لانني لا امكث في البلدة الا ريثما ابتاع بعض الازهار الجميلة لأزين بها مزهري

انا الرحالة العجيب الذي حكم عليه الناس بالخفة والطيش ويمرح في ربيعه السادس عشر . ان امطرت السماء استترت تحت الخمائل المتكاثفة ريثما يسكن المطر ثم اخرج من الغابة المبللة ضاحكا من قوس قزح

لم اجشم نفسي للحصول على الغنى والسعادة كما انني لم اصادفهما قط . واني كالحاج المسافر في ضوء القمر يشرب من الينبوع المنفجر ويخوض النهر من المخاضة . مداوم سيره لا يقعده تعب ولا نصب

سيلفيا

الم تفكر قط في الاقامة بعد هذا السير المتواصل الذي تبثه فيك روح النزق والطيش . وانك لتؤمل الاماني والآمال من الغد الخفي المبهم . اما بصُرت في ترحالك بمنعطف الطريق ببيت صغير خيم عليه السكون والدعة وهو في حلته البيضاء الناصعة تكسوه النباتات المتسلقة التي حوت من احاسن الازهار واريج الورود وببابه كلب جميل امين

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وبنافذته المفتوحة فتاة هيفاء دعجاء تحييك وانت مار

زانيتو

طالما تيقنت ان اناشيدي اشبه بحجر يقذف به في خميلة فيهيج منها ما كمن من الافاعي كبيرها وصغيرها . واني امام هـذا المنظر الذي لا يميل اليـه الا كل حوشي سوقة اراني لا آلفه لكوني احب ان اترك الاسر وشأنهم من الدعة والسكون

سيلفيا

الا تغرق في بحار امانيك حينما تبتسم لك الفتيات الحسان بما يخجل البدور ويطرحن عليك من الازاهير التي يعلقنها بصدورهن

زانيتو

وما الفائدة من جراء ذلك ؟ بل كنت ارسل اليهن قبلة من بعيد واذهب لشأني . وقـد بينت لك ان اثمن الاشياء عندي الحرية . وان احببت واطلقت لنفسي العنان في الحب صرت اسيره وافقد رحلي الشائقة واني الآن خفيف العبء لا احمل الاريشة ازين بها قلنسوتي ومزهري على كتفي . واما الحب فحمل ثقيل ترزح من ثقله القلوب الشداد

سيلفيا

انك لطير صعب المراس لا يستطاع امساكه في قفص ليستأنس ويستألف

زانيتو

ان ذلك لمحال

سيلفيا

الا يفكر طيرنا ان يصنع له عشا يوماً ما يأوي اليه

زانيتو

لا لا ! فانني ارتعد خوفاً حينما اسمع اسم الحب . وانك لا تعرفين حلاوة السفر ولذته كالفراش[١] المتنقل على جميل الازهار لا يلبث على احداها الا ريثما يمتص رحيقها[٢]

سيلفيا

ليست السعادة ما تظنه. انك ذاهب الى فلورنسا ولا امل يقودك. يرشدك الاتفاق وتأخذ بيدك المصادفات . وقد استعذبت الطريق الجميل . ونسيم الليل العليل البليل . تتبع خُطَّافاً[٣] طائراً. او صبا[٤] سائراً

زانيتو

الامر كما وصفت

سيلفيا

قد عرفت سيرك ولكن غاب عني مقصدك

زانيتو

انه لمبهم

---

(١) ابو دقيق (٢) اصطلح كتاب علم النباتات على تسمية المادة العسلية التي تفرزها بعض الازهار بالرحيق (٣) الطائر المعروف عند العامة بعصفور الجنه (٤) نسيم الصبا

سيلفيا

وماذا يكون

زانيتو

اني لا أعلم ما في الغد

سيلفيا

اود ان امد اليك يد المعونة

زانيتو

لست في حاجة اليها وربما لا اخطو خطوة واحدة بعد جميع مامضى . وان نفسي تحدثني بامر ذي بال وذاك ان مثلي من لا يعلم له ابًا ولا امًّا لا يبعد ان يكون ابن قروي حقير او ابن سيد امير ولكن يغلب على ظني اني ولدت في صبيحة يوم جميل من ايام الربيع لان شعاع السرور المرتسم في رأسي يمنعني ان اظنني يتيماً ولغاية الآن وانا جائل كالفلوّ (١) فرحًا مرحًا لا اطمع في عيش ارقى مما انا فيه . ولكنني يلزمني ان ابوح لك ياسيدتي بما يخالج صدري لما آنسته منك من اللطف والرقة في مخاطبتي . فقد عاودتني الذكرى القديمة المبهمة فتذكرت اختا لا اعلم الآن خبرها وما فعل بها الدهر

وحينما افهمتني حقيقة المأوى الذي تكتنفه السعادة من كل صوب وهو بعيد عن اعين الناس تظله النباتات الجميلة التي اكتست بابهى

(١) ولد الفرس

الازاهير اراني الآن قد ابتدأت ان اشعر بوطأة التعب والنصب مما تكبدته من مشاق الترحال والاسفار

ولقد تاقت نفسي لما عرضته عليّ واراني منقاداً طائعاً لنصحك فكوني طيبة القلب كما انت جميلة الطلعة . افلا تجربين اذن ان تحفظي هذا الطير الشارد بجانبك ليألف ويستأنس بعد نفوره

واني اعاهدك بان اهجر عيشتي السابقة التى لا نظام لها واعيش هنا ولا قصد لي الا ان اقضي عامة اليوم جالساً على وسادة تحت قدميك اسامرك بما يقتل الوقت واشنف منك السمع باناشيد ترنح منك الاعطاف وترقص ما يجول بخاطرك من الاماني والآمال

سيلفيا

ما أنت الا طفل !

( ثم تناجي نفسها على حدة )

مالي أراني مضطربة خائفة من ان احوزه بجانبي واحوطه بصنوف الاعتناء والحنان ويستهوي سمعي حينما يناديني يا حبيبتي وهنالك محط آمالي !

زانيتو

فهل لك فيما بحت به اليك

سيلفيا ( على حدة )

وان قبلت ؟ لا فذاك محال ! ولكنه هو الذي عرض عليّ الامر بنفسه

زانيتو

اعلم يا سيدتي ان هذا منك كريم عظيم ولكن هل تسمح ارادتك؟

سيلفيا (على حدة)

سيعلم غداً من انا

زانيتو

ما رأيك اخيراً؟

سيلفيا

لا استطيعه

زانيتو

ولِمَ لا تستطيعينه؟

سيلفيا

لست المرأة التي تظنها اذ لا يقوم باعباء ما تتمنى الا سيدة سرية لتعول امثالك من الشعراء والموسيقيين وترعاهم بعظيم عنايتها. اما انا ففقيرة يعوزني المال والرجال

زانيتو

امالك حاجب من الشرفاء؟

سيلفيا

لا

زانيتو

ولا خادم

سيفليا

كلا

زانيتو

انني اقنع بثمرة واحدة اتناولها في العشاء ويكفيني كرسي انام عليه

سيلفيا

ليس في الامكان

زانيتو

ولكن

سيلفيا

انى ارملة لم تقض ايام حدادها وعائشة وحدها

زانيتو

وا أسفاه ياسيدتي فاني لا اتطلب الا ان اعيش تحت قدميك

سيلفيا

قد طلبت محالاً

زانيتو

وداعاً لحظ سعيد هنيء تمناه القلب واشتاقت اليه النفس ولكني لا ايأس من رحمة الله فلربما صادفت من سيلفيا من الهناء اسمده ومن النعيم أرغده

سيلفيا ( على حدة )

ماذا يقول ؟

زانيتو

حيث استحال العيش بجانبك في الدعة والسكون مما حدثتني به النفس وانا مصغ لما سردته عليّ من الحديث فعلى الاقل جودي عليّ برأيك ومحضيني النصح . فقد انبئت منذ ايام ان في فلورنسا سيدة لم يثبت امامها قلب من القلوب ونظرة منها اشد فتكاً من السهم المريش وكافية لان تطرح تحت قدميها اشد الرجال بأساً . ولا ريب انك تعرفين اسمها وهو ( سيلفيا ) ويقال انها تعيش ببذخ ورفاهية والناس تفد عليها من كل فج عميق والسعيد من وفق لان يمكث عندها بضعة ايام . وهي تهوى الموسيقى الشجية من يد عالم ماهر ولا سيما المزهر وقد صممت ان ايممها

سيلفيا ( على حدة )

اللهم رحمتك !

زانيتو

اني لا استطيع ان اجدلي مهنة في قصرها ولكن نفسي تثور فيها عواطف الكبرياء والأعجاب. ويشاع انها ذات جمال ساحر وحسن باهر ومن عاش بجانبها لا يستنشق الا نسيما مشؤوماً مسموماً واني لموجس خيفة فما قولك ياسيدتي وقد ائتمنتك وجعلتك موضع ثقتي .

وانك نبذت ما عرضته عليك ولكن مهلا فانك لم تبتي الامر بعد . وليت شعري لِمَ ارتسمت هذه الفكرة في مخيلتي وهو ان قلبك تحوي

مفعم بحب يفوق حب الام لولدها وتودين لي الهناء والسعادة واني لتابع لارشادك ماعشت فهل اقصد سيلفيا ؟

سيلفيا ( على حدة )

قد فهمت الامر وسيعود غداً هذا العابر الذي يسمى الحب بلفظه ومعناه بل هذا الخفي الذي ملأ قلبي حنواً ورقة وقد طوح به الى الحظ وان هو الا السعادة المارة وانا اطردها ! لا لا فالنفس لا تقوى على اخماد عواطفها الثائرة واني اريد ان . . .

زانيتو

الا تعيرينني سمعك قليلا فانك التزمت الصمت

سيلفيا ( على حدة )

ان هذا لعار ولكنني ساعتذر بان حظينا السيئين اختلطا مع بعضها

( على مسمع منه )

اتريد رأيي ونصحي ؟

زانيتو

اجل

سيلفيا ( بعد سكوت برهة تتكلم بتكلف عظيم وشدة )

اطعني ولا تقصد هذه المرأة التي تدنست بالعار وانك لغر لا تعرف هذه الامور حدث سليم القلب بسيطه لا تدري بما يحفك من الضرر والسوء

ولو اني لما لم استطع ان اؤيك واواسيك كنت والاسف ملء فؤادي اول رافضة لبغيتك ولـكني قادرة ان انجيك الآن مما سيحيق بك من المكروه لو انقدتَ لرأيك

وكيف وانت ابن الغاب الذي يسير فرحا مرحا تداعب الصدى[1] وتمدو وراء الطير ويظلك الغمام ويرويك الينبوع بزلاله البارد

انت الذي تيمتك الطبيعة بمحاسنها حتى خلا قلبك من كل شيء تصنعه يد الانسان . وتغني متهللا كالطير في سمائه وانت مبلل الخدين بالندى تود ان تلج هذه الدار المشؤومة المحتقرة

اتدخل مع شمس الصباح بهوا[2] لم تكد تنتهي فيه ولمية الخلان لتدنس شفتيك النقيتين بكأس ابتذلتها الرفاق والاخوان وتأكل فضلتهم الفاضحة الممقوتة

اتود ان تقع في مهاوي الفسق بالنظر الى عينيها اللتين اذبلهما السهر وذهب بطلاوتهما العهر . فاتق الله في عينيك المزريتين بصفاء السماء وشعرك البهي العسجدي

اتطمع ان تنال من سيلفيا طعاماً ومأوى بانشودة او لحن . فعفوا ايها البريء الطاهر الذيل فاني اخاطبك بلهجة حادة قاسية مع اني في حاجة الى العفو والاغضاء وتراني الآن مضطربة ولـكن ذلك من فرط حبي لك كطفل تريد ان تنتشله امه من مخالب الهلاك

(١) رجوع الصوت في بعض الاماكن (٢) القاعة الفسيحة المعروفة (بالصالون)

فابق على حالك من جوب البلاد راتعاً في المروج النضرة الزاهرة والرياض الاريضة المونقة يصدح فيها مزهرك كثول[١] من النحل وان اكفهرت السماء فما عليك الا ان تذهب الى صاحب القصر الهرم أو القروي ريثما يروق الجو ثم تتم ترحالك . وان صادفك في طريقك في يوم باسم الصباح صافي السماء فتاة حقيرة ضربت من الملاحة والطهارة بسهم وافر وتليق لان تكون لك عروساً فعندها تلقي عصا الترحال . وتحط الرحال . وتعيش معها مطمئنا خالي البال . والحصاد مهنتك . فهناك ترى السعادة التامة والهناء العميم . والنعيم المقيم

زانيتو

اني لك مطيع ولكن ربما كانت هذه المرأة براء مما ألصقته بها الالسنة الحداد . ومن اخبرني بنبأها قال لي ان قصرها يكاد ان يكون هادئاً مطمئنا واني اعاهدك ان لا اعمها ما دمت تعلمين طلها[٢] ...

( يلمح من سيلفيا اشارة تألم )

عفوا فقد مسست منك جرحا داميا على ما اظن . اما قلت لي منذ هنيهة انك تقضين الحداد وذاك لا يكون الا لفقد حبيب عزيز او اخ او خطيب وربما كان ذهب ضحية لسيلفيا هذه

الم يكن ما جاش بخاطري قريباً من الحقيقة فكوني طيبة القلب وعفوا اذا تصورت انك تسرب اليك عقارب الغيرة ظانة انني ارمي الى زواجها

(١) السرب من النحل (٢) خبرها

سيلفيا ( وقد اكفهر وجهها )

لقد غرك ياصديقي الشك فاني لا آسف على أخ ولا حبيب ولكنه طبيعي رحمة وشفقة على سيلفيا عالمة انها في الحقيقة اهل الآن لكرم يحمي براءتها ولكن واها لغرض قاس من مسير على الثلوج لاتستطيعه الاقدام. وهي في الباطن تكره الرشيق القوام الطاهر الذيل . فارحل واعلم ان جل نصحي لك ان لاتعرج عليها فهيا اذهب بسلام

(ثم تسمع بلهجة الالم)

انك لاتعلم حرج الموقف وما يشق عليَّ من أمرك واجري عظيم ان ضلَّت خطواتك عن هذا الطريق واني لأستحق على هذا البر الجليل اكثر من الشكر والثناء الجزيل

( على حدة )

قد قضى الامر ولكن واأسفاه ان وقف على حقيقة امري

زانيتو

اني لااعرج عليها اذا كنت حكمت عليها بحكمك هذا وسأرحل ولو اني لااجد اليوم الا قليلا من السعادة عما سبق لي من الحياة المشحونة بالوقائع التي صادفت فيها كل الابتهاج والبشر . وتصعب الراحة والمقام لمثلي لاني لمع لي بارق امل ضئيل من السعادة

وحينما رفضت ماعرضته عليك شممت من لهجتك حنوا ورقة

يخالطهما تأثر استنبطت منه انك تكتمين شجوناً عظيمة دليلها القاطع لفظة التأسف الحلوة

سيلفيا (تناوله خاتماً)

لقد صدق ظنك ! خذ هذا الخاتم تذكاراً

زانيتو (باشارة رفض)

لا ياسيدتي وانه لعلى طراز قديم من ذهب جيد ومزين بفص كبير من الماس النادر وهذا ما لا استطيع قبوله فشكراً لك. وكيف اقبله وانت ارملة فقيرة

سيلفيا (على حدة)

ليت شعري هل عرف جليّ حالي وعلم من اين جاءتني هذه الحلي المشؤومة ؟ اراه التزم الصمت وينظر اليّ نظرة تغض مني الطرف حياء وخزيا

(بصوت عال)

ماذا تود ان اعطيك؟

زانيتو

اشتهي تذكارا لاعطاء واحسانا شيئا لا يقوّم بقيمة ولكنه عزيز عندك . ابغي هذه الزهرة الذابلة التي كادت ان تجف في شعرك الفاحم

سيلفيا (تعطيه الزهرة)

وا أسفاه ! خذها وقبل طلوع النهار ستذبل هذه الوردة في يدك واملي ان تذكرك عهدي بان تنساني عند ماتذبل . واني اودعك الآن ايها العزيز

زانيتو (يقترب من سيلفيا وهي تبتعد عنه)

سيدتي ! لي كلمة اخيرة اقولها والاضطراب يلعثم لساني واخاف ان آخذ طريقي الابدي وكما يخيل الى اني ضللت طريق السعادة ولا مسلك هنا يوصل اليها فعليك اختيار احب الطرق لاسير فيه فامنحني الفكرة والبصيرة. وسأستقبل الجهة التي تشيرين اليها متكلا على الله وحسن حظي

سيلفيا ( وقد صعدت الى وسط سفح البيت )

( مشيرة الى الجهة المقابلة للمدينة)

اذهب الى ناحية الفجر

( ثم يخطو الى سيلفيا بعض خطوات ولكنها توقفه باشارة منها فيذهب يائساً )

سيلفيا ( وهي وحدها )

( تمسك آونة متكئة على مرفقها ناظرة الى زانيتو وهو يبتعد ثم تغطي وجهها وتبكي بكاء مراً )

بارك الله في الحب فاني الآن استطيع البكاء

# Edmond Rostand

## ايدمون روستان

بدر بزغ في سماء الشعر وفن الروايات التمثيلية ولد بمرسيليا سنة ١٨٦٨ وقد ابتدأ في عالم التأليف بمجموعة في النظم سماها ( اللهو بالترهات والسفاسف ) جمعت بين البلاغة والرقة . ثم ظهرت اول رواياته التمثيلية ( المولعون بسير ابطال القصص ) سنة ١٨٩٤ وهي نظمية ذات ثلاثة فصول حوت روح ( ماريفو Marivaux )[١] وأسلوب ( بانفيل Banville )[٢] ثم اتبعها برواية ( الاميرة البعيدة ) سنة ١٨٩٥ وهي طلية النظم منسجمة العبارة استخرجها من سيرة من القرون الوسطى وبعدها بسنتين مثلت رواية ( السامرية ) وهي مستنبطة من الانجيل بديعة القريض رقيقة العبارة

وأهم مؤلفاته رواية ( سيرانودو بيرجيراك ) سنة ١٨٩٧ وهي شعرية حماسية ذات خمسة فصول اهتزت لها اعطاف البلاغة طرباً وسارت بذكرها الركبان أوجد فيها مشرباً في الشعر مضادا لمذهب المحققين الفاضحين الذين يكشفون جميع ما استتر بلهجة تهكم قارصة وهي في النظم

---

(١) كاتب روائي مشهور بسيط الانشاء سامه رقيق العواطف ولد سنة ١٦٨٨ ومات سنة ١٧٦٣ (٢) نابغة من شعراء المذهب المطلق مشهور بمتانة قريضه وبلاغة شعره ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٨٩١

بيت القصيد من شعر المؤلف تضم بين سطورها حماسة وحمية وشجاعة ومروءة منسجمة القوافي شائقة المعاني

وفي سنة ١٩٠٠ كتب رواية (الهيثم)[١] وبطلها (الدوق دوريشتاد) اي نابليون الثاني وقد صادفت اقبالا عظيماً وتحلت بمحاسن السابقة

وقد انتخب المترجَم في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٩٠٢ واصبح أمير الشعراء وله عدة قصائد نشرت على حدة وكان لها استحسان عظيم

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر ديوان في الشعر لاحدى الآنسات وهي في ربيعها التاسع عشر باسم (المزامير) بديع النظم رائق المعاني لا يشوبه التكلف فدهش المجمع العلمي حينما قارن بين عمر الفتاة وديوانها العظيم ومنحها جائزة عظيمة. فتزوجها شاعرنا هذا في السنة التي ظهر فيها ديوانها وهي السيدة (روزموند ايتيينيت جيرار) من الشعراء المشهورين ولدت بباريس سنة ١٨٧١ وهي ابنة (الكولونيل كونت جيرار) وحفيدة الماريشال (جيرار)

---

(١) النسر الصغير

## ملخص رواية سيرانو

رواية حماسية ذات خمسة فصول بدئ بتمثيلها بباريس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٧ بمرسح ( بورت سان مارتين ) فحازت اقبالاً باهراً وكانت مجداً وفخراً للشاعر لما انطوت عليه سطورها من الفكاهات والهزل الرقيق والاسلوب الادبي الطلي ومتانة القريض والحماسة الشائقة والمعاني الرائقة والروح الفرنسية الصريحة .

وهاك الموضوع :

نتبع سيرانو دوبيرجيراك ( وهو من مشاهير شعراء القرن السابع عشر ) الى « نزل البورجوني » وهناك احتشدت الجموع من سكارى وسراة وممثلين وموسيقيين وغيرهم . ثم نعرج على طاهي الشواء واصناف الحلوى « راجنو » وكان شاعراً يضحك من رآه اذ كان يملأ اكياس الورق الذي يلف فيه الحلوى بقصائده وعند ما يأتي مشتر يقف امامه زمناً طويلاً ريثما يقرأ الطاهي قصائده المكتوبة على الاكياس وينتقي واحدة منها اذ كان يضن بها وتذهب نفسه حسرات عليها

وهناك يدري سيرانو ان « روكسان » التي تهيم هواها تميل الى « كريستيان دونوفييت » فيصطحب مع هذا المنافس المزاحم ويدعوه ليسمع مع الجميع القصيدة المضحكة التي يصف بها انفه الكبير فيغرق الجميع في الضحك من هذه القصيدة التي حوت من الملح والفكاهات ارقها ويزينها الالقاء البديع والفصاحة التي منحها هذا الشاعر

وصار سيرانو يساعد كريستيان في استمالة روكسان بان يمليه الرسائل البليغة لحبيبته حتى اغترت به وظنته انه هو المحرر لها وازداد حبها له بفضلها .

ثم ننتقل بالقارئ الى بيت روكسان فنرى كريستيان واقفاً بعد الغروب تحت طنف البيت وقد علته الكآبة واكمده الاسف فينظره سيرانو وهو مار فيستغيث

به كريستيان ليتشله من ورطته لانه كان عيا فظا. وقد ارادت روكسان ان يجالسها للسمر فكان لا يعرف ان يخاطبها بكلمة غير قوله : « احبك » وصار يكررها حتى سئمت منه وقالت له حدثني عن الحب وكيف يكون فلم يحر جواباً فقالت له عبر عن وجدانك وشعورك على الاقل . فما كان منه الا ان لبث امامها كالبهيمة لا يدري غير قوله « احبك » حتى ضايقها وطردته

ثم رق له سيرانو ووعده بالمساعدة واختبأ تحت الشرفة واشار عليه بان يناديها فاطلت من نافذة الطنف وصار يلقنه سيرانو الجواب بعبارة بليغة واشارات دقيقة حتى ادهشها بفصاحته ومنحته القبلة التي طلبها منها في عرض كلامه حينما رآها رضيت عنه بعد نفورها وغضبها ثم تزوجت به بعد مدة قصيرة

ثم سافر سيرانو هو وكريستيان الى معسكر « اخوان الجاسكونيين » ضمن الجند الذين سافروا وتبعت روكسان زوجها وهناك قتل كريستيان برصاصة من الاعداء ودفن معه سر الغش والخداع الذي رتبه سيرانو ولعب دوره برشاقته المعهودة . وبعد موت كريستيان لبست روكسان ثوب الحداد ودخلت الدير

وبعد اربعة عشرة سنة التقت بسيرانو وصار يتردد عليها في بعض الاوقات ويقص عليها سيرته الماضية واخباره سنة بسنة . وحبه لها ما فتيء يجري في عروقه مع دمه الى ان اتى يوماً من الايام وقد اغتاله احد الخدم وضربه بالسيف على ام رأسه فضمد جرحه وذهب الى روكسان لينظرها النظرة الاخيرة قبل موته واعترف لها استدراجياً بحبه وانه هو الذي لعب هذا الدور الختال وخلب روكسان وانه ما برح كاتماً حبه فتأثرت روكسان ورقت له ورثت لما قاساه هذه الاعوام الطوال بسببها وبكت وكان بودها لو يعيش وتقاسمه هذا الحب العذري والوفاء والاخلاص ثم قبلته في جبينه وهو يعترف لها بآخر كلمة الى ان اسلم الروح بين يديها

## سيرانو دوبيرچيراك

## Cyrano de Bergerac

Scène du Balcon

(منظر الطنف [1])

روكسان

بخ بخ اهذا انت ؛ قد خيم الظلام فانتظر اذ ابتعد الجمع والهواء لطيف والطريق قفر فلنجلس لنتجاذب أطراف الحديث. وهات ما عندك فاني صاغية

كريستيان

« يجلس بجانبها على المقعد وبعد سكوت برهة يقول »

احبك

روكسان (تقفل عينها)

نعم حدثني عن الحب

كريستيان

احبك

روكسان

هذا هو الموضوع فانسج القول

كريستيان

انا . . .

(١) البلكون

روكسان

صغ القول

كريستيان

احبك كثيراً . . .

روكسان

بلا شك . ثم ماذا ؟

كريستيان

ثم . . . انني اكون مبتهجاً اذا احببتني ! — اجيبيني ياروكسان اذا كنت تحبينني

روكسان (عابسة الوجه)

انك تقدم لي الحساء [١] بينا اشتهي الزبدة ! فخبرني ببعض كلمات كيف تحبني

كريستيان

ولكن . . . كثيرا

روكسان

اواه ! . . . صرح بوجدانك وشعورك !

كريستيان

« وهو مقترب منها وناظر لعنقها الوضاء بعين ملؤها الشره والنهم »

بودي لو الثم جيدك ! . . .

(١) ( الشربة )

روكسان

يا كريستيان !

كريستيان

احبك

روكسان ( وقدهمت ان تقوم )

رجعت الى النغمة الاولى

كريستيان ( وقد امسك بها )

لا ! فاني لا احبك !

روكسان

ان هذا لمن حسن الحظ !

كريستيان

احبك حباً شغف فؤادي

روكسان ( وقد همت واقفة وابتعدت عنه )

اواه !

كريستيان

نعم . . . فقد صرت أحمق !

روكسان ( بخشونة )

هذا لما تعافه نفسي كما انك تزداد قبحاً في عيني من وقت لآخر

كريستيان

ولكن . . .

روكسان

هيا اجمع فصاحتك الهاربة المشتتة

كريستيان

انا ...

روكسان

اعرف جيداً انك تحبني فاستودعك الله

كريستيان

لا تسرعي فسأقول لك ...

روكسان ( تدفع الباب لتدخل )

بانك تحبني ... نعم واعلم ذلك. لا لا ! فاذهب بسلام

كريستيان

ولكني...

« ثم تقفل في وجهه الباب »

سيرانو ( وقد دخل منذ هنيهة دون ان يرى )

هذا فوز باهر!

كريستيان

اغثني

سيرانو

لا ياسيدي

كريستيان

اني اموت اذا لم احظ منها الساعة بالقبول والرضا

سيرانو

وكيف استطيع ايها الاحمق ! اذ ليس في الامكان حتى ارشادك الآن

كريستيان ( وهو يمسك ذراع سيرانو )

هاك انظر ! ( يرى نافذة الشرفة مضاءة غرفتها )

سيرانو ( وهو مضطرب )

نافذتها !

( كريستيان صائحاً )

سأموت !

سيرانو

خفض صوتك

كريستيان ( بصوت خافت )

الموت

سيرانو

أرى الظلام حالكاً . . .

كريستيان

وما العمل ؟

سيرانو

الامر متدارك ولكنك لست اهلاً له . . فقف ايها التعس امام الطنف واني سأختبيء تحته وألقنك ما ستخاطبها به من الكلمات

كريستيان

ولكن . . .

سيرانو

اصمت

الحاجبان ( وقد ظهرا من بعيد يشيران الى سيرانو )

من ذا !

سيرانو

صه ! ( ثم اشار اليهما بخفض صوتهما )

الحاجب الاول ( بصوت منخفض )

نحن آتيان من مونفلوري اذ كنا نترنم تحت نوافذ الحسان على نغم العيدان

سيرانو ( مسرعاً في كلامه )

هيا اكمنا في جوانب الطريق وان مر احد مضايق فاضربا لنا لحناً !

الحاجب الثاني

اي لحن ايها السيد الجاصاندي [1] ؟

سيرانو

لحن مضطرب ان مرت امرأة . ومحزن ان مر رجل !

( يفترق الحاجبان وينزوي كل منهما في ركن من اركان الطريق ثم يوجه خطابه الى كريستيان )

ادعها !

---

(١) نسبة الى مذهب الفيلسوف جاصاندي

كريستيان

روكسان!

سيرانو ( وهو يلتقط الحصى ايرمي به الواح زجاج النافذة )

انتظر ريثما نجمع بعض الحصى

روكسان ( وهي تفتح نافذتها )

من يناديني !

كريستيان

انا

روكسان

وما أنا ؟

كريستيان

كريستيان

روكسان ( باحتقار )

اهذا انت ؟

كريستيان

أريد أن اخاطبك

سيرانو ( وهو تحت الشرفة مشيراً الى كريستيان )

حسنا فتكلم بصوت خافت

روكسان

انك لا تفصح الكلام فاذهب بسلام

كريستيان

عفواً ؟ . . .

روكسان

لا ؛ فانك لا تحبني أبداً ؟

كريستيان ( يلقنه سيرانو الجواب )

يالله ؛ تتهمني بادعاء الحب بيننا حبي في ازدياد واشتعال

روكسان ( وكانت عازمة ان تقفل النافذة فتوقفت )

عجباً ؛ فان هذا افصح من ذي قبل

كريستيان ( ملقنا )

الحب يشب في قلبي متأرجحا في مهد روحي الحائرة فما اقسى هذا الطفل الذي اتخذ روحي مهدا له

روكسان (وقد تقدمت الى حافة الطنف)

هـذا من الحسن بمكان ؛ ولكنك احمق لكونك لم تخنق هذا الحب في مهده اذ وجدته قاسياً ؛

كريستيان ( ملقنا )

لقد سولت لي نفسي ذلك وهممت به ولكن بغير طائل فان هذا الطفل ياسيدتي اشبه بهرقل [١] صغير

روكسان

ما احسن هذا القول ؛

(١) اقوى الابطال في ( الميتولوجيا )

كريستيان ( ملقنا )

حتى انه خنق ثمباني الكبرياء والشك بدون ادنى مبالاة

روكسان

لافض فوك ! ولكن لِمَ تسرعت في الاندفاع في القول دون استدراج ؟ فهل اصبت في عقلك ؟

سيرانو ( وقد جر كريستيان تحت الشرفة ووقف محله )

صه فقد اصبح الموقف حرجا ! . . .

روكسان

أراك اليوم تتكلم مترددا في القول فما الذي عراك ؟

سيرانو ( متكلما بصوت خافت مقلداً صوت كريستيان )

قولي متردد لانه يتخبط في الغياهب باحثاً عن أذنك

روكسان

ولكن كلماتي لم تتعثر في مخارجها كما تعثر كلماتك

سيرانو

ستلقى هذه العثرات في القريب العاجل ! وهذا يأتي بطبيعته وان فؤادي لواع وحافظ لجميع قولك وهذا مما يدل على عظم قلبي وصغر أذنك اذ يلقف كلماتك اسرع من البرق ولكن كلماتي ياسيدتي حينما تصعد اليك يلزمها وقت كاف

روكسان

ولكني اجد انها تصعد اليَّ منذ هنيهة اطيب من قبل

سيرانو

قد تعودت من هذا التمرين !

روكسان

اني احدثك من علو شاهق !

سيرانو

صدقت وانك لو رميتني من حالق [١] بكلمة قاسية لقتلتني !

روكسان ( وقد همت ان تنزل )

انزل اليك ؟

سيرانو (بنشاط )

لا !

روكسان ( مشيرة الى المقعد تحت الطنف )

أسرع وتسلق المقعد

سيرانو ( وقدزاد اضطرابه )

دعيني انتهز ما تنفحني به الفرص من استطاعة التكلم بلطف دون مشاهدة

روكسان

دون مشاهدة ؟

سيرانو

نعم فان هـذا ليجذب القلوب . وانك ترين هذا الظلام المعتم وقد

(١) الجبل العالي

مد رواقه واني ألمح بياض ثوب من ثياب الصيف وما انا الا الظلمة وانت الضياء ؛ وانك لاتدرين فضل هـذه الدقائق عليَّ ان انبعثت في بعض الاحيان من فمي الفصاحة والبيان . . .

روكسان

لقد أسعدتك البلاغة بنفحاتها

سيرانو

الى الآن لم يصدر كلامي من فؤادي (١) . . .

روكسان

ولِمَ ؟

سيرانو

لاني انما اخاطبك وانا بين . . .

روكسان

بين اي شيء ؟

سيرانو

بين صواب مفقود وفكر ضال اذ لا يثبت احد امام ناظريك ! . . .
ولكني يخيل اليّ اني سأخاطبك الآن للمرة الاولى !

روكسان

صدقت فانك تتكلم بصوت متغير

(١) لانه يتكلم عن لسان كريستيان ولم يبتدىء بالتعبير عن وجدانه وحبه

سيرانو

نعم متغير لاني في هـذا الليل الأليل الساتر الذي يحميني استطيع ان اكون انا نفسي واستطيع ان . . . (ثم يتوقف وقد كاد ان يغمى عليه)

اين كنت ؛ لا أعلم . . . كل هذا – عفواً عن اضطرابي فقد ثملت من لذة هذا الموقف . . . لانه لي جديد غريب !

روكسان

جديد غريب ؟

سيرانو (وقد انهكه التأثر والاضطراب وهو مجتهد في تدارك كلامه)

نعم جديد غريب ان يكون صادقا : فان خوفي من ان يهزأ بي ويسخر مني [1] ليلدغني في سويداء قلبي . . .

روكسان

ولِمَ يهزأ بك ؟

سيرانو

من عامل جاذب ! ... نعم فقلبي يكتسي دائما بعقلي ونفسي تحدثني بان اقتلع النجم من سمائه ولـكني اتوقف لغرابة الامر واستبدله بالزهرة

روكسان

ان الزهرة جميلة

سيرانو

فلنحتقرها الليلة

---

(١) لانه كان دميم الوجه كبير الانف ولم يظهر حبه خوفا من ان تهزأ به روكسان

روكسان

انك لم تخاطبني قط بمثل ما آنسته فيك الليلة من الرقة والبيان !

سيرانو

آه ! ان جرينا شوطا آخر في الكلام فهناك الكنائن [(١)] والشعل والسهام . والنجاة مقرونة بالاشياء الرطبة : ولنشرب نهلاً بدلا من التعلل بكاس صغيرة من الذهب الابريز من ماء ( لينيون ) العديم الطعم وان سولت لنا النفس بان ترى كيف تروى الروح ان شربت نهلا وغبت من النهر العظيم

روكسان

ولكن أين النكات الادبية اللطيفة ؟ . . .

سيرانو

كان ما كان لأطيل مكثك معي والآن ان تكلمنا كما ترومين فكأننا نهين هذه الليلة وهذا الطيب الزكي والساعة الهنيئة بل الطبيعة البديعة مثل ڤواتور Voiture ) وقصائده الصغيرة الرقيقة

ولندع السماء تجردنا من كل ما نتكلفه من القول بنظرة من دراريها. واني لمشفق ان يكون في كيميائنا اللذيذة ما يخشى عليه من تبخر العواطف أو ان النفس تنفد من ملاهيها التي تقتل بها وقتها بغير طائل وان لا يكون المكر العظيم غاية الغايات

(١) جمع كنانة وهي جعبة السهام

روكسان

ولكن أين النكات الادبية ؟ . . .

سيرانو

اني لأمقت النكات في الحب ! وانه لمن الجرم في الهوى ان يستغرق فيه في المجالدة بالبيض الصفاح . وفضلا عن ذلك فانه يأتي في بعض الاحيان قسراً ولا يغني منه حذر

لهفي على الذين لم يدركوا هذه الاحايين القهرية ! التي نشعر فيها بحبنا الشريف الذي تشجينا منه كل كلمة رقيقة !

روكسان

وان وافتنا هذه الاويقات فماذا تخاطبني به من الكلمات ؟

سيرانو

كل مايجيئني منها أرمي به اليك مكوماً دون تنضيده كباقة الزهر : فاني اهواك واكاد اختنق من الحب وقد شغفني هواك وجننت منه وليس في الجهد احتمال اكثر من هذا . واسمك في قلبي كانه في جلجل . واني لارتعد حينما يهتز الجلجل فيرن داخله اسمك

لم أنس ذكراك ومحب لكل بادرة منك واذكر انني في العام الماضي في اليوم الثاني عشر من شهر ايار رأيتك وأنت خارجة من البيت صباحاً وقد غيرت ترتيب شعرك الذي كنت استضيء بسناه الساطع مثلما يحدق الانسان ببصره الى الشمس فانه يرى هالة ذهبية على كل مايقع طرفه عليه

روكسان ( بصوت مضطرب )

نعم فان هذا من فرط الحب

سيرانو

حقيقة فان هـذا الشعور الذي يغالبني لغيور مزعج ولا مرية انه ناشئ من الحب وبه كل أوصاف الحدة المحزنة وفضلا عن ذلك فانه ليس معجباً متكبراً

ولو كان ينفعك ان أضم سعادتي وهنائي الى نصيبك منهما ليكون لك سهم وافر لفعلته لاني اسمع من بعيد ضحك ماتولد منهما مما ضحيته من حظي

كل نظرة من نظراتك تحدث فضيلة جـديدة وتعودني الجرأة . فهل فهمت الآن وصرت على بينة من الامر ؟ أتشعرين بروحي وهي صاعدة اليك في هذا الديجور ؟ واني لأحار في وصف جمال ليلتنا هذه ؟ واني أقص عليك كل هذا الحديث وأنت مصغية اليّ . ولم يحم أملي القانع على اكثر من هـذا ؛ ولم يبق لي الا ان أموت حيث بلغت غاية الغايات من الاماني والآمال !

وان كلماتي لهي التي هزت منك الاعطاف بين هاتيك الغصون كورقة يحركها الهواء بين أوراق الخمائل . وقد شعرت بارتعادك وعلمت انه وفق رغبتك اذ نمت أغصان الياسمين المتدلية بارتعاش يدك !

( ثم يقبل وهو تائه طرف غصن متدل من الياسمين )

روكسان

نعم واني لارتعد كالريشة في مهب الريح وأبكي اذ أحبك وانا لك فقد ثملت من حديثك

سيرانو

والآن فليأت الموت ! واني الذي عرفت كيف احدث هذه النشوة ولا اطلب سواها الا شيئاً واحدا . . .

كريستيان ( وهو تحت الشرفة )

قبلة !

روكسان ( ترجع القهقرى )

ماذا تقول ؟

سيرانو

اواه

روكسان

انك تطلب ؟ . .

سيرانو

نعم أنا . . .

( ثم يوجه خطابه الى كريستيان بصوت خافت )

لقد تسرعت وجريت لأبعد شأو

كريستيان

يجب ان ننتهز فرصة اضطرابها وننتفع بها

سيرانو ( مخاطباً روكسان )

نم ... طابت ... حقا ... فيالله ! لقد عاودني صوابي وعلمت انني زادت جرأتي

روكسان ( وقد انخدعت قليلا )

الا تلح بعدها في طلب شيءٍ آخر ؟

سيرانو

نم ! الح ... بل بغير الحاح فاني أرى الهموم تغالب حياءك ! واخيراً لا تمنحيني هذه القبلة !

كريستيان ( وقد جر سيرانو من عباءته )

ولِمَ ؟

سيرانو

صه يا كريستيان

روكسان ( وقد اطلت من الشرفة )

ماذا تقول بصوت خافت ؟

سيرانو

لاني جريت شوطاً بعيدا فزجرت نفسي قائلاً : صه يا كريستيان

( يسمع صوت العيدان )

مهلا ! . . . فقد جاء مار

( تقفل روكسان النافذة وينصت سيرانو الى نغم المزاهر )

( وقد ضرب أحد الحاجبين لحنا مطربا والآخر لحنا محزناً )

لحن مطرب ولحن محزن ؟ ... فما قصدهما ؟ هل أتى رجل ام امرأة ؟ لافهذا راهب

---

( لنضرب صفحا عن دخول هذا الراهب ومحادثته فليس فيها اقل أهمية )

---

كريستيان

نل منها قبلة لي ! . . .

سيرانو

لا لا !

كريستيان

هل فات الوقت او لم يحن

سيرانو

ستجيء هـذه الآونة التي تنتشيان فيها من لثم الثغور لكونك ذا شارب ذهبي وهي ذات شفة وردية

( ثم يخاطب نفسه )

وددت لو كانت هذه القبلة لسبب ...

( ثم يسمعان صوت النافذة وهي تفتح فيختبىء كريستيان تحت الشرفة )

روكسان ( وقد تقدمت الى الطنف )

اهذا انت ؟ كنا نتكلم عن ... عن ...

سيرانو

عن القبلة! وانها لكلمة لطيفة لا أدري لِمَ لا تستطيع شفتاك النطق

بها . وان احرقتهما فماذا يكون الامر ؟ فـلا تزعجي نفسك لاجلها

اما كنت تتركين بغير ان اشعر المزح ثم تتسربين دون ارتباك الى الابتسام متنقلة الى التأوّه ومنه الى ذرف العبرات . فما عليك الا ان تنتقلي برشاقتك المعهودة من البكاء الى القبلة فما يخشى منها الا ارتعاد خفيف !

روكسان

اطبق فاك أيها الأفاك

سيرانو

القبلة ما القبلة ؟ وما ادراك ما القبلة؟ قسم او وعد او اعتراف يحقق او نقطة وردية توضع تحت باء كلمة الحب بل سر مكتوم يلقفه الفم بدل السمع او لحظة جمعت فاوعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر . لها دويّ كدوي النحل بل تناول طعمه معطر كالازهار بل انها وسيلة يستنشق بها رائحة القلب ويذاق بها من حافة الشفاه طعم الروح

روكسان

مه !

سيرانو

ان القبلة لاشرف مما تتصورين ياسيدتي واقد منحتها ملكة فرنسا لأسعد لوردات الانكليز

روكسان

والنتيجة اذن !

سيرانو

عندي ما كان عند بوكنجام [١] من خفي التباريح والآلام واني احب مثله الملكة وما هي الا أنت وان هو الا انا مبلبل البال امين مثله

روكسان

اضربت من الملاحة بسهم وافر مثله ؟

سيرانو ( على حدة )

حقاً لقد نسيت اني جميل !

روكسان

هيا اصعد لتقطف هذه الزهرة التي مالها من نظير . . .

سيرانو( دافعاً كريستيان نحو الشرفة )

اصعد !

روكسان

نعم تذاق منها القلوب . . .

سيرانو

اصعد

كريستيان ( متردداً )

ارى انها ليست ملائمة الآن !

روكسان

نعم لحظة جمعت فاوعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر . . .

(١) احد لوردات الانكليز وعاشق آن دوتريش ملكة فرنسا

سيرانو ( وقد دفعه )

اصعد ايها الحيوان الاعجم !

( كريستيان يصعد متسلقاً المقعد ثم يمسك بالاغصان ومنها يخطو الى الطنف )

كريستيان

آه ياروكسان ! . . .

( ثم يعانقها ويقبل ثغرها )

سيرانو

اواه ! اية لدغة غريبة اصابت فؤادي ! — ايتها القبلة بل يامأدبة الحب التي انا محييها لقد تساقط عليّ في هذا الغيهب بعض من فتات هذه المأدبة . نعم يشعر قلبي انه هو الذي حظي بهذه القبلة حيث انه على هذه الشفة التي اغترت بها روكسان لتقبل الكلمات التي فهت بها منذ هنيهة

# Alphonse Daudet

## الفونس دوديه

روائي فرنسي من النوابغ الذين يعدون على الاصابع ولد بمدينة نيم سنة ١٨٤٠ وتوفي بباريس سنة ١٨٩٧

وبعد ما لبث استاذاً لكلية (أليه) مدة يسيرة رجع الى باريس سنة ١٨٥٧ وفي السنة التالية نشر كتاب (العاشقات) وهو مجموعة نظمية وان كانت بها بعض مواضع ضعيفة لكنها من الرقة والسلاسة بمكان

ومكث نحو عشرة اعوام يحرر في الجرائد وللمراسح . وكتب (رسائل ثرثاري[(١)]) سنة ١٨٦٦. واهم قصصه ورواياته: (الشيء الصغير) سنة ١٨٦٨ (وتارتارين تاراسكون) سنة ١٨٧٢ و (قصص يوم الاثنين) سنة ١٨٧٣ و (فرومون الصغير وريزليه البكر) سنة ١٨٧٤ و (جاك) سنة ١٨٧٦ و (الناباب[(٢)]) سنة ١٨٧٧ و (الملوك في المنفى) سنة ١٨٧٩ و (نوماروميستان) سنة ١٨٨١ و (كُتّاب الانجيل) سنة ١٨٨٣ و (سافو) سنة ١٨٨٤ و (تارتارين جبال الالپ) سنة ١٨٨٥ و (الخالد) سنة ١٨٨٨ و (مرفأ تاراسكون) سنة ١٨٩٨ و (دائرة وظيفة الكاهن الصغيرة) سنة ١٨٩٥ و (عائل الاسرة) سنة ١٨٩٠ و (تذكار كاتب)

---

(١) الثرثار هو الكثير الكلام (٢) لقب هندي يمنح لمديري الاقاليم واضباط حاشية ملوك اسرة تيمورلنك

و ( ثلاثون سنة بباريس ) و ( خلال حياتي ومؤلفاتي )سنة ١٨٨٨

وكتب عدة روايات تمثيلية نخص بالذكر منها ( لارليزيين ) وهي المؤلف الرئيسي للمترجم . وقد طار صيتـه في عالم الادب وزاده جمالا الموسيقي الفرنسي الشهير ( بيزيه Bizet ) مؤلف ( كرمين ) بان وضع لها موسيقى شائقة شجيـة ترقص القلوب طرباً وترنح الاعطاف بنشوة نغمها

ويعد كاتبنا هـذا في مذهب المحققين حتى ان غالب قصصه تمثل الحقائق مرئية ومحسوسة بعـين شاعر . ولو انصفنا في وصفه لقلنا انه شديد التأثير في كتابته . وكان مقتدراً في وصف الاشياء وصفاً صادقاً عارفا بالعادات والاخلاق وعلم النفس ومجيدا في المعاني المبتكرة وفن التمثيل . ولم يظهر في عالم الروايات القصصية في عصرنا هذا مؤلف يفضل ( سافو ) و ( كُتّاب الانجيل )

---

## La Dernière Classe

## الدرس الاخير

هذا الموضوع وان كان بسيط الانشاء لـكنه يضم بين أسطره غيرة وحماسة على اللغة والتمسك بها والتفاني في صيانتها والعناية بها اذ هي مفتاح سعادة الامة وسلم ترتقي به الى أوج المجد والفخار . وقد دعاني لـكتابة هذا ماشاهدته من اهمال الناشئة للغتهم العربية وبذل مافي وسعهم لاتقان الانكليزية حتى ان كثيراً منهم وان كانت درجاتهم في العربية أقل بكثير من الانكليزية فانما يعطونها بكرم حاتمي

حدث صبي من الالزاس عن نفسه قائلا : قمت متأخراً صبحية يوم الى المدرسة وقد أخذ الخوف مني كل مأخذ وخشيت ان يعنفني استاذي بما يحمر منه الوجه خجلا ويغض الطرف حياء وخزيا لانه نبه علينا بحفظ اسمي الفاعل والمفعول اللذين لا أعرف منهما حرفا واحداً . فخالجتني الفكرة بان لا اذهب الى المدرسة وامرح في الحقول والرياض وكان الوقت دافئاً والسماء رائقة والشحارير تغرد على الغصون بما ينسي الشجون . وكان الجند الجرمانيون يتمرنون في مرج (ريبير) وراء معمل نشر الخشب . ولكني غالبت نفسي ويممت المدرسة وحينما مررت على دار العمدة لاحظت جمعاً عظيماً مزدحما يقرأ اعلانات منشورة . ومنذ عامين وهذه الدار هي التي تنبئنا باسوأ الانباء من حروب خاسرة واوامر جديدة مضايقة . فقلت ترى ماذا جرى ؟

ثم ذهبت عدواً الى قاعة الدرس فرأيت أستاذنا المسيو هامل يمشي جيئة وروحة ثم قال لي اغنم مكانك فقد اوشكنا ان نبدأ الدرس دونك يا بني

فهرولت الى مقعدي وقد انصرف عني بعض الروع وشاهدت أستاذنا لابساً حلته الرسمية وكان لا يلبسها الا في يوم الاحتفال بتوزيع الجوائز او عند قدوم احد المفتشين

ورأيت بعضا من اهل القرية جالسين في قاعة الدرس فذهب بي العجب كل مذهب وشاهدت الجمع ساكتا ساكنا كأن على رؤوسهم

الطير بوجوه حزينة مكفهرة ثم صعد المسيو هامل على منبره وقال بصوت حوى بين الحلاوة والشدة :

« أولادي ! هـذا درسكم الاخـير الذي يجمعني واياكم فقد صدر »
« الامر من برلين بتعليم اللغـة الجرمانية والغاء الفرنسية في الالزاس »
« واللورين . . . . وسيقدم غداً أستاذكم الجرماني الجديدواذ كان هذا »
« درسكم الاخير الفرنسي فارجو منكم ان تعيروني آذانا صاغية »
« وقلوبا واعية »

فانقطعت نياط قلبي من هذه الضربة الفاجعة وعلمت فحوى الاعلانات المعلقة بدار العمدة فوا أسفاه على لغتي الفرنسية !

وانا الذي لا احسن الكتابة قد وقف بي الطالع المنحوس والجد العاثر الى هذا الحد. وكنت منذ هنيهة اود ان انقطع عن الدرس واجوب الخلاء . وكتب اللغة التي كانت تضايقني ظهرت امامي الآن كأعز صديق لا أقوى على مفارقته . وكما ان المسيو هامـل سيفارقنا من الغد ولا نراه بعد فقد نسيت عقابه وضربه

لبس كسوته الرسمية احتراما واحتفاء بهذا الدرس الاخير وكذلك حضر رجال القرية آسفين على ان لم ينتابوا المدرسة في اغلب الاحايين وليقدموا واجب الثناء والشكر لهـذا الاستاذ الجليل الذي ربى أولادهم وصيرهم رجالا منذ أربعين عاما

ثم جاء دوري وسألني في درسي فيالیتني كنت ذا كرته والقيت الآن امام هذا المجمع اسمي الفاعل والمفعول بصوت جهوري واضح ولسان فصيح دون لحن أو خطأ . ولكني تلعثم مني اللسان بعد الكلمات الاولى وصرت واقفا أهتز بقلب غليظ مطرق الرأس خجلا متوقعاً زجر استاذي اذ قال لي :

« لا أعنفك ولا أزجرك يا بني وانك لتستحق العقاب وهاك »
« ما سيحيق بك . تقصرون في حفظ دروسكم وتؤخرون عمل اليوم »
« لغد حتى المت بكم هذه الفادحة وهي اعظم فاجعة داهمت الالزاس »
« لتسويف قومه في عمل واجبهم »

« اليوم يحق لاعدائنا ان يقولوا لنا كيف تدعون انكم فرنسيون »
« وانتم لا تحسنون قراءة لغتكم وكتابتها ولكنك يا بني لست وحدك »
« الملوم بل نحن جميعنا »

« ان اهلك لم يوجهوا جلَّ عنايتهم لتثقيفك بل كانوا يفضلون ان »
« ينتفعوا من ورائك ببعض دريهمات بان تشتغل في احد المغازل او »
« تفلح الارض . ويحق لي ان ارشق نفسي بسهام اللوم والتعنيف لاني »
« كنت اعطلك في بعض الاوقات لتروي حديقتي »

ثم انتقل استاذنا الى التحدث عن شأن اللغة وانها افضل اللغات الاجنبية وامتنها ويجب علينا ان نعض عليها بالنواجذ لان الامة اذا نشبت

فيها مخالب الاستعباد يكون املها في الخلاص والسعادة بقدر تقدمها في لغتها وتمسكها بها

ثم طفق يلقي علينا الدرس ويشرحه وقد رأيت اني فهمت جميع ما سرده بسهولة لم اعهدها واذكر انني لم اصغ مدة وجودي في المدرسة الى الدرس كذلك اليوم ولم يصبني ملل . وكأن استاذنا اراد قبل مبارحته لنا ان يلهمنا جميع معلوماته في درس واحد

ولما انتهى الدرس ابتدأنا في الكتابة وهيأ لنا استاذنا نموذجا جميل الخط كتب عليه . فرنسا . الزاس . فرنسا . الزاس . وقد عمل منه جملة صور فرقها علينا

فكانت امامنا اشبه باعلام تخفق امامنا نبهت منا القلوب واثارت الشعور واهاجت العواطف وهزت الافئدة حتى عم السكوت فكنت لا اسمع الا صرير الاقلام على الطروس

وبينما نحن سكوت اذ حط على سقف المدرسة سرب من بنات الهديل وانشأ يغني فقلت في نفسي . ليت شعري ايلزمون يوماً ما هذه الحمائم بان تغني باللغة الالمانية ايضاً ؟

كنت من وقت لآخر المح خفية المسيو هامل فكان جالسا لا يبدي حرا كا كاسف البال مردداً طرفه في بيته الصغير بالمدرسة تعاوده الذكرى القديمة من تمضية اربعين سنة في هذا البيت وامامه قاعات الدروس وبفناء داره شجر الجوز الذي زرعه صغيراً من هذا العهد حتى

شمخ وملأ فضاء المدرسة وبجانبه حشيشة الدينار قد تسلقت على الحائط وزينت النوافذ ثم تسربت الى العرش وبينما هو على هذه الحالة من اسف لفراق معاهد شابت فيها نواصيه اذ نادته اخته ليساعدها في تجهيز الامتعة والحقائب ليسافرا في الغد

ولقد تشجع واعطانا الدرس الى نهاية الوقت ثم دقت ساعة الكنيسة مؤذنة بالظهر وأعقبتها موسيقى الجرمانيين وهم قادمون من التمرين فوقف أستاذنا وقد علاه الاصفرار وظهر بمظهر العظمة والهيبة قائلاً :

« ايها الاحباب الاعزاء اني . . . »

ثم اختنق صوته من شدة انفعاله ولم يقو على اتمام حديثه فأخذ قطعة من الطباشير واتجه نحو اللوح الاسود وكتب بحروف متناهية في الكبر

لتحي فرنسا !

ثم مكث في موضعه ورأسه مسند الى الحائط وقد كاد ان يغشي عليه ثم أشار الينا بيده دون ان ينبس ببنت شفة باشارة تؤذن بالانصراف

# Théophile Gautier

## تيبوفيل جوتييه

من فحول النظم والنثر الفرنسيين ولد بتارب سنة ١٨١١ وتوفي بنويي سنة ١٨٧٢ . دخل باريس في مقتبل عمره فعالج اولا فن التصوير ثم انتقل الى الشعر وقرض بعض قصائد حازت استحساناً عظيماً

ولقد اعجب به الكاتب الشهير في الانتقاد ( سانت بوف Sainte-Beuve ) هو وفيكتور هوجو ومن وقتئذ اوجد له مكاناً رفيعاً في عالم الادب مدة الاربعين سنة التي مرت بعد ظهوره

وقد حرر في جملة مجلات وجرائد ووضع عدة كتب وكان شاعراً وروائياً وكاتباً في الروايات التمثيلية ومنتقداً مشهوراً وعالما بالآثار والفنون الجميلة مما شيد له مجداً حصينا وفخراً رفيعا . وكان له ابنتان احداهما من مشاهير الكتاب وهي ( چوديت جوتييه ) تزوجت بالشاعر المصري الشهير ( كاتول منديس Catule Mendès ) وانفصلت منه سنة ١٨٦٩ ولها من المؤلفات مايزيد عن العشرين كتابا

اما مؤلفات تيبوفيل جوتييه فعديدة جدا ومتفرقة وقد قدرت في ثمانمائة مجلد ونخص بالذكر منها الأهم

في الشعر : ( البيرتوس ) سنة ١٨٣٣ و ( رواية الموت ) سنة ١٨٣٨ و ( اسبانيا ) سنة ١٨٤٥ و ( الفصوص المنقوشة والميناء [1] ) سنة ١٨٥٢ وهو من روائع البلاغة متين القريض منسجم العبارة

ومن اشهر رواياته : ( ليجون فرانس ) سنة ١٨٣٣ وفيها يضحك ويهزأ بعنفوان شباب المذهب المطلق و ( مدموازيل دوموپين ) سنة ١٨٣٥ وبها مقدمة مؤثرة و ( فورتونيو ) سنة ١٨٣٨ واخبار وقصص لا سيما ( الملك كاندول واريا مارشيلاّ ) و ( رواية الجثة المحنطة ) سنة ١٨٥٨ و ( القبطان فراكاس ) سنة ١٨٦٣ وهي شائقة مضحكة فريدة في بابها من اسلوب رواية ( الرواية المضحكة ) التي وضعها ( سكارّون Scarron ) الشاعر المشهور وصاحب الروايات الهزلية

ووضع في الانتقاد الادبي : ( من يهزأ بهم ) سنة ١٨٣٣ وهو دفاع عن الشعراء الذين كادوا يسقطون من انتقاد ( بوالو Boileau ) مثل ( سانت امان Saint - Amant ) و ( سكارّون ) وغيرهما وكان الفضل في ارجاع مكانة هؤلاء الشعراء وقدرهم وشهرتهم راجعا لهذا الكتاب و ( تقرير على القريض الفرنسي ) سنة ١٨٦٨ و ( تاريخ المذهب المطلق ) سنة ١٨٧٤ و ( تاريخ فن وضع الروايات التمثيلية من ٢٥ سنة ) سنة ١٨٥٨

(١) جوهر الزجاج الذي يصنع منه وتطاق الآن على المادة الزجاجية الملونة التي توضع على الحلي حول الفصوص او وحدها

وجملة ملحقات روائية وتراجم خصوصاً للروائي الشهير ( بلزاك Balzac ) والشاعر الشهير ( بودلير Bodelaire )

وانشأ عدة كتب في الانتقاد الفني على معارض الصور والرحل في اسبانيا والروسيا وايطاليا والآستانة وعدداً من الروايات التمثيلية النظمية الصغيرة وغيرها

وشاعرنا هذا وان كان في بعض المواضع قليل الفكر والعواطف لكنه متين الانشاء رقيقه ولقريضه شجو جديد . وقد اعاد شباب الشعر المبتكر وكان كما وصفه ( بودلير ) شاعراً مجيداً خاليا من العيوب وعالماً كاملاً اتى بالمدهشات في عالم الادب

---

## Le Soulier de Corneille

## حذاء كورني

هذه النكتة التاريخية وربما كانت فكاهة خرافية تمثل شاعر الفرنسيس كورني وقد شاخ وافتقر واقفاً امام حانوت اسكاف حقير ليخصف نعلا لا يملك غيرها ودعاه الحال لينتظرها ريثما يصلحها الاسكاف

في منعطف طريق بوسط باريس ازدحمت فيه السابلة وعلت جلبتهم كان شيخ ماشيا الهوينا بقدم متثاقلة وشكل غريب غارقا في بحار تأملاته وخياله غائصاً في الوحول وهو غير شاعر . مرتديا بعباءة لم يبق بها مسكة

وكان نظره كنظر النسر وفوداه [١] أبيض من لجين . يمثل بكبريائه وخيلائه الصور القديمة التي ابتدعتها بنان المهرة من المصورين الذين لو رأوه لاختاروا وجهه نموذجا للاوسمة النحاسية التي تمثل وجوه القدماء من المشاهير

وكان يخيل للناظر ان كل ثنية من ثنيات خده الغائر تدل على فكرة ويقرأ في عينيه السوداوين ضجر وملل

أشرقت الشمس بعد احتجابها وصفت السماء وكانت النواظر تغضي مهابة امام عطارد الذي يسمونه الدينار وقد قضى ( بوالو [٢] ) لياليه الثمينة في تمجيده وأتى ( منصار [٣] ) بالعجب العجاب للحصول عليه

ثم وقف كورني العظيم امام حانوت صغير بمكان قذر حافي القدمين منتظراً الاسكاف ريثما يخصف له نعله

ولقد كان يمشي ( هوميروس [٤] ) في أرضه المباركة على الرمل الذهبي عاري القدمين في طرق يونية وهو بثوبه الابيض الناصع كتمثال من المرمر صنعته يد ( فيدياس ) مصور التماثيل المشهور

ولو أتى هوميروس باريس ومشي بخفه دون ان يخشى الفضيحة

---

(١) الشعر الذي فوق الاصداغ (٢) شاعر وكاتب منتقد فرنسي (سنة ١٦٣٦ — سنة ١٧١١ ) (٣) مهندس فرنسي مشهور ( سنة ١٥٩٨ — سنة ١٦٦٦ ) (٤) اكبر شعراء اليونان ومؤلف الالياذة والاوديسه

لالجاه يوم مطير لان يرقع خفه كما حصل لمؤلف ( اوراس ) و ( سينا )
وهو الذي بفضله أسعدت الهة الشعر المصور الطائر الصيت ( ميكيل انج )
بنفحاتها العظيمة فأبدع في تصوير عظماء اليونان ايما ابداع

لويس أيها الملك العظيم ! ان هذا القصص الذي يعافه كل ذي ذوق سليم او بكلمة واحدة هذا الحذاء المرقع لتجعل رقعه وصمات في ملكك بينما العشاق ترفل في الدمقس وفي الحرير

واني ليحزنني ان أرى كورنيي يعاني البؤس ألوانا .وكيف هذا الحانوت القذر وعرشك الفخيم رفيع العماد تزينه ازهار الزنبق ويختال في بردين من زخرف وبهاء . وطيلسانك من المخمل الارجواني . فهلا رعاك الله تعطفت بشيء على أمير شعراء عصرك وقد اناخت عليه الشيخوخة حتى كاد يموت فقراً في زوايا النسيان. ولقد خلّفت نقطة سوداء في صحائف تاريخك البيضاء وكلفا في وجه شمسك من تركك كورنيي بلا حذاء وموليير بغير قبر

ولكن على م نغضب اذ ستتساوى الحظوظ ويجمعنا الموت سواء ويجر النسيان ذيله على الملك ويطويه في خبر كان ويبقى ذكر الشاعر حيا خالداً

وقد حفظ قصر فرساي تماثيل الندماء وذهب ما كان فيه من التملق وغاض ماؤه الذي كان يزينه بنوافيره المتنوعة المديدة بعد ما كان مقر الملوك . فمن خلد بعد موته العظمة ام العقل الراجح ؟ طلع الفجر على

احدهما وخيم الظلام على الآخر وظهر طيف لويس في حديقة فرساي التي اختطها (لونوتر) الشهير هائماً على وجهه يتخبط في ليل أليل . وخلد ذكر كورني كاله من آلهة القدماء وما فتيء يرى وهو على منبره النيران والاضواء الموقدة احتفاء بعيده واعلاء لشأنه

وحينما يبلى تاج الملك الذهبي ويصير رماداً نرى غار[1] الشاعر معمراً[2] نامياً مخضراً نضراً بينا نرى الشاعر على مر الاعوام يعظم ويخلد ذكره والملك يتضاءل حتى ينسى

(١) الغار شجر معمر معتدل القامة كان القدماء يعملون من اطراف قنه تيجاناً للظافرين في الحروب (٢) المعمر في اصطلاح النباتيين الذي يعيش من النبات دائماً

# Pierre Corneille

## بيير كورني

نادرة زمانه وغرة دهره في الشعر ولد بمدينة روان سنة ١٦٠٦ ومات بباريس سنة ١٦٨٤ وقد تلقى دروسه بمسقط رأسه بمدرسة اليسوعيين ثم أتم دراسة الحقوق

واول رواية تمثيلية ظهرت له ( ميليت ) سنة ١٦٢٩ واعقبها برواية ( كليتاندر ) و ( الارملة ) و ( بهو القصر ) و ( التابعة ) و ( الميدان الملكي ) وقد اتصفت هذه الروايات بحسن التعبير وشريف العادات

وفي سنة ١٦٣٣ قدم كورني الى الكردينال ( ريشليو ) وصار ضمن ( الخمسة المؤلفين ) الذين عهد اليهم الكردينال وضع الروايات التي رتب موضوعها بنفسه ولكنه انفصل بعد مدة صغيرة لانه لم يوافق مشربه

وفي سنة ١٦٣٥ ظهرت روايته المحزنة ( ميديه ) ولو ان بها بعض عيوب ولكنها تضم بين سطورها ما بثه خيال الشاعر وهو في عنفوان شبابه من القوة والحماسة والعظمة

ولعلمه بفن وضع الروايات التمثيلية الاسپانيـة وضع تباعاً روايتى ( الغرور المضحك ) سنة ١٦٣٦ وفي السنة نفسها كتب رواية ( السيد ) التي رتب له موضوعها الشاعر الاسپاني ( جيلهيم دوكاسترو ) وبهذه

الرواية افتتحت الروايات المحزنة الفرنسية وارخت بها ودخلت فى دور كمالها وتهذيبها. ولاتباعه لهذا الشاعر الاسباني صار نابغة في الشعر المقيد واميره في عصره وهذب ما كان في المؤلفات الاسپانية من الركاكة والضعف

وقد قوبلت (السيد) من الجمهور بحماسة وحمية خارقة للعادة ولكن اغلب الشعراء وكتاب النقد في عصره تألبوا على انتقاده ودونوا كتاباً سموه (النزاع في السيد) انتقدوا فيه على الشاعر لانه لم يدقق في مراعاة الاصول والقواعد وان الموضوع غير متين ولكن ذلك الانتقاد الموهوم لم يؤثر على فخر الرواية ومجدها الرفيع. والذي حرض الشعراء والمنتقدين على الشاعر هو (ريشليو) لانه كان يحسده على هذا النجاح والفخر ويغار منه. ولم يقتنع هذا الرجل العظيم الداهية الذي كاد ان يفترسه الطمع والنهم بالاستبداد بالسيطرة والهيمنة على فرنسا والخفض من الاسرة المالكة النمساوية التي كانت منها ملكة فرنسا (آن دوتريش) واضطراب جميع اوروبا امامه من سياسته ودهائه بل اراد ان يضم على هذه السعادة والسلطة والعظمة نظم الروايات ليبث فيها ما يهوى من سياسته الجهنمية لتكون معيناً وممهداً جديداً في التأثير على العقول وفق ارادته. فابتدأ يعالج نظم بعض روايات ولكنه لم يفلح ورأى ان رواية (السيد) قد سحبت ذيل النسيان على جميع مؤلفات عصره فالتهب قلبه حسداً وقام محاربا كورني بخيله ورجله اذ سلط عليه الشعراء والكتاب

وقد ثبط هذا الانتقاد همة الشاعر مدة من الزمن وضن على

المراسح برواياته نحو ثلاث سنين . ثم عاد الى الكتابة ووضع عدة روايات مواضيعها منتظمة استنبطها من التاريخ الروماني

فابتدأ برواية ( اوراس ) و ( سينا ) سنة ١٦٤٠ و ( پوليوكت ) و ( موت پومپيه ) سنة ١٦٤٣ و ( رودوجون ) سنة ١٦٤٦ و ( ايراكليوس ) سنة ١٦٤٧ و ( الكذاب ) سنة ١٦٤٣

وفي سنة ١٦٤٧ انتخب كورني في المجمع العلمي الفرنسي وكتب من ذاك الحين ( أندروميد ) و ( دون صانش داراجون ) و ( نيكوميد ) سنة ١٦٥١ و ( سيرتوريوس ) سنة ١٦٦٢ ) و ( اوتون ) سنة ١٦٦٤

وقد ابعده عن المراسح بضع سنين سقوط رواية ( پيرتاريت ) ثم ترجم من اللاتينية شعرا كتاب ( تقليد المسيح ) سنة ١٦٥٦ وكان له اقبال عظيم ونجاح باهر

ثم عاد الى دور التمثيل بعد ان تركها ست سنين وظهر على المرسح ومعه رواية (ايديپ ) سنة ١٦٥٩ قائلاً :

« اني لأحس بنفس الشعور والجرأة التي انتقدت ( السيد ) وحاربت »
« ( اوراس ) ولكني اجد اليد عينها التي خطت روح ( پومپيه ) العظيم »
« ودهاء ( سينا ) »

امتاز شاعرنا هذا برنة الحزن المؤثرة في قريضه ولو أن شعره في بعض المواضع به بعض اهمال ونقص في الطلاوة والبهجة ولكنه رنان القافية وآية في الحماسة والحمية وشهامة النفس والاباء وقوة الارادة وثبات

العزيمة والتفاني في حب الوطن مما يدهش السامع ويأخذ بمجامع فؤاده ويحدث له نشوة طرب لاتوصف

---

## Horace

## اوراس

### رواية محزنة ( سنة ١٦٤٠ )

### الملخص

كان شيخ من رومية يسمى ( اوراس ) وله من البنين ثلاثة شبان وفتاة تسمى ( كامي ) وكان في مدينة ( الب ) التي كانت قديماً المدينة المنافسة لرومية وقريبة منها شيخ آخر يقال له ( كورياس ) وله مثل اوراس ثلاثة فتيان وفتاة اسمها ( سابين ) وكانت الفتاتان مخطوبتين كل منهما لشاب من هاتين الاسرتين

ولما انتشبت الحرب بين رومية والب وكل منهما تتنازع الصولجان والسلطة وطالت بينهما الوغى ارادا ان يجعلا حداً لها ويحقنا الدماء واتفقا ان ينتخب كل من الفريقين ثلاثة ابطال يتنازلون بعضهم والفريق الغالب تكون لمدينته حق السيادة على الاخرى

فانتخب عن مدينة رومية اولاد اوراس الثلاثة وعن ( الب ) اولاد كورياس فوقعت الاسرتان في حيص بيص وتجاذبهما عاملان قويان : أبراعيان اواصر النسب وذمامه ويرفضان طلب الوطن وذاك محال ام يشهران السيوف في وجه اصهارهم وذاك صعب الاحتمال. واخيراً فضلا تلبية نداء الوطن . وبينا النضال مستعر بين فتيان الاسرتين كان اوراس الكبير في منزله مع ابنته كامي وسابين ابنة كورياس ينتظرون

بفارغ الصبر نتيجة هذا القتال اذ دخلت عليهم سيدة رومانية اسمها ( چوليا ) وهي خليلة الفتاتين لتخبرهم بخبر المعركة

---

اوراس الكبير — سابين — كامي — چوليا

اوراس الكبير

ما وراءك ياعصام . اجئت يا چوليا مبشرة بالنصر والظفر ؟

چوليا

كلا ! بل بما حاق بهذه المعركة من الشؤم والنحس اذ اصبحت منه رومية خاضعة لالاب بعد هزيمة اولادك وقتلهم اذ لم يبق منهم غير الخاطب

اوراس

ياالخطب عظيم ومصاب اليم وقتال مشؤوم اصبحت منه رومية تابعة لالاب . ولوجالد لآخر رمق لحماها وصانها . لالا فذاك محال فقد خدعت ياچوليا اذ لايتأتى سقوط رومية الا اذا كان ابني في بطون الرموس فاني اعرف دمي حق المعرفة وهو يعلم مايفرضه عليه الواجب

چوليا

لقد رآه الف مثلي من ابطالنا وادهش الجموع اقدامه وبسالته قبل موت اخويه ولكنه لما لبث وحيداً امام ثلاثة اقران عتاد وقد اوشك ان يقع في قبضتهم لم يجد بداً من الهرب لينجو بنفسه

اوراس

ألم يجهز عليه ويخمد انفاسه جندنا المخدوعون ! امهدوا له سبيل الفرار من بين صفوفهم ؟

جوليا

اني لم ارد ان انظر شيئاً بعد هذا الخذلان

كامي

واحسرتاه على اخويّ

اوراس

كل ذلك عظيم مقبول . فلا تبكي الجميع لان اثنين منهما تمتعا بحظ جميل يحسدهما عليه ابوهما . جلل الله لحدهما بأنضر الورود والازهار . وقد استعضت عن فقدهما مجداً وسؤدداً . وسعادتهما التي تبعت بسالتهما التي خانها الدهر ان رأوا مدى حياتهما رومية رافلة في حلل الحرية القشيبة ولم يشاهداها خاضعة لغير اميرها او تابعة لمملكة بجوارها

ابكي الآخر ونوحي على مالحقنا من العار الذي لايمحى . اندبي فراره الفاضح الذي وصمت به جباهنا وارثي للشنار الذي دنس امتنا والفضيحة الدائمة التي التصقت باسم اوراس

جوليا

ماذا تبتغي ان يعمل فرد ضد ثلاثة ؟

اوراس

ابتغي ان يموت او ان يعتريه يأس جميل فيعضده ويغيثه . هلا ارجأ

هزيمته آونة ليُنظر [١] فيها استعباد رومية وبحفظ وقارشيبي وكانت هذه البرهة ثمنا عظيما لحياته . وانه لمدين لوطنه بدمه اذ كل قطرة يضن بها منه تذهب بنضارة مجده

وما من لحظة تمر بعد هـذا الدور الشائن الا وتظهر خزيي وعاره للملأ كالشمس في رابعة النهار . وسأقطع هذه الصلة واصب جام غضبي على ولد ليس للبنوة اهلا واريه حق الوالد واقتص منه بان اتبرأ منه على رؤوس الاشهاد جزاء فعلته هذه

سابين

ارعني سمعك وهون من غُلواء حميتك وحماستك ولا تجعلنا في غاية التعس وسوء الحظ

اوراس

يسهل السلوان والعزاء على فؤادك يا ( سابين ) فان مصابنا لم يمسك بشيء يذكر ولم تشاطرينا في بؤسنا . وقد نجى الله بعلك واخوتك فان أصبحنا خاضعين مستعبدين فلبلادك اذ ظفر اخوتك حينما خاننا نكد الطالع . وانك ترين ارفع ذرى [٢] نخارهم ولا تنعمي النظر فيما لحقنا من الخزي . وهواك المبرح لهذا الحليل [٣] المرُة سيجعلك في القريب العاجل تئنين منه مثلنا . وبكاؤك لاجله دفاع ضعيف واطلب من الالهة العظام وقدرتهم السامية ان تغسل وتطهر عار الرومان بدمه

---

(١) يؤخر (٢) جمع ذروة وهي قمة الجبل أو ما ارتفع من اعالي الاشياء (٣) الزوج الوغد

ثم يدري اوراس من فالير بالخدعة الحربية التي رتبها ابنه اذ لم يقصد بهربه الا تفريق السكورياس الثلاثة ثم تفرد بهم واحداً بعد الآخر وقتلهم جميعاً . ولا يعاب بجبانته هذه فليس في استطاعة الفرد ان يكافح ثلاثة اقران

ولما رجع ظافراً الى دار ابيه كان اول من قابله اخته كامي وقد ايأسها وقطع آمالها موت حبيبها ولم تخش بكاءه امام اخيها فتوسل اليها ان تفضل حب الوطن على هوى حبيبها لان الروماني مدين بحياته لوطنه ولم يولد الا ليحميه فاجابته بصب اللعنات على رومية

## لعنات كامي

رومية وهي بيت القصيد في اثارة غضبي وحقدي ! رومية التي لاجلها قتلت يدك الاثيمة حبيبي ! رومية التي شهدت مولدك وعبدها فؤادك ! رومية التي امقتها لانها منحتك هذا المجد والشرف ! سلط الجبار عليها جيرانها فتعاونوا على تقويض اساسها الذي كاد ينهار . وان لم تكفها امم ايطاليا فليتألب عليها اهل المشرقين بل مائة امة متحدة من اطراف العالم هي والبحار والاطواد تأتي لتخربها . ولتنقض عليها اسوارها حتى تمزق بايديها معالمها ومحاسنها . وان تمطر عليها غضب القادر المستعر من دعواتي طوفاناً من نار متوقدة . واتاح الله لي ان اشاهد الصواعق تهوي عليها وارى بعيني دورها وقد استحالت رماداً وغارها [1] وقد صار غباراً

(١) شجر الغار وقد سبق شرحه

واشاهد آخر روماني وهو يحتضر في النفس الاخير واكون انا وحدي السبب في دمارها ثم اموت من شدة وطأة السرور

( ثم يبدو اوراس الصغير وراء اخته والسيف بيده مسلول )

قد طفح الكيل ولم يبق في القوس منزع والحق وحده الذي يفسح للصبر مجالاً . فهيا اذهبي الى الجحيم لتأسفي هناك على حبيبك كورياس

كامي ( وهي مجروحة وراء المرسح )

آه يالك من خائن غادر !

اوراس ( وقد عاد الى المرسح )

هذا جزاء وفاق لكل مجترىء مهما بلغ شأنه تجاسر ان يبكي عدوا رومانيا

---

## Que la Vérité parle au dedans du Cœur Sans aucun brnit de paroles

ما اعظم الحقيقة تتكلم باطن القلب دون ان تلفظ بقول

ناجني ناجني يا رباه فعبدك مصغ لك : مقر بعبوديتي لاني عبدك واود ان اكونه واسير على سننك ليل نهار . افض عليّ بروح منك لتعلمني ما تفرضه عليّ ارادتك العلية القدسية ووحد رغائبي في سمع فضائلك الكريمة . وجرد بلاغتك الالهية من ساطع انوارها وصبها داخل فؤادي بغاية السكون مخضلة بالندى البليل جزيلة لطيفة

تخشون بلاغة القادر يابني اسرائيل وتظنون ان الصواعق والموت تتبعها مدمرة كل شيء . وانتم الذين لم توفقوا في الصحراء لاستماع كلامه العلي اذ قلتم لموسى :

« خاطب ربك والتمس منه ان لا يكلمنا فاننا نخاف ان تعترينا »
« غشية الموت من صوته الجهوري الرنان »

انني بعيد عن هذا الفزع والرعب فاتوسل اليك ربي اذ اتمنى غير ما تمناه بنو اسرائيل وقد هرولت اليك والأمن ملء فؤادي لأتضرع اليك مع صموئيل [١] بكل خشوع اذ يقول:

« ولو انك الفرد الذي اخشاه لكنك الأحد العلي الذي آمل »
ان يسمعني : ناجني يا الهي فعبدك منصت مطيع »

لست في حاجة لموسى ليهديني سبيلك او لنبي غيره يفسر لي شريعتك اذ انت الذي تعلمهم وترسلهم ولا أتطلب الا صوتك العلي . وحيث انك مصدر ما جاؤا به من الانوار التي كان لها الفضل في انارة ضمائرنا ففي استطاعتك ان تمنحني اياها كاملة دون توسطهم فانهم لولاك لما كانوا شيئاً يذكر

انهم يستطيعون ان يعيدوا كلامك ولكنهم لا يقدرون ان يلقوا

(١) قاضي قضاة بني اسرائيل

روح معناه وتأثيره اذ لولاك لكان حديثهم صرخة في واد يهزأ به ويسخر منه

ومهما صاحوا واتوا بالعجائب في حديثهم وصدعوا بأمرك بحمية وعزيمة قوية فانهم لولا كلامك لدخل قولهم من اذن وخرج من الاخرى دون ان يؤثر على القلوب او يجد اليها سبيلا . وانهم يبذرون الكلم الغامض البسيط العاطل ولكنك تنير البصائر في ظلام الجهالة الحالك وتفيض من اعلى سمائك على رسالتهم المسئمة المملة روحا تحييها وتجعل لها قوة وتأثيراً

افواههم تبلغ رسالتك كالمعميات والاسرار ولكنك تعلمنا ما خفي من المعاني ولولا نفحاتك الربانية وفيوضك العلوية لما فهمنا مايلقونه الينا من شرعك وسننك. يدلونا على الطريق ولكنك أنت الذي تعطينامن القوة ماتستطيع به اقدامنا سلوكه لنهايته . وكل مايجيئنا منهم لايتجاوز الا الظاهر ولكن قدرتك تنفذ الى اعماق كل شيء

لولاك لما سقوا الا ظاهر النفس ولكنها تستمد خصبها من قوتك اذ كل ماينيرها ويحمسها لايصدر الا من قدرتك وارادتك

وقصارى القول ان هؤلاء الانبياء الذين ملأوا الارض قولا وصياحا اذا كانوا لايؤثرون على عقولنا مما افضت عليهم من نفحاتك القدسية لما عددناهم الا في عداد الاصوات الصائحة

صه اذن ياموسى ! وتكلم بدله ايها الدائم الثابت . ناجني ياحق لئلا

اموت مدفوناً في ثلوج تجردي من الفضائل . وان لم تزد نعمك العميمة وافضالك العظيمة رغبتي واشتياقي الى مناجاتك فالموت خير لي

وان لم يؤثر الوعظ على القلوب ولم يمس الا الظواهر كانت عاقبته وخيمة لانه يُسمع برغبة وقتية ويعرف من غير ان يحب ويؤخذ قضية مسلمة دون مناقشة وهذا مما يميت القلوب ولذلك اقتضت حكمتك وعدالتك ان تعاقب الجاحد وتجازيه جزاء وفاقا

ناجني اذن ياربآه فعبدك الامين المخلص قد جمع حواسه وايقظها لتنصت الى مناجاتك اذ تجد حلاوة الحياة الدائمة في لهجتك العلية

ناجني لتعزي نفساً اضنتها الحيرة . ناجني لتقودها الى ما يرفع شأنها. ناجني اذن فمجدك الرفيع ما زال نامياً سامياً

---

## Stances à la Marquise

## قصيدة الى المركيزة

ان كان وجهي ايتها ( المركيزة ) جعده الكبر فاعلمي انك لا تفضلينني حينما تبلغين ما بلغت من العمر • ومن شيمة الايام سرورها من اهانة[1] الانسان وستعبث بورد خدودك كما جعدت جبهتي . وكذلك تكون

(١) اي اهانته في قوته وجماله من تأثير الشيخوخة

الكواكب بمسيرها ايامنا ولياليناً . وقد رآني الناس وانا مثلك وسوف تصيرين مثل حالتي الآن

اني الآن حائز لمحاسن ومفاخر [١] شائقة ترد عني غائلة المخاوف والهموم من سطوات الدهر وحملاته [٢] . وانت مزدانة بما يحب ويعشق [٣] ولكن ما تحتقرينه مني يستطيع ان يستمر على الدوام بينا يذهب بهاء ما عندك وتنقضي نضرته [٤] ويقدر على نجاة نخر عينين تروقني ملاحتهما وتخليد ذكر ما يعجبني منك آلافا من السنين [٥]

وهذه الأمة التي تجاني لا تعتبرك من ربات الجمال الا بقدر ما قلته فيك . وافتكري ايتها المركيزة الحسناء انه ولو كانت النواظر تنفر من الشائب فجدير به ان يلاطف ويستمال اذا كان مثلي

---

## Les hommes doivent s'entre-secourir

يجب على الناس ان يساعد بعضهم بعضاً

تألم وتوجع من عيوب الناس دون ان تنبس بسخط او شكوى

---

(١) يقصد بمحاسنه هنا فضله وعلمه وادبه (٢) يريد بها وطأة الهرم والضعف (٣) اي بالجمال والمحاسن (٤) اي بعد انقضاء جمالها وزوال محاسنها يبقى ويستمر ما تحلى به الشاعر من الفضل والعلم على الدوام (٥) يقول ان فضله وادبه هذا قادر على تخليد محاسن هذه الجميلة وذلك بان نظمها هذه القصيدة فصارت الناس تذكرها بالجمال لغاية الآن الى مدى الازمان

مهما اتوا من كبائر العيوب واعلم ان كلا منا به منها ما يجعل الناس تئن منه . وان كان ضعف عزيمتك يضع امامك من العقبات ما يحول دون امانيك فكيف تطلب هذه المعجزة من غيرك كما تريد وتهوى ؟

أليس من الظلم البين ان تبتغي من غيرك ان يكون كاملا بينا انت مغموس في مساوئك ولا تروم ان تطهر نفسك منها لتكون نموذجاً لغيرك ؟

ولو كان الكل كاملا لاستراح الناس ولم يلاقوا في الدنيا ما يتألمون منه ويحتملونه لوجه الله ولم يجد هذا الصبر المشبع بالفضائل مسوغاً له . ولكن حكمة الحكيم اقتضت غير ذلك

لم يحرز احد نهاية الكمال في الطيبة والجمال . وما برأنا[١] الخالق ليعفينا من ان يحمل البعض عن الآخر اثقاله واعباءه بدوره

ما من احد خال من العيوب وضعف العزيمة غير محتاج للمعونة ويكفيه عقله وحده لان يكون عاقلا كيّساً او عزيمته وحدها لان يكون قادراً قوياً

فالواجب علينا اذن ان نحاب ويعلم بعضنا بعضاً ونتعاضد في اعمالنا ونتبادل اليقظة في سلوكنا ونتعاون في الاستشفاء من الادواء[٢]

---

(١) خلقنا (٢) جمع داء .

# Jean Racine

## جان راسين

نادرة من الشعراء المفلقين الفرنسيين الذين مهروا في الشعر المحزن ولد بمدينة (لافيرتيه ميلون) سنة ١٦٣٩ ومات بباريس سنة ١٦٩٩ . مات ابوه وامه وتركاه يتيماً في الرابعة من عمره وادخل في العاشرة مدرسة (بوفيه) وفي السادسة عشرة الحق بمدرسة (بورروبال) لتتميم دراسته وكانت اساتذته فيها (نيكول) و (هامون) و (لانسيلو) وقد صيره هذا الاخير من نوابغ العارفين باحوال قدماء اليونان وتاريخهم وآدابهم ثم درس الفلسفة بكلية (اركور)

كان هو و (لافونتين[1] LaFontaine )و( موليير[2] Moliére ) و (بوالو — Boileau ) تربطهم عرى الوداد والصداقة في سنة ١٦٦٤

---

(١) الشاعر الفرنسي الشهير الذي نظم قصصه المشهورة عن لسان الحيوانات سنة (١٦٢١ — ١٦٩٥ ) وهو أعظم شاعر في هذه النوع وترجمت قصصه الى اغلب اللغات وعربها الشاعر المجيد عثمان بك جلال وسماها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ (٢) كاتب نابغة من الفرنسيس سنة (١٦٢٢ — ١٦٧٣) وهو اعظم شاعر في الروايات المضحكة واول من ابتدعها ولم تظهر لغاية الآن رواية تضارع رواياته حتى صار فريداً لا يجاريه مجار وكان ممثلاً ماهراً ورئيس جوق

مثّل له ( موليير ) هو وجوقه روايته الاولى ( لاتيبابيد ) ثم اعقبها برواية ( اسكندر الاكبر )

وفي سنة ١٦٦٧ وهو في السابعة والعشرين ظهرت روايته الشهيرة (اندروماك) وبها طارت شهرته واثبتت اقتداره الفائق في فن وضع الروايات ومن ذاك الحين تتابعت مؤلفاته وكلها آيات معجزات تعاقبت في ظرف عشر سنين وهي : ( المحامون ) سنة ١٦٦٨ رواية مليحة النكات وست روايات محزنة وهي : ( بريتانيكوس ) سنة ١٦٦٩ و (بيرينيس) سنة ١٦٧٠ و ( باجازيت ) سنة ١٦٧٢ و ( ميتريدات ) سنة ١٦٧٣ و ( ايفيجيني ) سنة ١٦٧٤ و ( فيدر ) سنة ١٦٧٧

دخل في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٦٧٣ وكان من المقربين عند الملك لويس الرابع عشر اذ جعله مستشاراً له ومؤرخاً

وبعد مابلغ هذا المجد الرفيع اعتزل المراسح وهو في السابعة والثلاثين من حملات الكتاب والشعراء الظالمة على رواية ( فيدر ) ورموه بوساوس دينية بالنسبة لعواطفه ووجدانه في اعترافاته في هذه الرواية

ثم تزوج بفتاة ساذجة تقية تدعى ( كاتيرين رومانيه ) ورزق منها بخمس بنات ترهبت منهن اثنتان وولدين احدهما ( لوى راسين ) وكان من مشاهير الشعراء والكتاب

لبث هاجراً المراسح اثني عشر عاماً ثم الحت عليه مدام ( مانتينون ) بان يكتب روايتين لفتيات مدرسة « سان سير » ويكون موضوعهما مستنبطا

من التوراة فاجاب طلبها ووضع رواية « ايستير » سنة ١٦٨٩ و « اتالي » سنة ١٦٩٠ ومثلتهما بنات المدرسة السابقة فحازت الاولى اقبالاً عظيماً ولكن الثانية لم تصادف ما احرزته الاولى ولو انها ابلغ ماخطه بنان الشاعر والسبب راجع الى التمثيل لان الفتيات لم يحسنوا تمثيلها واطفأوا بلاغتها المتوقدة

وكتب نثرا « ملخص تاريخ بورروبال » وجملة رسائل بليغة وقطعاً تاريخية . ويشاع ان الملك لويس الرابع عشر غضب عليه في اواخر ايامه فاغتم غماً شديداً اودي بحياته

ان قارنا رواياته المحزنة بروايات كورني نجدها مطابقة مثلها القاعدة « الواحدة » المتبعة في الشعر المقيد وهي تشترط في ثلاثة امور : « بساطة الموضوع » و « حصوله في يوم واحد » و « وقوعه في مكان واحد او مدينة واحدة »

وتماثلها أيضاً بقلة اشخاصها اذ كان يهمه ان يمثل موضوعاً ادبياً يجاذب قلب الابطال تمثيلاً صادقاً يقرب من الحقيقة . وتفترق روايات راسين عن روايات كورني في خمسة أمور :

اولاً — انها اقل حماسة وتأثيراً واشخاصها القريبون من الحقيقة ضعاف العزيمة كاغلب الناس وعواطفهم ليست دائماً شريفة ولا اعمالهم خارقة للعادة . فلذلك قال « لابروير[١] La Bruyére » : « كان كورني

---

(١) كاتب فرنسي مشهور في الاخلاق سنة (١٦٤٥ — سنة ١٦٩٦)

يمثل الناس كما يليق ويجدر بهم وراسين يصورهم كما هم عليه »

ثانياً — مؤلفاته كلها ماعدا «ايستير» و «اتالي» مفعمة بالعواطف العادية العامة من حب يختلف بين الرقة والحياء والشدة والنحس والجرم. ولكن كورني وضع الحب في صف ثانوي واتبعه بعواطف راقية شماء كالشرف وحب الوطن . وترى في روايات راسين ان النساء تحرز المكان الارفع فلذلك تحدث الناس بابطال كورني الذكور وفرسان راسين الاناث

ثالثاً — انها لاتثير من النفوس حميتها وحماستها واعجابها مثل كورني ولكنها تحدث تأثيراً مغايراً كأيقاظ الشفقة في القلوب والهموم والمخاوف وبث عواطف الحب ولكن كورني ترنم بشعور العظمة والاباء وعزة النفس

رابعاً — ان كورني كان يمنح اشخاص مؤلفاته الذين استنبطهم من العصور القديمة مبادئ الشهامة والمروءة والتبجح باعمالهم الجليلة ولكن راسين كانت رواياته مرآة تنطبع فيها أحوال عصره واخلاقهم وعواطفهم ومبادئهم الاجتماعية تحت حكم لويس الرابع عشر

خامساً — انشاء راسين متين متساوي الاطراف شائق نقي شجي تلبسه جرأة متوارية

## Iphigénie

## نبذة من رواية ايفيجيني

اختطاف ( باريس ) بن ( بريام ) ملك طروادة ( هيلانة ) زوجة ( منيلاس ) ملك اسبرطه فاستشاط غضب اليونان واجمعوا على حصار طروادة وتخريبها وحشدوا جيشاً عظيماً وجهزوا اسطولاً في ميناء ( اوليس ) بقيادة (اجاممنون) اخي (منيلاس) وابي ( ايفيجيني ) ولكن خانتهم الرياح ولم يستطع الاسطول ان يقلع لانه كان شراعيا فاصبح الكل يتلهب غيظاً لما طال المدى عليهم وهم منتظرون بلا طائل . فاستشار اجاممنون الوحي بواسطة العرّاف ( كلكاس ) فرد عليه قائلاً : ان الرياح لا تهب الا اذا ضحت اليونان فتاة من دم يوناني قرباناً للآلهة وظهر له ان هذه الفتاة هي ايفيجيني

وقد طلب اجاممنون ابنته فى المعسكر ليحميها من الهلاك مدعياً انه ماطلبها الا ليزوجها اشيل اعظم ابطال جيشه ولكنه وبخه ضميره فارسل اركاس تابعه الامين ليمنعها عن المجيء وكان ذلك بعدفوات الوقت اذ حضرت ابنته ووالدتها( كليتمنيستر) والفتاة ( ايريفيل ) اسيرة اشيل وكانت هذه الاخيرة هائمة بهذا البطل فبذلت وسعها لتستحوذ على فؤاده وتنسيه ايفيجيني

ورغماً عما بذله اجاممنون من التكتم فقد أنبأ اركاس والدة ايفيجيني بامر الآلهة وخضع اجاممنون لمشيئة الوحي وجاء يطلب ابنته بنفسه ليقودها الى كلكاس

ولما سمع اشيل هذا الخبر اقسم بان يدافع عن ايفيجيني بيناء تعاتب كليتيمنيستر زوجها على هذه الخيانة . وكان الملك في اول الامر متكبراً معجباً غيرمتأثر ولكنه رق اخيراً وتعطف على الفتاة وامها واشار عليهما بالهرب لينجوا من هذا المصاب

الاليم ولكن ايريفيل نمت بما تم من امر الملك الى اليونان . وبينا ايفيجيني ماشية بعزم قوي الى المذبح اذ قال العراف كلكاس بان ايريفيل من دم يوناني ايضاً وهي التي تجب تضحيتها فانتحرت الفتاة حينما سمعت هذا ونجت ايفيجيني وهبت الرياح كما اشتهت السفن وسافر الاسطول واشتفت قلوب ابطاله بعد ما يئسوا من الانتظار الممل

## اجاممنون — كليتيمنيستر — ايفيجيني — ايجين [١]

كليتيمنيستر

تعاليْ بنيتي فانهم لا ينتظرون غيرك اذ انت ضالتهم المنشودة . تعاليْ لتشكري اباً يحبك ويود ان يقودك بنفسه الى المذبح [٢]

اجاممنون

مالي اراك بنيتي ساجمة العبرات غاضة امامي الطرف ؟ ما الذي اثار منك هذه الشجون وابكاك انت ووالدتك . لقد خانني التعس اركاس

ايفيجيني

سكن من اضطرابك وكن هادىء البال يا أبت فأمرك مطاع عند اول اشارة . وما حياتي الا من طولك ونعمتك وعاريةً تريد ان

(١) تابعة لكليتيمنيستر (٢) تقول ذلك بتهكم

تستردها . ونحن مستمعون لارادتك بعين قريرة وقلب خاضع كما قبلت الزوج الذي وعدتني به وتراني اذا لم يكن لنا مناص من الامر ضحية مطيعة تعرف أن تمد رأساً بريئاً الى سيف كلكاس محترمة هذه الضربة القاضية التي سمحت بها ارادتك لأرد اليك دماً منحتنيه

وان كنت ترى ان هذا الاحترام والطاعة يستحقان ان يكافآ بجزاء آخر وانك مشفق على آلام هذه الأم ورائف بها فانني اتجرأ ان اقول انه ربما صادفني من المجد والشرف ما احاط بحياتي من كل صوب مما لا يجعلني اتمنى الموت ولا ابغي ان القضاء المبرم يصل طرفيْ حياتي ويقرّب مولدي من مماتي

انا ابنة اجاممنون واول من ناداك بالوالد بل بهذا الاسم الجميل . وانا التي مضى عليَّ ردح من الزمن وانا قرة عينك وانك لهذا الاسم (١) كنت تحمد الآلهة على نعمهم ولاجله كنت تغمرني بملاطفاتك التي ما الجأك الى الاسراف فيها الا موضع الضعف (٢) من الابوة وحنانها وللاسف كنت اسرد والسرور ملء فؤادي اسماء البلاد التي ستدوخها متفائلة بانتصارك على ( اليون (٣) ) وكنت اعد معدات عيد هذا الظفر

---

(١) أي انه كان يحمد الآلهة حينما كانت تناديه يا ابت على ان منحوه ابنة وصار لها ابا (٢) مواضع الضعف هي التي تؤثر على الانسان وتتغلب عليه كحنان الابوة ولو كان الاب قاسياً مع جميع الناس (٣) اسم آخر لمدينة طروادة

وما كنت منتظرة ان يُفتتح بان تُهرق دمي ولا خوفي من هذه الضربة هو الذي يذكرني بطيبتك الماضية

لا تخش أمراً فان قلبي ليغار على مجدك وشرفك ولا يجترىء ان يقترف ما يحمرّ من اب مثلك الوجه خجلاً . ولو كنت لا أفكر الا في الدفاع عن حياتي لكنت استطيع ان احفظ تذكاراً جميلاً . ولكنك تعلم لسوء حظي وعثار جدي ان هناء امي وحبيبي مرتبط بي وان ملكاً يجلك يود لو يرى يوماً يشهر فيه زفافنا الفخم

وثق حبيبي بقلبي الذي وعد بهواه وقد عد نفسه سعيداً حينما وعدته بزواجي . فما قولك في خوفه واشفاقه اذ يعلم قصدك . وترى والدتي امامك تذرف وابل الدمع فعفوا عما سولت لي به الآن نفسي لتدارك عبرات تسيل بسببي

اجاممنون

لقد قلت حقاً يا بنيتي . وليت شعري لأي جرم يطلب غضب الآلهة قرباناً لتكفيره ودعاك باسمك هذا الوحي القاسي ليهدر دمك على المذبح . وما كان شغفي بك منتظراً توسلاتك للذود عن حياتك بل طالما قاومت هذا الامر

اتظنين ان هذا الحب الذي تعترفين به بنفسك وفي هذه الليلة أخبرتِ بأني اعلنت بطلان هذه الارادة التي جعلوني اقبلها لفائدة اليونان التي سينالونها منك . وذهب اركاس ليمنعك عن المجيء ولات حين مناص

اذ لم تشأ الآلهة ان يصادفك وخدعوا ما بذله اب تعس سيء الحظ يحميك بلا طائل ولا جدوى مما صبوه عليك من العقاب الاليم

لا تعتمدي على قوتي الضعيفة في حمايتك والدفاع عنك فلا احد يستطيع ان يوقف حرية شعب عند حد ان ارادت الآلهة رفع نير الاستعباد عن عاتقه ؟

فاذن يجب عليك بنيتي ان تخضعي فقد ازفت ساعتك . وفكري جيداً في اي مرتبة ربيتِ ونشأت واني اعظك بهذه النصيحة التي لم اكد اتلقاها . واعلمي ان موتك اهون مما سأعانيه بعدك من الحسرات والالآم التي تهد شوامخ الاطواد

اظهري عند موتك من اين اتيت واخجلي الآلهة الذين ظلموك بهذا العقاب الاليم واذهبي ليعرف اليونان دمي وهو سائل منك حينما يضحونك

كليتيمنيستر

انك لم تكذب اسرة منحوسة مشؤومة ومن اشبه اباه فما ظلم . ثم انك من دم (اتريه[1]) و (تييست). ألم يرق لك يا جلاد ابنته الا ان تولم بها وليمة فظيعة لأمها وانك ايها الوحش الضاري الذي دبر هذه الضحية بفنونك وحيلك؛ ألم يمنعك قبح هذا العمل وفظاعته عن قبول هذه الارادة البربرية القاسية

عجبي منك كيف تتصنع امام اعيننا بهذا الحزن الكاذب ؟ افكر

(١) والد اجاممنون وتييست اخوه وقتل الاخ الاول ابناء اخيه واطعمهم لابيهم

انك تخدعنا بهذه الدموع لتبرهن على حنانك وشفقتك ؟ واي حرب خضت غمارها لاجل ابنتك او دم اسلته لها ؟ ام اي أثر هنا يدل على مقاومتك او ميدان غطيته باشلاء الموتى يلجمني ولا يدع لي وجهاً للكلام ؟ وباي شهود تثبت ان حبك لها سول لك نجاتها

حكم القضاء المبرم بقتلها ولا اظن ان الوحي يؤخذ من ظاهر قوله . وهل الآلهة العدل يشفون اوار غليلهم بهذا الموت الشريف وهذا الدم البريء ؟

وان كان بجرم هيلانة تؤخذ اسرتك وتنشد (ايرميون[١]) والدتها في ارجاء اسپرطه ويجعل منيلاس يسترد بثمن ناهيك به نصفه[٢] الأثيم الذي هام به وتيمه

عجبي لك فأي جنون ألجأك لان تكون ضحية له وان تحملنا تبعة جرم أخيك ولِمَ ادعني امزق جيوبي غماً واعطيه دمي النقي ثمناً لحبه الاحمق ؟

ماذا أقول في هذا الامر الذي اثار غيرة الجميع . وتظن ان هيلانة التي عكرت صفو اوروبا وآسيا تستأهل ان تكون ثمناً لحروبك العظيمة ؟ كم من مرة حمرت وجوهنا خجلاً لاجلها قبل ارتباطها المشؤوم بزواج اخيك اذ اختطفها (تيزيه[٣]) من ابيها كما علمت وانبأك به كلكاس وائتلف بها سراً واولدها بنتا اخفتها عن اليونان وكانت برهانا ساطعا لأثمها

(١) ابنة هيلانة (٢) يريد زوجته التي هي كقطعة منه (٣) بطل من فرسان اليونان ابن ايجيه وملك أثينه

واني لا اصدق ان حب الاخ وشرفه الموصوم هو الذي دعاك لهذا الاهتمام وعجلت لاجله . كلا بل امانيك في الملك التي لا تنطفئ من قلبك والاعجاب برؤية عشرين ملكاً تخدمك وتخشاك ويعهد اليك بمقاليد امور المملكة التي عبدها فؤادك وتريد ان تضحي لاجلها ابنتك ايها القاسي الغليظ القلب ولا يحركك قلبك لترفض هذه الضربة الفاجعة التي تريد ان يكون لك بها فضل وحشي

تغار على ملك تُحسدُ عليه ان تلته وتود ان تبتاعه بدمك راغباً ان تفحم كل مجترئ أراد ان ينازعك فيه . انعد اذن والداً ؟ آه ! ان فكري يسلم ويقر بقسوة هذه الخيانة

وذاك الكاهن الذي التفت حوله فئة ممن لا قلوب لهم ولا خلاق يريد ان يمد يداً أثيمة الى ابنتي ويمزق احشاءها ويستشير الآلهة بعين زائغة وقلب خفاق . وأنا الذي اتيت بها وهي متهللة مستبشرة معجبة بجمال يسلب النهى ارجع على عقبيّ وحدي بخفي حنين يائسة بائسة ! وأرى الطرق ما برح عرفها الشذي متضوعاً مما نثر تحت اقدامها من الازهار

كلا فاني لا اقودها الى العذاب او تضحيَّ لليونان ضحيتان . ولا خوف او احترام يستطيع ان يفصلها مني او ينزعها من بين ذراعيّ الا بعد ان يدميهما . يالك من بعل وحشي وأب قاس . تعال لتريني كيف تقدر ان تنتشلها من بين يدي أمها . فادخلي اذن يا بنيتي واطيعيني على الاقل للمرة الاخيرة

## Phèdre

## فيدر

### الملخص

رواية محزنة ذات خمسة فصول مثلت للمرة الاولى على مرسح ( السكوميدي فرانسيز ) في اول يناير سنة ١٦٧٧ وقد مثل فيها راسين غرام فيدر المحرم وهي زوجة ( تيزيه ) لابن زوجها ( ايبوليت ) الذي كان نموذجا للشرف والعفاف والطاعة البنوية وكان هذا الشاب عاشقاً لفتاة تدعى ( اريسي ) رقيقة العواطف ذكية الفؤاد قوية العزيمة وكان ( تيزيه ) يمثل ابا يرثى لحاله لما انتابه من المصائب كما يمثل ( تيرامين ) وهو مؤدب ايبوليت الفصاحة والبلاغة و ( اينون ) مرضع فيدر ذات نفس منحطة تخلص ولو في الاشتراك في الجرم

وأهم ماتدور عليه الرواية وبيت القصيد فيها هي أحوال فيدر المدهشة التي ربما كانت الاولى في بابها في جميع الروايات الفرنسية

كانت عواطف فيدر وغرامها المبرح قاسية شديدة دارت على جميع أوجه الحب من توسل ولمن وغضب وغرور وخرف حقيقي وكانت فيدر ليست عديمة الضمير بالمرة بل كان يجملها تقاوم وتناضل وتتألم وتتمنى الى ان تابت قبل موتها . ولا داعي للتطويل في سرد هذه الحوادث لان اغلبها موجود في النبذة التي عربناها

## نبذة من رواية فيدر

### المنظر الثالث من الفصل الاول

### فيدر — اينون

فيدر

فلنقف عند هذا الحد يا عزيزتي اينون فان جسمي لا يكاد يتماسك وخانتني قواي المضمحلة وكلَّ مني الطرف من النور الذي اراه وترين ركبتيَّ المرتجفتين توشكان ان تختفيا تحتي ولا يحملانني . فوا أسفاه على حالتي . (ثم تجلس)

اينون

ايها الآلهة القادرون ! لترضكم عنا وتسترحمكم دموعنا المنهلة

فيدر

ما اثقل عليَّ من هذه الخُمُر [١] والحلي والحلل التي لا طائل منها ولا اكاد استطيع حملها . واي يد منغصة عقدت مني الشعر وربّته فوق جبيني ؛ اذ كل شيء اصبح يؤلمني ويؤذيني

اينون

يا لهذه الاماني التي خيبت بعضها بعضاً . وانك ساخطة على مقاصدك

(١) جمع خمار وهو ما تلف به المرأة رأسها

وهي غير عادلة اذ كنت تحرضيننا على تزيينك وحينما تعاودك ذكرى قوتك الاولى تريدين ان تظهري للناس وتشاهدي الضوء . وانك لتزينه ويوشك ان يحجبك اذ تكرهينه وانت التي سعت اليه قدمك واتيت تطلبينه (١) ؟

فيدر

ايها الجد الشريف المجيد لاسرة حزينة بائسة ! انت الذي افتخرت واعجبت بك امي بان كانت لك ابنة . وربما تخجل مما انا فيه من الاضطراب . وانت ايها الشمس قد اتيت لا تزود منك بالنظرة الاخيرة

اينون

مالي اراك لا تفارقك هذه الرغبة القاسية سائمة من الحياة مستعدة لها استعداداً مشؤوماً ؟

فيدر

ايها الآلهة ! ألست الآن جالسة في ظلال الغاب . فمتى استطيع ان تتبع عيني خلال غبار شريف عجلة (٢) فارة الى المحجر ؟

(١) انهك الحب قواها وطرحها على فراش المرض ولم تخرج مدة من مخدعها فاشتهت ان تتزين وتخرج الى بهو البيت لتشاهد النور وتستنشق الهواء ولكنها ما مشت غير خطوات قليلة الا وخانتها قواها فجلست من شدة ضعفها وطفقت تلمن النور الذي تشاهده واليد التي زينتها (٢) العجلة هي العربة وهذا القول خرف عند نوبة اختلاط عقلها من المرض وفرط الحب

اينون

ما هذا ياسيدتي ؟

فيدر

ما أحمقني ! اين انا وماذا قلتـه ؟ اين ضلت مني الاماني والحجى ؟
فقدت صوابي : والآلهة هي التي نزعته مني
ان وجهي يا اينون علته حمرة الخجل اذ تركت آلامي المخجلة ظاهرة
للعيان والعين غارقة بعبراتها رغماً عني

اينون

اذا كنت خجلة فاخجلي من صمتك الذي يزيد في آلامك ومتاعبك . يثور ثائرك ان رعيناك باعتنائنا وتصم اذناك لحديثنا . اتريدين ان تعجلي على البقية الباقية من ايامك دون رحمة ؟ اي غضب يحول دونها [١] في ميدان السباق عن بلوغ شأوها ؟

خيم الليل ثلاثاً وكر عليه النهار ثلاثاً فبدده ولم يطرق الكرى لك عيناً مذ رزح جسمك تحت وطأة الألم والسقم دون طعام . ماذا تسول لك به النفس من سيء المقاصد ؟ وبأي حق تريدين ان تفتكي بنفسك مهينة الآلهة الذين تفضلوا عليك بنعمة الحياة وتخونين زوجاً ربطتك واياه عرى العهد والميثاق واولاداً بؤساء يحملون بعدك نيراً قاسياً . اتؤملين انه في اليوم الذي فيه تفارقينهم يتعطف عليهم ابن الاجنبية عدوك

(١) اي دون ايام حياتها

وعدو اسرتك هذا الولد التي حملته ( احدى الامازون ) [١] في احشائها وهو ايبوليت

فيدر

آه يا رباه !

اينون

هل يجرح عواطفك هذا العتب

فيدر — يا له من اسم خرج اسوء الحظ من فمك

اينون — انك محقة في استعار غضبك : اذ احب ان اراك وانت مرتعدة من سماع هذا الاسم المنكود . عشت وانعشك الحب والواجب وطالت حياتك لئلا تتألمين من ان يقهر اولادك احد ابناء ( السيت [٢] ) ويتأمر على اشرف دم في اليونان . تجنبي الكدر والغيظ فان كل لحظة تودي بحياتك واجتهدي في اصلاح ما تلف وانتهك من صحتك وقوتك المضمحلة حيث اوشكت ان تتصرم ايام حياتك ولكنها ستطول وتصبح زاهرة ناضرة

فيدر

لقد اطلت كثيراً هذه المدة الاثيمة

---

(١) في خرافات اليونان يقولون ان الامازون كانت أمة من النساء وكن يعدمن اولادهن الذكور ويحرقن ثديهن الايمن ليحسن رمي النبال وكن يعشن على ضفاف نهر تيرمودون في كابادوس (٢) امة قديمة متوحشة رحالة كانت تسكن الشمال الشرقي من اوروبا والشمال الغربي من آسيا

اينون

هل يمزق فؤادك تعذير السريرة ؟ ام اي جريرة احدثت لك هذا الاضطراب العاجل ؟ مع ان يديك لم تنغمس في دم بريء

فيدر

انني بفضل الله لم تقترف يداي اثماً وربي راض عني لبراءة قلبي كيدي

اينون

اي عزم فظيع يرتعد منه قلبك ويرتعد ؟

فيدر

لقد صرحت بما فيه الكفاية : فوفري عليَّ الباقي فاني اود لو اموت لئلا اقر باعتراف مشؤوم

اينون

موتي اذن واقبري معك هذا الصمت القاسي وابحثي عن يد اخرى لتغمض منك العينين اذ لم يبق لك الا نور ضئيل . وستكون روحي البادئة باللحاق بالموتى اذ امامي الف سبيل يوصل اليهم وستختار آلامي اقربها واقصرها

متى غرتك ذمتي ايتها القاسية ؟ الا تعلمين ان ذراعيَّ هما اللذان تلقياك عند الوضع ؟ اتجهلين اني فارقت وطني واولادي لاجلك . ابذلك تكافئين اخلاصي ووفائي

فيدر

اي ثمرة تؤمليها من القسوة والشدة ؛ وانك لترتعدين من فظاعة الموقف ان بحت لك بالامر بعد الصمت

اينون

بربك قولي لي من يطاوعه قلبه ويستطيع ان يشاهدك وانت تسلمين الروح امام ناظريّ

فيدر

حينما تعلمين اثمي والحظ السيء الذي يثقل كاهلي ترين ان ذلك ليس وحده المسبب لموتي بل علمك بجريرتي يزيدني اثماً وجرماً

اينون

بحق ما ذرفته لاجلك ياسيدتي من العبرات وركبتيك الضعيفتين اللتين الثمهما ان تخلصيني من هذا الشك الممقوت

فيدر

انهضي فلك ما تبغين

اينون

حدثيني فاني صاغية

فيدر

الهي ماذا اقول لها ؟ وبأي طرَف افتتح الحديث

اينون

اتحبين ؟

فيدر

نعم ومن الحب عراني ما عراني

اينون

ولمن ؟

فيدر

ستسمعين نهاية القبح فاني احب . . . ولهذا الاسم المنكود ارتجف وارتعد . احب . . .

اينون

من ؟

فيدر

الا تعرفين ابن ( الامازون ) هذا الامير الذي طالما اضطهدته

اينون

ايپوليت : يارباه !

فيدر

انت التي ذكرت اسمه

اينون

اللهم ان جميع دمي تثلج في عروقي . فياللخيبة الامل والجرم ! ويالأسرة يرثى لها! ورحلة منحوسة هل اقترب منك اذن ايها الشاطئ التعس ؟

فيدر

اتاني مصابي من أبعد من ذلك فاني ما كادت تجمعني وابن ( ايجيه [1] ) روابط الزواج واستتبت راحتي وسعادتي الا وأظهرت لي ( اتينه ) عدوي الألد : شاهدته فاحمر وجهي خجلا ثم صار شاحباً بمرآه

ثار بنفسي الحائرة ثائر الاضطراب واصبحت العين لاتبصر ولا أستطيع التكلم وكنت اشعر ان جسمي يتثلج تارة ويحترق طوراً . وقد عرفت الحب ونيرانه المخوفة وما يطاردني به من العذاب الاليم الذي لايؤمن شره . وظللت اوالي الدعوات لأحيد عما يؤلمني ويؤذيني

بنيت للهوى معبداً واعتنيت بتزيينه وكنت محاطة بالضحايا في كل آونة باحثة بين جوانبهم عن صوابي الضال ولكن الدواء لاينجع فيما ازمن واستعصى من الادواء . وكنت احرق البخور على المذبح بلا طائل ولا جدوى وعندما يتوسل في الى الزهرة كنت اكاد اعبد ايبوليت واراه بلا انقطاع بجانب المذبح الذي كنت ابخره

كنت اقدم جميع مالديّ لهذا المعبود من دون الله ومن لااستطيع ان أسميه فكنت أجنبه في كل مكان . فيالمنتهى الشقاء اذ كنت أرى ملامح أبيه مرتسمة في وجهه فاضطرب واثور

كنت ابذل الجهد في اضطهاده لأبعد عني عدواً اصبحت أهيم به واعبده واتصنع الحزن والهم كعادة نساء الآباء الظالمات مجتهدة في نفيه

(١) هو تيزيه زوجها

وابعاده . والفضل في انتزاعه من أحضان أبيه راجع الى صياحي المستمر

وقد استنشقت الحياة منذ غيابه وقضيت ايامي في الدعة والسكون خاضعة لبعلي كاتمة عنه قلقي واستثمرت هـذا الثمر من زواجه المشؤوم ولـكن لايغني حذر من قدر !

وحينما ذهبت مع زوجي الى ( تريزين ) بصُرت هناك بعدوي الذي كنت أفر منه وانفجر جرحي الذي لم يندمل . وليس الحب مختفيا في عروقي بل الحب أجمعه الذي اقتنصني غنيمة له ولم أفلت من مخالبه . وقد سبب لي جرمي فزعا عظيما حتى أبغضت الحياة وكرهت الحب وودت لو أقضي نحبي لأحفظ مجدي وأداري غرامي المشؤوم عن العيون . ولم أستطع ان أوقف دموعك وادفع مقاومتك وقد بحت لك بكل شيء ولا داعي اذن للتوبة حيث اقترب الأجل فلا تؤلميني بعتبك الظالم وان تكفي من اسعادك وغيائك الذي يذكرني بالبقية القليلة من حياتي التي اوشكت ان تنقضي

المنظر الخامس من الفصل الثاني

## فيدر — ايبوليت — اينون

فيدر ( تخاطب اينون داخل المرسح )

هاك من اذا رأيته يهرع جميع دمي الى قلبي وانسى ما أريد ان افاتحه به

اينون

الا تفكرين في ولد لا أمل له الا فيك

فيدر ( تخاطب ايبوليت )

يقال ان سفرا عاجلاً سيحرمنا منك ايها الأمير وقدجئت لأشاطرك آلامك وعبراتك ولأشرح لك مخاوفي واشفاقي على ولد اصبح فاقداً لأبيه وسيشهد موتي القريب وان له بالمرصاد الفا من الاعداء يريدون ان يبطشوا بطفوليته ولا احد يقدر ان يحميه من مكائدهم غيرك . ولكن في النفس قلق يضطرب منه فكري وهو خوفي من ان تصم اذناك عن استغاثة ولدي واخشى ان تصب عليه جام غضبك العادل وتتبعه بامه القبيحة

ايبوليت

ليست هذه العواطف الدنيئة من شيمتي يا سيدتي

فيدر

ان كرهتني فلا اشكو منك ايها الامير فقد رأيتني باذلة الوسع في ايذائك . وانك لا تستطيع ان تقرأ في اعماق فؤادي ما حفظته لك من الضغن والحقد ولم استطع ان اجعلك تئن وتتألم ونحن على شاطئ واحد فكدت لك وعملت ما في الجهد سراً وعلناً لأبعدك عني وتفصلنا بحار عجاجة وامرت ان لا يذكر امامي اسمك . فلو قيست الاهانة والحالة هذه بالعقاب او كان الحقد وحده يستطيع ان يثير الحقد لما استحقت مرأة الشفقة والحنان وكانت اهلا لما تفرغه عليها من ضغائنك أيها الأمير

ايبوليت

من شيمة الأم ان تكون غيورة على حقوق اولادها فترينها لا تعفو عن ابن زوجة اخرى الا نادراً . واعرف حق المعرفة يا سيدتي ان الظنون والشكوك الممقوتة هي ثمرة الزواج الثاني . وقد ينالني من غيرك ما لحقني منك من الاهانة بل ربما تحملت سواك ولو كانت اشد وطأة (١)

فيدر

ايها الامير ! اني استشهد الله الذي سمحت قدرته ان اكون مستثناة من هذه القاعدة العامة ولكن قلقاً آخر ينغصني ويفترسني !

---

(١) اي انه لو كان ابوه تزوج بغيرها لاهانته واضطهدته الاخرى كهذه كما هي عادة جميع النساء يبغضن اولاد ازواجهن

ايبوليت

لا اود الآن يا سيدتي ان تزيدين اضطراباً على اضطراب . وربما كان ابي حياً وتسترحم الالهة دموعنا المنسجمة ويمنون علينا بأوبته . رعاه (نيپتون [١]) بعين عنايته ولا اظن ان دعاء ابي وتوسله الى هذا الرب الحفيظ يذهب صرخة في وادٍ

فيدر

لا يُنظر شاطئ الاموات مرتين ايها الامير : وحيث رأى (تيزيه) هذه الضفاف السود فان املك في الآلهة برجوعه يذهب ادراج الرياح . وهيهات ان يفلت الحريص اكيرون [٢] غنيمته

ماذا اقول ؟ لم يمت ابوك قط اذ يحيي واني اتصور اني اشاهد بعلي واحادثه . وقلبي . . . قد ضللت وضاع مني النهى ايها الامير وظهرت حميتي رغماً عني

ايبوليت

ارى حبك مبرحا متيماً . وان كان تيزيه اصبح في عداد الاموات لكنه ما برح نصب عينيك والحب يحرك دائماً ما سكن من آلام نفسك واشجانها

---

(١) اله البحار (٢) في الميتولوجيا انه نهر في جهنم لم يستطع أحد اجتيازه مرتين ويستعمله الشعراء الفرنسيون مرادفا للجحيم

فيدر

اجل ايها الامير واني لأتململ واحترق لاجل تيزيه ولست أحبه (١) كما رأوه في الجحيم (٢) متقلباً متغيراً لاثبات له عاشقاً لالاف واحدة ومن ذهب اخيراً ليدنس عرض اله الموتى بل اهواه امينا معجبا به شيء من القسوة يختطف اللب بجماله فتياً جذابا للافئدة متحليا بما توصف به الالهة او مثلما اراك رأي العين . كان شبيهك شكلا وقداً وعينا وحديثا . وحياؤك هذا الشريف صبغ وجهه حين خاض غمار اللجج للوصول الى كريت فكان كفؤاً واهلا لبنات مينوس . فماذا كنت تعمل اذن ؟ ولِمَ لم يقع انتخاب ابطال اليونان على ابوليت ؛ ولِمَ كنت صغيراً ولم تستطع ان تركب السفينة التي أقلته وأوصلته الى شواطئنا وكنت أنت (٣) الذي

---

(١) تخاطبه بالموارية ويرمى قولها انه أشبه بأبيه حتى يكادان لايفرقان وانها لاتحب أحدهما المتقلب الذي كان همه الجري وراء النساء بل تحب ابنه الذي هو بمثابة تيزيه ثان ويمتاز عنه بأمانته واخلاصه وحيائه وجماله وغير ذلك مما سردته في كلامها (٢) في خرافات اليونان ان جهنم موجودة بجزيرة وراء المحيط في الغرب الاقصى في جهة لاتضيئها الشمس ويتخللها اربعة أنهار منها ( اكيرون ) الذي سبق شرحه واله الجحيم ( هادس ) وزوجته ( پيرسيفون ) التي سافر لاختطافها ( تيزيه ) زوج فيدر وفي الجحيم قضاة لمحاسبة الموتى منهم ( مينوس ) أبو فيدر ولها حارس يدعى سيربير (٣) تحسر فيدر ان كان ابوليت وقت سفر أبيه الى كريت صغير السن ولو كان كبيراً وذهب وقتئذ بدل ابيه لفاز بزواجها ولم تكن عرضة لجميع هذه الآلام والشجون

اهلكت وحش كريت [١] رغما عن جميع تعاريج مأواه الفسيح

وقد سلحته اختي بالخيط المشؤوم بل انا التي سبقتها في هذا العزم لان الحب انار بصيرتي . فانا اذن ايها الامير التي هدتك السبيل في مسالك (لابيرنت) المضلة . وكم كلفني من الشجون والآلام هذا الرأس الجميل ! ولم يك هذا الخيط ليضمن لك حبيبتك وقرينتك في الخطر الذي ذهبت اليه . وقد أردت ان أسير امامك فتلج معك فيدر (اللابيرنت) لتشاطرك النجاة او الهلاك

ايپوليت

آلهتي ! ماذا اسمع ؟ انسيت ياسيدتي ان تيزيه أبي وزوجك ؟

فيدر

اتحكم على قول فهت به وانا فاقدة الصواب ايها الامير ؟ فهل اضعت مجدي وشرفي ؟

---

(١) نذكرها هنا سيرة تيزيه بالاختصار ليقف القارىء على أسرار هذه الرواية لانها مرتبطة بالميتولوجيا • كان تيزيه أعظم ابطال اتينه وملكها ولد بمدينة (تريزين) وكان أبوه (ايجيه) ملكا لاتينه أيضاً وقد وضع سيفه ونعله تحت صخرة عظيمة وقال اذا ولدت امرأتي (ايترا) ولداً وبلغ مبلغ الرجال يجب عليه ان يعالج الصخرة وحده ليرفعها ويأخذ السيف والنعل ثم يذهب الى اتيك ليعرفه الناس • ولما شب الولد عند جده (بيتيه) والد أمه وبلغ أشده ذهب الى الصخرة وزعزعها وأخذ سيف أبيه ونعله وسافر الى اتيك وفي أثناء طريقه قطع دابر من قابلهم من قطاع الطريق

ايبوليت

عفواً سيدتي واني مقر والخجل يصبغ وجهي باني اتهمت حديثك البريء بغير حق ولا استطيع من الخجل ان امكث امامك فلذلك ابارحك ...

فيدر

لقد سمعتني طويلاً ايها القاسي وقلت لك ما فيه الكفاية لانتشالك من هـذا الضلال ؛ اتعرف اذن فيدر وغضبها : قد شغفني الحب . ولا

---

والوحوش ولما وصل الى أبيه أرادت امرأته الاخرى ( ميديه ) ان تسمه فكشف سرها زوجها وطردها وشارك ابنه معه في الملك ودافع تيزيه عن أبيه ضد ( البالانتيد ) وذلل ثور ماراتون وضحاه ( لابولون ) ثم سافر الى كريت ليخلص أهل أتينه من الجزية الفظيعة التي كانوا يدفعونها الى ( مينوطور ) وهو وحش نصفه ثور والنصف الآخر رجـل حملت به ( باسيفاييه ) زوجة مينوس من ثور أبيض أرسله ( پوزيدون ) اله البحر ثم حبس مينوس هذا الوحش في ( لابيرنت ) الذي بناه ( ديدال ) وكان يطعمه لحم الانسان لانه عقب احدى الحروب التي قتل فيها ابنه اندروجيه أراد ان ينتقم ويثأر لابنه بان ضرب على الآتينيين جزية سنوية وهي سبعة غلمان وسبع فتيات كواعب تقدم طعاما لمينوطور • ولما وصل تيزيه الى لابيرنت قابلته اريان ابنة مينوس وناولته خيطا كان يستعمل بمثابة دليل للداخل في لابيرنت لئلا يتيه ويضل لتشعب مسالـكها العديدة فقتل تيزيه مينوطور وركب البحر مع اريان ثم هجرها على شاطىء ناكسوس فرمت بنفسها في البحر يأساً . ثم اختطف ملكة ( الامازون ) وقد سبق ذكر هـذه الامة واسمها ( انتيوپ ) ورزق منها بايبوليت . ثم ذهب الى الجحيم ليختطف زوجة الهها ( هادس ) ولكنه لم يفلح هذه المرة • ثم تزوج اخيراً بفيدر ابنة مينوس وجرى ماتحن بصدده

تفكر اني في الوقت الذي احبك فيه اعد نفسي بريئة . كلا واني واثقة بزلتي ولا تظن ان مجاملتي الفاضحة هي التي ولدت آلام هذا الحب الذي خاط مني الحجى

انتقمت مني الآلهة بان سلطت عليّ هذا الحب واني امقت نفسي اكثر مما تبغضني كما تشهد الآلهة الذين اشعلوا نار هذا الحب المنكود في دمي . ظن هؤلاء الأرباب انهم اتوا بمجد عظيم بان فتنوا فؤاد امرأة ضعيفة فانية

يذكرك الماضي بانني كنت اطردك لأهرب من حبك أيها القاسي وكنت استثير حقدك لأقاوم حبك ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً فانك كلما زاد بغضك لي زاد حبي لك وكانت مصائبك لي فتنة وسحراً جديداً

ضنيت ونحلت من نار الهوى والبكاء ويكفي لأقناعك ان تشاهدني بعينيك ان استطاعتا ان تحدقا في وجهي . فماذا تقول في هذا الاعتراف المخجل وهل تظنه اراديا ؟

جئتك مضطربة راجفة لولد لا اقدر ان ابغضه متوسلة اليك ان لا تحقد عليه ولكن لكون القلب مفعماً بالحب اهمل عزمه فلم اتكلم الا عنك ! فانتقم واقتص مني لهذا الحب الممقوت وخلص العالم من وحش يغيظك لتكون اهلا لأبوة بطل عظيم اوجدك في الدنيا

اتقدم ارملة تيزيه على حب ايپوليت ؟ اتظن انني هذا الوحش الهائل الذي تفر منه . هاك قلبي وهو الموضع الذي يجب على يدك أن

تطمنه . فرغ مني الصبر لتكفير الاهانة واشعر بأن قلبي يتقدم نحو ذراعك

اضرب والا ان ظننت انه ليس اهلا لضربتك او كان حقدك

يحسدني على هذا العذاب الذي استعذبه واستمرئه أو كنت تستنكف ان

تدنس يدك بدم حقير فاعرني سيفك ان اعوزني ذراعك

اينون

ماذا تصنعين يا سيدتي ؟ قد اقبلت الناس فتداركي ان يلمح احد

على وجهك ما ارتسم عليه من هذه الشهود الممقوتة فهيا ادخلي واهربي

من هذا الخجل البين

---

المنظر الثالث من الفصل الثالث

فيدر — اينون

اينون

ينبغي لك ان تعدمي من مخيلتك فكرة حب لاطائل منه يا سيدتي

واذكري فضيلتك السابقة فان الملك الذي ظن انه مات سيظهر امام

ناظريك اذ أقبل تيزيه وهو الآن في هذه المواطن والشعب يحتشد ويعدو

لرؤيته وحينما خرجت اتباعا لاشارتك لأبحث عن ايپوليت شاهدت

آلافا من الأصوات بلغت عنان السماء . . .

فيدر

زوجي حي يا اينون وكفى وقد اعترفت اعترافاً دنيئاً بحب يهينه ويفضحه. انه عائش ولا ابغي ان اعرف اكثر من ذلك

اينون

ماذا ؟

فيدر

لقد انبأتك به ولكنك لم تصدقيني . وقد تغلب دمعك على تحذير سريرتي وسأموت هذا الصباح واكون اهلا لان تبكيني العيون اذ اتبعت ارشادك وسأقضي نحبي فاقدة شرفي

اينون

تموتين ؟

فيدر

ايها الاله العادل ! ماذا اعمل اليوم ؟ سيظهر بعلي وابنه بجانبه وسأرى كيف يبصرني شاهد غرامي الفاحش وهو متشوق لان يعرف باي جبين استطيع لقاء ابيه وقلب مفعم بتأوهات جعل في اذنه وقراً عن استماعها وعين مغرورقة بدموع مل منها وسئم . اتظنين انه مشفق على شرف ابيه ويكتم عنه هذه الحمية التي اهاجت مني كامن الآلام ويسمح بخيانة ابيه وملكه ؟ اتراه يستطيع ان يضبط ما عنده من الحقد عليَّ ؟

سيلتزم الصمت بغير جدوى واني اعرف خيانتي يا اينون ولست من النساء المستهترات اللاتي نضب منهن ماء المحيا فلا يبالين بالفضائح والمعرات

ويستمرئن مرعى الجرم ويذقن فيه الدعة والسلم حتى عرفن ان يحملن جبينا لا يضرّجه الخجل

اني اعلم حدتي واذكرها ويخيل اليّ ان هذه الجدران والقباب ستنطق وتتهمني منتظرة بعلي لتوقفه على حقيقة الامر. فلنمت لتخلصنا شعوب من جميع هذه الاهوال

هل الموت مصيبة عظمى؛ كلا فانه لا يحدث اقل فزع للتعساء المنكودين ولا يعبأون به. ولست اخشى غير الاسم الذي اتركه بعدي ميراثاً مروعا لابناء عثر بهم الجد!

ان دم (المشتري) يجب ان يجرئهما اذ يحق لهما ان يفتخرا بنسب عظيم. ولكن اثم الأم عبء ثقيل واخاف ان يعيرهما احد بجرم والدتهما يوماً ما فيضاما بهذا الحمل الشنيع ولا يستطيع احد منهما ان يرفع عينيه من الخجل

اينون

هذا مما لا ريب فيه واني مشفقة على كليهما كما انك محقة بوجلك العادل. ولكنك تعرضينهما لاهانة يا لها من اهانة وتشهدين على نفسك معترفة بجريرتك؛ وان تم ما انت عازمة عليه يقولون ان فيدر اتت عظائم الأثم والجرم وهربت من امام زوجها المغدور ومرآه المرعب. وسيهنأ ايبوليت بموتك اذ به يؤيد قوله. ماذا استطيع ان اجيب به متهمك؛ اذ سيفحمني بسهولة واراه متمتعاً بهذا النصر الفظيع ويقص خزيك على

من اراد استماعه . آه ! اولى بي والحالة هذه ان تمحقني صاعقة من السماء ولكن أصدقيني ان كان لم يزل عندك معززا ؟ وبأي عين تنظرين هذا الامير الجريء

فيدر

اراه امام ناظريَّ كوحش مزعج

اينون

ولم تتنازلين اليه عن نصر تام ؟ أتخشينه : الا تطاوعك الجرأة بان تكوني السابقة في اتهامه بالجرم الذي يستطيع اليوم ان يلصقه بك . ومن يفند قولك ؟ والكل يعاونك على اتهامه . وحبذا الدليل الذي يؤيد قولك ان ترك لحسن حظك سيفه بين يديك وعلم ابوه من امد مديد بما سببه لك من الاضطراب الحاضر والمتاعب والآلام السابقة ونفاه وفقاً لأرادتك

فيدر

ما أشد جرأتي اذن على اضطهاد البراءة وتعكير صفوها

اينون

ان همتي ليست في حاجة الا لصمتك واني مثلك ارتعد من تبكيت الضمير وستبصرينني مسرعة في اقتحام الف موتة . وحيث لا سبيل الى نجاتك من مخالب الموت غير هذا الدواء المحزن ترينني اضحي لاجل حياتك كل مرتخص وغال . وساخاطب تيزيه حتى اذا هاج هائجه من ارشادي

قصر انتقامه على نفي ابنه والوالد ياسيدتي حينما يعاقب يكون كما تعهدينه رؤوفاً رحيماً ويكفيه خفيف القصاص لتسكين غضبه

ولو قدر وسفك دمه فانه يكون فداء لشرفك المهدد . وان الابن لكنز ثمين لا يستطاع الفتك به . فاطيعي اذن جميع ما يتطلبه منك شرفك يا سيدتي اذ لاجل نجاته مما حاق به يجب عليك ان تضحي لاجله كل شيء حتى الفضيلة . قد اقبل الناس وارى بينهم تيزيه

فيدر

آه . اني اشاهد ايپوليت وارى فنائي مسطراً في عينه الجامدة الوقيحة . فاعملي ما شئت فقد فوضت اليك الامر اذ ذهب صوابي من اضطرابي

---

المنظر الثاني من الفصل الرابع

تيزيه — ايپوليت

تيزيه

آه ! ها هو ايها الارباب العظام ! واي عين لا تنخدع مثلي في هذه الهيئة الشريفة ؛ هل تتلألأ على جبين الزاني النجس سيما الفضيلة المقدسة ! الا تعرف بالدلائل الصادقة قلوب الخائنين

ايبوليت

اتيسر لي ان اسأل الامير عما كدر صفوه واكفهر منه وجهه الجليل ؟ الا تستطيع ان تثق بي وتأمنني على هذا السر

تيزيه

اتجسر ايها الخائن ان تظهر امامي ؟ لم تركتك الصواعق امداً طويلاً ايها الوحش الضاري والبقية النجسة من قطاع الطرق الذين طهرت منهم الارض . وبعد ان قادتك حدة حبك الفظيع الى مضجع ابيك تجترىء ان تريني وجهاً اقبح من وجه العدو ! اتظهر في مواطن ملئت بفضائحك بدلاً من ان تبحث لك عن بلد مجهول لم يصلها اسمي . اهرب ايها الغادر ولا تقدم على حقدي واهاجة غيظ لا اكاد اضبطه وكفاني عاراً ابدياً ان اوجدت في الدنيا ولداً اثيماً مجرماً . وان قتلك ايضاً يكون لي ذكرى مخجلة تدنس مجدي وجليل اعمالي

اركب متن الفرار ان كنت تريد ان تنجو من قصاص مفاجىء يلحقك بالمجرمين الذين اقتصت منهم يدي هذه وحذار ان تراك الشمس التي تضيئنا واطئا بقدمك الجسورة هذه الأماكن . عجل بهربك دون ان تؤمل العودة لتطهر ممالكي من مرآك الشنيع

وانت يانبيتون ، اتذكر ان شجاعتي التي قطعت بها دابر العرد من سفاكي الدماء وطهرت منهم شاطئك . وقد اردت ان تكافئني على ما بذلته من الجهد بان تستجيب لي اول دعاء . ولم اتوسل اليك لتنقذني من شدائد السجن

القاسي اذ كنت حريصا على معونتك واسعادك فارجأت دعائي وادخرته لما هو اهم واعظم . فالآن ابتهل اليك ان تنتقم لاب سيء الحظ وقد تخليت عن هذا الخائن وتركته لغضبك فاخنق ما جرى في دمه من قبيح الآمال . وسيعترف تيزيه بافضالك ونعمك عند ما تستشيط غضبا

ايبوليت

اتهم فيدر ايبوليت بحب اثيم ! يا لمنتهى الفظاعة التي حارت منها النفس . كم من ضربة لم تكن بالحسبان تثقل كاهلي وتلجم لساني وتخنق صوتي

تيزيه

اتزعم ايها الخائن ان فيدر تطوي وقاحتك الوحشية في زوايا الصمت الفاضح : كان الأجدر بك عندما هربت من امامها ان لا تترك سيفك اذ هو بين يديها مساعد على نفي قولك بل كان خليق بك ان تزيد جرمك بان تجهز على كلامها وحياتها

ايبوليت

لقد هاج غيظك من كذب ممقوت وكان الواجب عليّ ان انطق بالحقيقة ايها الامير ولكني اغض الطرف من سر يمسك فيضيق صدري ولا ينطلق لساني . فارض بالاحترام الذي يطبق فمي بدون ان تزيد في همومك بيدك وألق نظرة على حياتي وافحصها وفكر من انا . افاتك ان الجرائم العظيمة تسبقها اصغر منها . ومن يستطيع ان يتعدى الحدود الشرعية

او يخرق حرمة الحقوق المقدسة . والجرم كالفضيلة له درجات اذ لم يسمع ان البراءة الحييه انتقلت فجأة دون استدراج الى منتهى الوقاحة والضلال . ويوم واحد لا يصير صاحب الفضيلة خائنا قاتلا نذلا يأتي المنكر مع محارمه

حملتني في احشائها طاهرة عفيفة من الشجاعة والاقدام بمكان رفيع فلم اكذب دمها واظلمها . وكان بيتيه موصوفا بالكياسة والذكاء بين جميع العالم وقد تفضل بتهذيبي واني لا اود ان اصف نفسي باكثر من ذلك . واظن يا اميري ان حظي الذي احرزته من الفضائل هو الذي اشعل الحقد عليّ فرموني بهذه الكبائر الفظيمة . وان ايبوليت لمعروف في جميع اليونان بانه بلغ منتهى الفضيلة وانك تعرف من شجوني ثبات عزيمتي في الشدة والجفاء وليس النهار بأنقى من قلبي . ابعد ذلك يريدون من ايبوليت ان يفتتن بنار حب دنس

تيزيه

نعم وهذا الكبر والأعجاب هما اللذان اوقعاك في شر عملك ايها النذل ؛ وارى في جفائك وانفتك المبادىء الشنيعة : اذ فتنت فيدر وحدها عينيك الوقيحتين وكانت نفسك خالية البال عمن سواها مستنكفا ان تحترق لاجل حب بريء حلال

ايبوليت

لا يا ابت فان هذا القلب كتم عنك كثيرا هواه البريء ولم يستنكف ان يلتهب منه واني اعترف بين يديك بهفوتي الحقيقية : اني احب واهوى

رغما عن دفاعك وقد استرقتني اريسي وصار ابنك اسيرا لابنة بالانت . شغفني هواها واصبحت نفسي عاصية لاوامرك لا تتأوه ولا تحترق الا لاجلها وحدها

تيزيه

اتحبها ؟ إلهي ! لا لا فتصنعك شنيع : تتظاهر بالجرم وتتكلف لتبرر نفسك

ايبوليت

منذ ستة شهور واني اتجنبها واحبها : وقد اقبلت اليك مرتجفاً لاطلعك على امري . عجبا ! مالي اراك لا يؤثر عليك شيء لا تنتشلك من اوهامك ! فاي يمين هائل تصدقه ؟ ابالارض ام السماء ام جميع الدنيا . . .

تيزيه

يلجأ المجرمون دائما الى الحلف الكاذب فأقصر ووفر عليّ حديثا ممقوتا اذا لم يكن لفضيلتك الكاذبة معين آخر

ايبوليت

اتظهر لك فضيلتي بانها كاذبة ومفعمة بالتصنع : مع ان فيدر نفسها يناجيها قلبها بانصافي وتبريري

تيزيه

آه ! ما اشد وقاحتك واقواها تهييجا لغيظي !

ايبوليت

ما الزمان والمكان اللذان تحددهما لنفيي وأبعادي

تيزيه

اتذهب الى ما وراء ( اعمدة السيد ) واظنها قريبة بالنسبة لغادر

ايبوليت

اذا كنتُ أهمل جرما فظيعاً تتهمني به فأي صديق يرثي لحالي ان تخليت عني وهجرتني

تيزيه

اذهب لتفتش عن صحاب يشرفون الزنا ويستحسنون اتيان المنكر مع المحارم اذلا يحمي خبيثاًمثلك الا كل خائن كنودعاطل من الشرف والدين

ايبوليت

ما برحت تحدثني عن الزنا وهتك المحارم : اني ملازم السكوت . وان فيدر ولدتها ام وهي ايها الامير من دم تعرفه حق المعرفة وله من الفضائح والمعرات اكثر مما عندي

تيزيه

بخ بخ ! اتخرجك حدة غضبك امام عيني عن حد الاعتدال؟فاغرب من وجهي للمرة الاخيرة . اخرج ايها الخائن الغادر ولا تنتظر من اب يتميز من الغيظ ان يطردك من هذه الأماكن مهاناً مرذولاً

---

المنظر السادس من الفصل الخامس

تيزيه ـ تيرامين

تيزيه

اهذا انت يا تيرامين ؟ ماذا صنعت بابني وقد عهدت به اليك منذ نعومة اظفاره ؟ ولكن ما الذي يسيل منك هذه العبرات وماذا عمل ابني ؟

تيرامين

يالعناية فات وقتها ولا حاجة اليها، حنان لا يجدي! اذ فارقكم ايبوليت

تيزيه

آلهتي !

تيرامين

ما رأيت احدا مات اكثر منه حباً لدى الناس . واتجرأ ان اقول لك ايها الامير انه اخف الناس ذنبا

تيزيه

هلك ابني ؟ عجبا ! متى امد اليه ذراعيّ لمعانقته ؟ هل نفد صبر الآلهة وعجلوا بموته ، اي ضربة اختطفته مني ، ام اي صاعقة مفاجئة

تيرامين

لم نكد نخرج من ابواب تريزين وابنك راكب عجلته وحرّاسه تعلوهم الكآبة ملتفون حوله مقلدون صمته فسار وهو فريسة الشجون والهموم في طريق ( ميسين ) وقد ارخت يده العنان على ظهور خيله . ولما كانت جياده الحسان كما عهدها الناس ملئت حمية لبت صوته

وزاغت منها الأبصار وطأطأت الرؤوس يحسبها الانسان انها وفق فكره الحزين اذ خرج من اللجج صوت مزعج عكر صفو الهواء فأجابت الصافنات الجياد هذا الصياح المرهب بصهيلها فتثلج دمنا في اعماق افئدتنا وانتصب شعر أعراف الخيل وارتفعت على ظهر اليم لجة كالطود واقتربت ثم تكسرت وقذفت بين الزبد وحشاً هائلاً عريض الجبين مسلح الرأس بقرنين مزعجين وجسمه مغطى بقشور مصفرة كأنه ثور صعب المراس او تنين عظيم البأس . التف عجزه فاحدث ثنيات معوجة ملتوية . وقد ارتجف من هول زئيره الشاطئ، ومادت الارض واوبأ الهواء وتقهقرت اللجة التي حملته وهي مروعة منه وهرب الجمع والتجأ الى المعبد المجاور دون ان يتسلحوا بشجاعة لا تغني ولا تنفع ولبث ابپوليت وحده فكان اهلا لان يكون ابناً لبطل حلاحل . فأوقف خيله وقبض على حرابه وطعن الوحش بيد لا تخطئ طعنة نجلاء اصابته في عطفه طفر من حر ألمها الوحش ووقع زائراً تحت اقدام الجياد متمرغا مظهرا فماً ملتهبا فغطاها بنار ودم ودخان فاخذها الفزع وصمت آذانها هذه المرة عن استماع الزجر ولم يغن صاحبها ما بذله من الجهد لكبح جماحها حتى كلّ ساعده وخارت قواه وضرّجت الخيل اللجم بما يخرج من افواهها المزبدة الدامية ويقال انه شوهد في هذا الهرج الهائل اله يضغط على جنوب الخيل المغبرة بمهمازه وهوى بها الوجل بين الصخور ففرقع محور العجلة وانكسر وشاهد البطل ابپوليت عجلته وهي تحطم ارباً ارباً ووقع هو بنفسه والتفت عليه الاعنة .

فاعذرني لألمي ومصابي : فان هذا المنظر القاسي سيفجر ينابيع الدمع من شؤوني فلا تجف مدى العمر . وقد نظرت ايها الامير ولدك البائس تجره الخيل التي اطعمها بيده وكان يود لو يذكرها بحسن صنيعه ولكن صوته كان يزيد في ازعاجها واستمرت في عدوها حتى اصبح جسمه داميا كأنه جرح . وقد ملأنا السهل بصياحنا واستغاثتنا ثم هدأ قليلاً جماح الجياد ووقفت على مقربة من المقابر العتيقة التي كانت بالملوك اجداده ذخائر باردة جامدة . فهرولت اليه متأوهاً وتبعني حرسه وهدانا اليه ماخطه دمه الشريف على الصخور واخذ العوسج الممقوت من خيله جلباباً داميا . ولما وصلت اليه ناديته فمد اليَّ يده وفتح عيناً مائتة ثم اطبقها فجأة وقال :

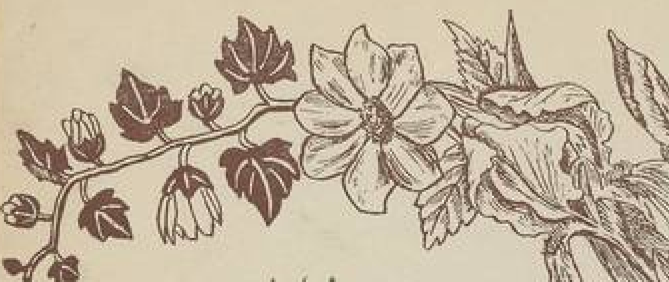
« قضى الاله بان ينزع مني حياة بريئة فارغ بعد موتي ( اريسي ) الحزينة البائسة بعين »
« عنايتك أيها الصديق العزيز وان تبين الرشد من الغي لابي يوماً ما ورثى لمصيبة ابن »
« اتهم كذباً وظلماً فقل له ان أراد ان يلطف دمي وخيالي الشاكي »
« فعليه ان يرأف بأسيرته ويعاملها بالرقة والحنان ويرد اليها . . . » وعند هذه

اللفظة اسلم الروح هذا البطل ولم يترك بين ذراعيَّ الا جسما مشوها ممثلاً به . فيالمسكين يرثى له ظفر به غضب الآلهة حتى ان عين أبيه تنكره

تيزيه

واولداه! واأسفاعلى أمل عزيز فجعت به! يا الآلهة لايسكن غضبها ولا ترحم قلوبها
ومن استعبدتني أمداً طويلاً! مدت في حياتي لتذيقني هذه الحسرات القاتلة!

# فهرست





# بلاغة الغرب

أحاسن المحاسن وغرر الدرر

من قريض الغرب ونثره

## الجزء الثاني


عربه

محمد كامل حجاج

بالمحكمة المختلطة





سنة ١٩٢٢


**Traduction de quelques chefs-d'oeuvre des littératures françaíse, allemande, italienne et anglaise**

**Par**


M. Kamel Haggag



مطبعة الشمس بمصر

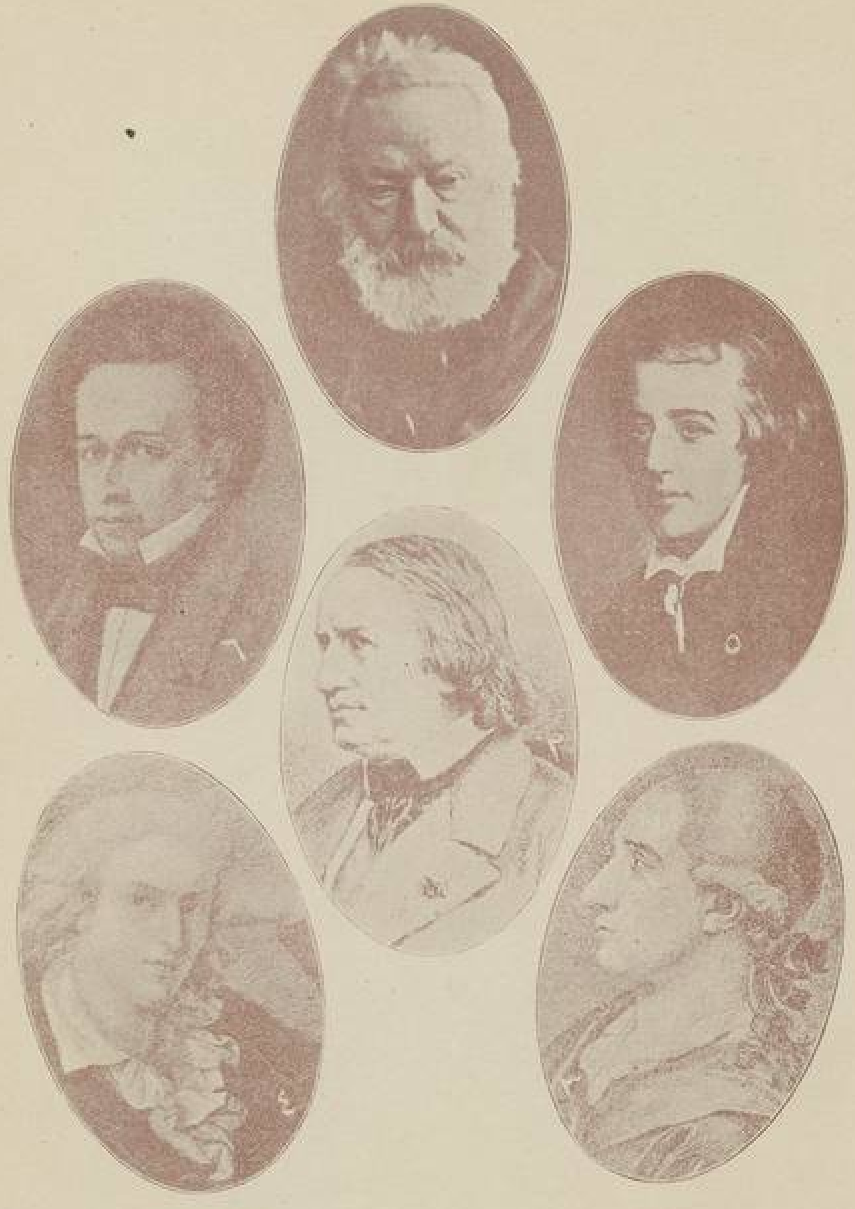
# الى روح ڤكتور هوجو

مليك الشعراء وامام البلغاء

رعاك الله أيها الروح الطاهر ، وأفاض عليك من صيب رحماته ، وطيب بركاته ، ما تقر به عينك ، وتبتهج له نفسك ، فقد كنت ناصراً للمستضعفين ، براً بالتعساء البائسين ، مفرجاً لكروب المكروبين

أنت الذى بددت بشموس عرفانك ، وآيات سحر بيانك ، ما تكاثف حولي من غيوم الجهل ، فمهدت لى السبيل لفهم نفثات أقلام غيرك من شعراء الغرب . أنت الذى مزقت ما ختم به على فؤادى من غشاوة القسوة والغلظة حتى أصبح يتوجع لمتاعب المعوزين ، وآلام المنكودين

اليك أهدى ما عربته من معجز قولك ، ونفحات شعراء الغرب ، وهو عندى أعز قنية ، وأنفس طرفة ، ولعله يرضيك فتتقبله قبولاً حسناً . فسلام عليك من معترف بفضلك وآلائك ، لاهج بشكرك وثنائك



(١) هوجو (٢) دوفيني (٣) جوت (٤) شيلر (٥) هين (٦) ليبوباردي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن شرف الانسان ، بفضل العلم والعرفان ، وتوّجه بالبلاغة والبيان ، فأصبح يردد من صدى نغمات الجنان ، ما يشجي النفوس ويشنف الآذان ، وصلاةً وسلاماً على من فتن الالباب بروائع حكمه ، وساحر بيانه وجوامع كلمه

وبعد فيعجز اليراع عن ايفاء واجب الشكر والثناء للطبقة الراقية على ما لاقيته منهم من حسن الصنيع وتقدير الاعمال حق قدرها اذ تقبلوا الجزء الاول قبولاً حسناً واغدقوا على من صنوف التقريظ والاعجاب اكثر مما استحقه اذ كل فرد منا يحتم عليه الواجب خدمة أمته

واني لا أجد وسيلة للاعتراف بفضلهم خيراً من تخليد بعض من نفثات أقلامهم لاسيما ماحوى من دقيق التحليل وطلي الاسلوب ورشيق العبارة ونكتفي بالتنويه عن الباقي

وهذا ما شجعني على اصدار جزء آخر لشعراء الالمان والطليان والانكليز

وسنوافي القراء بعد حين بمجلد يضم بين دفتيه أغلب ما كتبناه من مختلف الابحاث والموضوعات الادبية والفلسفية والبسيكولوجية والموسيقية والنقد وسنطلق عليه اسم « خواطر الخيال واملاء الوجدان »

# كلمة في الانشاء

يتوهم البعض ان من عرف المرفوع والمنصوب وحفظ جانباً من المنثور والمنظوم ملك أعنة البيان وراض صعابه فتراهم يتهافتون على الانشاء السخيف المسجع ويفتتنون بما يرص فيه قائلوه من محسنات بديعية تافهة يوارون بها عجرهم وبجرهم ولغطهم المرذول وخلطهم الممقوت وثرثرتهم الباردة

فمثل هؤلاء كمثل من افتتن بعجوز شوهاء تبرجت واختضبت وزججت حاجبيها وعينيها وتعطرت واختالت وتبخترت في مشيتها وجرت اذيال الخز والديباج

واني أعرف نفراً ممن يعدهم مريدوهم العامة من أعاظم الكتاب جمعوا الافا من الجمل المسجعة في دفاتر صغيرة ورتبوها على الحروف الابجدية ليستعينوا بها ان خانتهم الذاكرة وقت الحاجة ، وقد يغير لفظاً أو اكثر منها بمرادفات أو يزيد عليها كلمة ظاناً انه بعمله هذا يداري سرقته

فان أرجعنا كل جملة الى مظانها لم يبق في ما خطه الكاتب الا صحف بيضاء ، ومثل هذا الانشاء كمثل أثواب أهل الكدية مرقعة بمتباين الالوان

والادهى انه حينما يكتب شيئاً يسرد فيه حادثة او قصة في اوربا يتغنى بالعيس وحاديها والبيداء وقوافلها والخيام وساكنيها والرسوم الدارسة فكأن اوربا عنده جزء من بلاد العرب

وانا نلتمس العذر للعامي ان تهافت على مثل هذه السخائف لانه يبحث بطبعه عن كتابة أمثال هؤلاء الكتاب لسهولتها وتزويقها وقد قرأ قبلها الف ليلة والهضام والظاهر بيبرس وأمثالها

يستنفد الكاتب من امثال هؤلاء وقته الثمين ويقطع متواصل فكره ويخمد وجدانه ويخنق عواطفه ليبحث عن سجعات تافهة يغل قلمه بقيودها ويسد بها المسالك امام نفحات خياله

ولا يبلغ الكاتب شأواً عظيماً في مضمار البيان الا اذا توافرت فيه هذه الشروط

١ — احراز قسط وافر في اللغة العربية

٢ — دراسة القرآن والحديث من وجهة البلاغة والشعر والنثر الجاهلي والمتين من منظوم ومنثور المحدثين والمولدين

٣ — الاطلاع على آداب الغرب

٤ — تجنب اللغط والثرثرة وتصيد جوامع الكلم وصوغ الكلام صوغاً عربياً بليغاً

٥ — سلامة الذوق ورقي الخيال

٦ — مراعاة انسجام الجمل ووزنها وحسن اختيار الالفاظ بما يناسب المقام

٧ — استملاء الشعور والخيال والتعبير عما يجول بالوجدان

٨ — دقة الملاحظة اذ عليها المدار في تصوير الاشياء تصويراً دقيقاً

وبها يكون الاستدلال والحكم صادقين

٩ — تجنب السجع الا ما جاء عفواً وبدون تكلف

١٠ — ترتيب الفكرة والخيال وتوضيح المرمى او المغزي الذي يرمي اليه

وأهم هذه الاركان الذوق السليم اذ هو ملاك الانشاء وروح البيان ولا يتأتى نواله الا بالتهذيب الصحيح وترقية الفكر بالآداب والفلسفة كما ان للفنون الجميلة نصيباً وافرا في تقويم الاذواق فان هذبت الموسيقى اسماعنا وفهمنا اسرارها عرفنا الشعر المكسور دون أن نعلم شيئاً من العروض وميزنا رنة القافية وانتقينا أرق الابحر وزناً

وان فهمنا أسرار التصوير والنحت فهمنا معنى الجمال في كل شيء ولم يخطيء تصويرنا الفكري وترقى خيالنا وقويت فينا الملاحظة الدقيقة وصدق استدلالنا وحكمنا

## كلمة في الترجمة

الترجمة فن عويص لا يجيده الا من ضرب بسهم وافر في اللغتين اللتين ينقل عنها واليها واوتي ذوقاً سليماً

وللترجمة عند الغربيين أساليب عديدة منها النقل بتصرف وهذا قليل ويصدر عادة من كاتب او شاعر كبير يترجم الى لغته من هو أقل منه قدرة وكفاءة فيعلو بقوله الى مستوى راق يماثل قوله

وهذا النوع في حد ذاته مفيد ولكنه يحول بيننا وبين معرفة روح الكاتب وأسلوبه في الانشاء

والبعض ينقل كلمة كلمة دون تغيير في وضع الجمل ولا مراعاة لذوق اللغة التي ينقل اليها حتى بلغ ببعضهم الحد ان يترجم مصراعاً مصراعاً ويصفها فوق بعض كالقصيدة التي يترجمها ، وهذا هو مثال السخافة والعجز والبعض يحافظ على الالفاظ والجمل محافظة دقيقة ولكنه يتصرف في ترتيب الالفاظ طبقاً لما يستوجبه ذوق اللغة التي ينقل اليها وهذا أعظم اسلوب في الترجمة والمتبع بين افاضل المترجمين في اوربا

ولا ينبغي للناقل ان يترجم شيئاً لكاتب او شاعر دون ان يقرأ عدة قصائد أو قطع ليسبر غوره وتتجلى له روحه ومراميه

وهذا النوع الاخير هو الذي اتبعته في تعريبي

ولا يجوز التوسع في الترجمة توصلاً لايضاح جملة مقتضبة او شرح نقطة غامضة فان ذلك مما يشوه الترجمة ويغير اسلوب الشاعر بل خير للمترجم ان يشرح الغامض في حاشية على حدة اذ في الغالب يكون هذا النوع مقصوداً لانه جوامع كلم قليلة ذات معان وافرة وذلك كثير في شعر فكتور هوجو

ان القينا نظرة في الشعر الاوروبي وجدنا أغلبه بل عامته تقريباً يترجم نثراً مع تقارب اللغات اللاتينية . لان ضرورات الشعر ومراعاة

الوزن والتقيد بالقوافي توجب التصرف في الترجمة فتتشوه فما بالك بالشعر العربي وهو اكثر قيوداً من الشعر الافرنجي

ولقد وقع بعض كتابنا في هذا الخطأ فشوهوا جمال الشعر الافرنجي وعبثوا بروح الشعراء الذين يعربون نظمهم

## Alfred de Vigny

# الفريد دوفيني (١)

## La Colère de Samson

## غضب شمسون

صحراء خرساء وسرادق منفرد فأي راع شجاع نصبه في مفاوز الرمال والسباع ؟ — لم يسكن الليل بعد وما فيء الهواء ملتهباً من آثار حمارة القظ وقد هبت ريح خفيفة في الافق وجمدت ما انتشر من لجج العجاج كما تعبث بوجه بحيرة رائقة راكدة وطفقت تداعب نسيج الخيمة الابيض فخفق من ملاعبتها وتأرجح

(١) لقد نشرنا فى الجزء الاول قصيدتين لهذا الشاعر العبقرى وهما لا تكفيان لاظهار فضله وعاقنا تأخر وصول ديوانه من اوربا عن ترجمة قصائد أخرى من صفوة مؤلفاته ولذلك أرجانا نشر هاتين القصيدتين لفوات الوقت

وقد حصل خطأ فى ترجمة اسم رواية من رواياته لان اسمها فيه لبس لا يكشفه الا من قرأها . وقد طالعناها بعد طبع الجزء الاول فتجلت لنا الحقيقة واسم الرواية سان مار — ( Cinq Mars ) فيرى القارىء انها مكتوبة بالضبط مثل ٥ مارس ولكنها غير ذلك لأن هذا الاسم هو اسم بطل الرواية وتنطق سان مار وهى فذة فى نوعها وتصور عصر ريشليو تصويراً حقيقياً لا خيالياً والملك لويس الثالث عشر وماريون دولورم وأدباء العصر تصويراً دقيقا وتحليلا نفسيا نادر المثال ببلاغة لا تجارى وأسلوب لا يبارى

وكانت مشكاة من بيض النعام ساكنة ساهرة فوق مسافرين ككوكب دري وقد رمت ظلين طويلين منهما على نسيج الصيوان . احدهما كبير عظيم والآخر تحت قدميه ذليل حقير : وان هما الا دليلة ورفيقها الفتى القوي مغلول اليدين والركبتين بعد ما كان البأس والبطش طوع بنانه

جلست بجانب محبها كفهد جميل خفيف الحركة يروق منظره ويروع مخبره وقد أسبلت غدائرها المسترسلة على قدميه تنظره بعينين نجلاوين ناعستين توقدتا مما ارتسم فيهما من حب الشهوات التي يبتغيها طرفها المنبعث منه ضوء بهي متقطع كبرق خلب . وقد تصببت ذراعاها النقيتان الناعمتان عرقاً فاتراً وتربعت على رجلين شائقتين ، لها عطفان مرتفعان يزريان بأعطاف الغزلان . متحلية بأساور وخواتم وأقراط من ذهب . وقد زهت بلونها الاسمر كبنات (هطصور) ربة الجمال وتدلت على نهديها تمائم قديمة وضايقتهما حلل سندسية شآمية

ضمت ركبتا شمسون بوثاق متين فأمسى يمثل (انوبيس) وقد غفلت عنه من أسرته ولبثت ضاحكة تؤرجحها يدها المسندة الى رأسها وتخاف من بطشها الاسود . انشأ يتمتم اليها بأناشيد الموت والآلام بلهجته العبرية فلم تفقه لغته الاجنبية ولكن الغناء جلب الى رأسها نعاساً ورنق في عينها سنة وليست نائمة

« تنتشب حرب عوان في كل زمان ومكان على بساط الصحصحان

وفي حضرة الملك الرحمن بين طيبة الرجل وخداع المرأة وهي مخلوق مدنس الروح والجثمان

« مافتيء الرجل في حاجة الى الملاطفة والحب وقد ارضعته أمه افاويقهما مذ ظهر في عالم الوجود . فكانت ذراعها أول من أرجحته وخدرته من الملاطفة والمسح فأشرب في قلبه الميل الى الحب وفتور الهمة . فتراه ان نغص في عمله او كدر صفوه في مقاصده ونواياه حن الى الحضن الدافيء وأناشيد الليل وقبل السحر والشفة الملتهبة بنار الحب البنوي التي كانت تنقض عليها شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذي كان يلتوي على جبينه . فان مشى وتعب عاودته ذكرى المهد فتذهب نفسه حسرات . وكلما شب وبسل زاد خذلانه وقهره كالنهر ما كبر واتسع الا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه

« وحينما يكشر له القضاء عن انيابه الحداد ويشهر عليه هو وما أقلته وأظلته من العوالم حرباً يستعر لظاها ويشيب من هولها الولدان يضطر لان يبحث له عن حضن يستريح فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته ولكنه قبل ان يتخلص من مصابه وأوصابه وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخرى خفية ملئت غدراً وجبنا وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها الا المرأة وكل امرأة ( دليلة )

« تضحك ظافرة بسماجة متقنة وتجلس بين اترابها متباهية مفتخرة

بأنها لم تـكابد قط نيران الحب وتعترف لأعز خليلاتها بأن الناس يحبونها دون ان تعرف للحب معنى وانها ترتعد من الرجال

« انها لا تحب الا الملذات والرجل فظ قاس لا يهمه الا ان يأخذ من الشهوات قسطاً وافراً دون ان يعلم كيف يرده لغيره بدوره

« ان ضحية غالية يضرب بها الامثال لترفع شأن ربة الجمال الفتاك الفتان في عين اترابها اكثر مما يعمله النضار الوهاج فتعرف كيف تروى قدميها من دم ثمين مهدور

« اللهم انى لا أجد ما أتمناه — وأصبحت من هي قبلة الحب ومنبع الحياة تفتخر ان صارت لنا عدواً لدوداً وظلت المرأة الآن اسوأ منها في الزمن الغابر الذي فيه تبرأ البارىء من الناس . وسيرحلون في القريب العاجل الى دولة ممقوتة ويؤسسون هناك مدينة (عمورة) للنساء وبجانبها ( سدوم ) للرجال ويفصل كل من الجنسين بمعزل عن الآخر وينظران الى بعضهما شزراً من كثب الى أن يفني كل منهما في مواطنه

« أيها الدائم قهار الجبابره . انك تعلم ان نفسي لم يكن لها غذاء الاحب امرأة فاغترفت من حياض الهوى قوة وعزماً يفوقان ما منح شعري المقدس قلبي من السطوة والبأس — فاحكم بيننا وانت خير الحاكمين — هاهي نائمة على قدمي وقد باعت سري وحياتي ثلاث مرات سكبت في كل منها دمع المكر والخداع فلم يدار حنقاً وكلباً يتلألأن في عينيها وتغلب خجلها على دهشها لافتضاح أمرها وغفران ذنبها لان طيبة الرجل

عظيمة قوية ولطفها عند المغفرة يقهر هذا المخلوق الضعيف الكاذب

« قد كلت وزحت نفسي تحت أثقالها ومتاعبها وأصبح جسمي العظيم ورأسي القوي لا يقدران أن يحملاها هي وهمومها واتراحها

« ما برحت أنظر الافعى ذات اللون الذهبي زاحفة في حماها المسنون ظانة انها مجهولة متوارية . وهذا القرين الذي ما زال قلبه مفعما شكاً وريباً هي المرأة بل الطفل المريض بل الدنسة النجسة . تعمل جهدها في حفظ غضبها بقلبها المهان كمثل محراب اضطرمت فيه النار فالتهمت ما حوله . وقد حرم عليها ان تنظر او تبكي حتى أصبحت قاسية القلب جامدة العين

« رب ان هذا لا يطاق وان سبقت مشيئتك به فأمتني وأرحني من هذا العالم . بحت بسري الى دليلة فباعته وأذاعته . فبارك اللهم في قدم سعت اليّ لتنذرني بالموت — ولتتم ارادتك كما تشاء »

قال ذلك ثم نام بجانبها الى ان حانت الساعة التي ضربت لحضور الفرسان فذعروا حينما دخلوا ذراه واشتروا شعره بزنته ذهباً وغلوا يديه وفقأوا عينيه بحديد محمي وقادوه مخضباً بدمائه راسفاً في سلسلة ينوء عن حملها ستة ازواج من الثيران . ثم وقفوه صامتاً امام إلههم (داجون) الذي زأر بصوت مختنق ودار دورتين على قاعدته فاصفرت وجوه الكهان من الرعب والذهول فأطلقوا البخور وأدبوا مأدبة فاخرة سمع لغطها وجلبتها من أبعد جبل في المدينة وأجلسوا دليلة بجانب القربان

المذبوح تحت إلههم وهي بغي شاحبة اللون متوجة محبوبة مليكة الوليمة فقالت وهي ترتعد : لن يراني .

أيتها الارض والسماء. هل طرتما فرحاً حينما رأيتماها ته الخليلة الكاذبة تدبع فريستها ناظرة بطرف وحشي الى عينيه الغارقتين بدمائهما وهما تبحثان عن الشمس وهيهات لما تمنتاه ؟

ثم انتهى الامر بأن تمطى شمسون بين العمادين الحاملين لهذا الهيكل العظيم فهدمهما وانقض المعبد على أعدائه وعدتهم ثلاثة آلاف فأهلكهم هم وأربابهم ومحاريبهم

أيتها الارض والسماء . هلا جازيتما بمثل هذا القصاص العادل الغدر المدبر بحب كاذب كله تصنع ورياء وافشاء سر الموبنا الذي تزعته من بين أذرعنا قبل كاذبة خادعة !

## Les Desitnées

## الأقدار

ما ظهرت الخليقة في عالم الوجود الا وأناخت الاقدار بكلكلها الثقيل القوي على رؤوسنا وأعمالنا فطأطأ كل منا رأسه وخط أعمال يومه كما يشق الثور خطه العميق بجبينه دون ان يتعدى الحجر الذي يحد حقله

ربط القضاء نيراً ثقيلاً من الرصاص على جماجم الناس أرقائه فتاهوا في صحراء قفراء يتخبطون في ديجورها وينشدون نجماً يهتدون به فلا يجدونه

يبذلون جهدهم في رفع أرجلهم التي أثقلتها العقبات متبعين اشارة من أصبع الفولاذ في دائرة القضاء وهيهات ان تلين أصابع القدر الهائلة

سحقتنا أعوانه المحزنات بأعبائهن العظيمة وهن يحكين نساء ذات خمر بيضاء جامدات لا حراك لهن كالتماثيل وقد انتشرن على البسيطة كسرب من العقبان بوجوه كالحة ولهن نظام دائم وعدد مساو للخلق فتربصت كل منهن بفرد وقامت فوق رأسه بالمرصاد . أنشبن اظافرهن دون ان تردهن الرحمة والحنان في شعور أم وجلة حائرة وقدن النساء باكيات نائحات والرجال بائسين صاغرين

وفي ذات ليلة اهتزت الارض ونفضت غبارها فسمعت ضجة

عظيمة : « اذ أقبل المنجي وهو الشاب الصرعة وكان دامي الجبين مرضوض الجنب . فمات القدر تحت قدم النبي وصعد الصليب وامتد فوقنا ستراً حامياً »

كان الناس قبل هذه الساعة التي تم فيها ما تم مطرقين بجباه شاحبة مكفرة فهبوا عند ما سمعوا هذه الصيحة وفصموا العرى المتينة التي كانت تربط نير الحظ الرصاصي وصرخت جميع الامم صرخة واحدة : ربنا وخالقنا ! أحقيق ما سمعناه من موت القضاء ؟

رأى الناس بنات القضاء صاعدات الى السماء زرافات باسطات مخالبهن بتكاف بعد ما أفلتت منها رؤوس ملئت غماً ونكداً ساترات بطيالسهن الطويلة ارجلهن وأيديهن الفولاذية ووجوههن التي لا تلين ولا تشفق طائرات بتؤدة أسراباً أسراباً . لا يشعر الرائي بطيرهن بغير أجنحة كما ظهر في أعماق الافق المعراج الهادىء وسط السحب المتلبدة والعواصف القاصفة

تنفس الناس تنفس الارتياح والهناءة واضطربت الارض في مجراها الفسيح كجواد تخلص من لجامه ووقفت الكواكب مروعة صامتة تنتظر مع الناس حكم الحاكم القادر. وقد خيم عليهم الذهول والدهش

ولما عرجت بنات القضاء الى السماء وانشأن ينشدن وهن رافعات أيديهن المنحوسة نشيد الآلام ناكسات ابصاراً فوقها جباه شاحبة :

« نحن الاقدار المشؤومة من لم تخطىء سهام سطوتنا القديمة فرداً

من الناس قد أتينا نستعلم عن أحكام المستقبل . اننا اللاتى يطوين بين اصابعهن الايام والاعوام ونستمد عزمنا وبطشنا من القهار الجبار . فهل امتد أجلنا أم اقتربت ساعتنا التي نفارق فيها العالم ؟

انك تقطع بضربة واحدة ما نصب للحظ من الشراك التي وقعت فيها جميع الامم كل بدوره . فهل نزيد الابالة ضغثاً ونحطم الحول والقوى ؟

أنقود هذا القطيع الضعيف الكئيب الى أقصى مما وصل اليه ونورد الناس الذين حكم عليهم بالفناء الى طرف الطريق الذي حددناه ؟

« نحن اللاتي حفرن قليب الحياة وصبت فيه الآلام ذويها ثم جاءت الحوادث وسبكت فيه من سيحها كل شيء . ربنا قد محوت اسم القضاء الذي خطته سنتنا على الالواح الفولاذية وفككت الانسان عبدنا من قيوده . فمن سيحمل الاثقال والمتاعب التي روعت منها جميع الخلائق ورزحت تحتها العقول وقد كتب أسفلها : تبعة ؟

«عم السكوت وسكنت الارض واهية القوى كفلك فارقه ملاحوه وسط اللجج فلعبت به الانواء والاعاصير . وانبعث صوت من العلا الذي تتكون فيه عوالم لا نهاية لها في الفضاء الرحيب فملأ اعماق الارض قائلا : هلم الى أيتها المليكات فانا الرحمة والانسان سابح وجل غير مطمئن في امواج الايام المعدودة التي تمر وتكر

« تصدذن جبينه يا بنات القضاء فتشق ذراعه الماء مهما عظمت لججه ليبحث له عن موقف وغاية

« ما أسعده ان ظن انه سيد حر حينما يشتبك معكن في ميادين الوغى المستمرة اذ أحوطه وحدي وارعاه من علاي بعين عنايتي التي لا تنام فيتجدد عزمه وتستمر قوته الى النهاية . فضله مني وشرعته الدائمة : ان يعمل ما اريده ليصل الى ما اعلمه

ثم هبطت هذه الفئة الى الغبراء لتقبض على صولجان ملكها وتتحكم في هذه الامم الثائرة التي لم تستكمل رقيها وسعادتها فاحس الناس بمجيء هذا الجمع الكئيب وشعروا بوطأة اقدام هؤلاء النساء القاسيات القلوب كما يقع في لحودنا تابوت من الاسرب . ثم تنقض كل منهن على فرد وتمسكه بيدين خفيتين فيحتدم النضال بين نفوسنا القوية المنكودة وبين هذه الارواح التي لا ترق ولا تحن . فنتخلص من ايديهن القاسية الكاذبة وترفع المشيئة جباهنا التي اضاءها نور من السماء الى علاء عظيم . وحينئذ ينشبن اصابعهن المنحوسة الجافية في الصخور والاطواد على منظر منا ويقذفننا في المهاوي السحيقة الهائلة بضربة واحدة

يا لليأس تملكنا ! ربنا انك أطلت اغلالنا ولكن من القابض عليها ؟ هل هي في يمينك ربنا يامن وسعت كل شيء رحمة وعدلاً ؟

أيها الحكم المتكبر بخصاله العلية وصفاته الشريفة القدسية . ان كانت قلوبنا تنفتح لشذي الفضائل وتحترق من الحب وترقى الى درجة النبوغ فباعد بيننا وبين ظل القضاء ولا تجعله يعرقل عزماتنا بعقباته التي لا تتزعزع ولا يوهن قوانا بضربات لم تكن في الحسبان

أيها القضاء الرائع الذي هلع من هوله كل بطل مقدام ! هذه معميات لا حل لها وقد وقف أمامها الصالحون والابرار سكوتاً حيارى لا يفقهون لها معنى ! فيالسر خفي ونفس قوية خطيرة !

هذه كلمتنا الدائمة : هل هذا ما خطه القلم في لوح القضاء ؟ ويقول الشرق المستعبد هذا في كتاب الله ويجاوبه الغرب هذا في كتاب عيسى

Alphonse Karr

# الفونس كار

كاتب فرنسي عظيم ولكنه روسي الاصل وكان أبوه (فرانسوا كربنسكي) من شعراء بولونيا الذين تأجج في قلوبهم حب الوطن — ولا أدري لِمَ لم يسم ابنه باسم أبيه

ولد جان بانست الفونس كار بباريس سنة ١٨٠٨ وتوفي ببسان رافاييل سنة ١٨٩٠ ولقد دخل ميدان الادب بروايته (في ظلال الزيزفون) وكانت له بمثابة اجازة انتظام في سلك محرري جريدة الفيجارو

تتلخص الصفات المميزة للمترجم في قوة خياله ولذيذ نكاته وعظيم ابتكاره وابتداعه والانشاء الفكاهي الرقيق والتهكم المعتدل وكبرياء في العواطف الشريفة ، وكان قلمه طوع بنانه يكتب بكل سهولة ودون

ردد ، وقد كان فضلا عن براعته في الادب كاتباً صحفياً قديراً

وقد كتب روايات عدة منها (ساعة بعد الميعاد) سنة ١٨٣٣ و (فاديز) سنة ١٨٣٤ التي استنبط منها الكاتبان (جول ساندو) و (اميل اوجييه) الكوميديا المسماة (حجر اختبار الذهب) و (مساء الجمعة) سنة ١٨٣٥ و (الطريق القصيرة) سنة ١٨٣٦ ، وهذه الروايات من نوع (في ظلال الزيزفون) و (كلوتيلد) سنة ١٨٣٩ و (هورتنس) سنة ١٨٤٨

ولكن صفوة مؤلفاته الروائية هي الاولى أي (في ظلال الزيزفون) وهي رسائل شائقة تسيل رقة ولطفاً يمثل الكاتب فيها ميوله وعواطفه ومعيشته وحياته ويجدر بكل من يعرف الفرنسية ان يطالعها بدل المرة مرات وقد حوت رسائلها من المطالع الفلسفية والشعرية ما يشوق القارىء ويفتنه

وقد انشأ مجلة أسبوعية هجائية سنة ١٨٣٩ سماها (الزنابير) دامت اكثر من عشر سنين ودلت على نبوغه وذكائه

ثم رحل الى مدينة (نيس) بعد الانقلاب السياسي الفرنسي وانشأ هناك حديقة لتربية النباتات والازهار والاشجار بها كانت تضرب بها الأمثال اذ كان مولعاً بالنباتات وعارفاً بتربيتها

وكان محباً لصيد الاسماك وكتب فيه عدة مؤلفات

ولم يمنعه احترافه بتربية النباتات عن الادب اذ انشأ عدة مؤلفات بعد انقطاعه الى الزراعة منها: (سياحة حول بستاني) سنة ١٨٥٣ وهو من

ارق ما كتب و ( اصول فلاحة البساتين ) سنة ١٨٧٥ وغيرها في الهجاء والفكاهات

نبذه من رواية في ظلال الزيزفون

**Beethoven**

بيتهوفن

تكون ضفاف الحياة في بادىء امرها باسمة مخضرة نضرة، شذية النسيم، طيرها مغرد فوق ايكها، تنبىء شمسها المشرقة وراء اشجار الصفصاف بيوم بهي هنيء، بينا فلكك ماخر سائر الهوينا وانت محسن الظن بغدك فتحمد بطاه وينعم روحك وجسمانك برغد العيش الذي يرغب الناس ويشوقهم الى الحياة

وعلى كثب منك الذين سبقوك في النهر وهم ينادونك صائحين فلا تكاد اصواتهم تظهر من حفيف الاشجار وخرير الماء الذي يؤرجح خمائل الخيزران

حذار ان تصبو نفسك الى هذه الملذات التي تفتن منك الحواس فانها خيالات واشباح كاذبة لا تلبث ان تغيب عن العيون

ان الذين مروا ليس لهم في شواطئهم غير ضغث مصفر محترق من العشب واشجار قديمة جافة من التنوب وقليل من ماء لا يكاد يجرى وبرك

راكدة آسنة . يودون لو يضادون سير التيار وهيهات ان تستطيعه قوة انسان . يظنون أن ضفاف الحياة المونقة ولت عنهم او استحالت بعد بهائها ، كلاً ! بل تجاوزوها وسيمر عليها بدورهم من سيأتون بعدهم

الحياة مناطق : أمل ومتاع وحسرات ، ومهما عظمت قوتك فلا بد لك ان ترد ما ورده غيرك

تود أن تحدق بنبات وتستنشق ريا نوره فيصدك التيار الجارف قائلاً لك : تمم ترحالك واذهب لشأنك . المرور باق على حالته وأنت انت الذي فررت من جمال النبات وعرف الزهر ، وتغريد الطير ، سيقبل وراءك غيرك وان هي الا لحظة لا يكادون يتمتعون فيها مثلك ثم يمرون وقد ذهبت نفوسهم حسرات

ما أتم ( استيفن ) قوله الا وقام الى الموقد ليدفىء يديه وكان بالبهو جمع من الخلان فقال أحدهم :

. لا بدّ أن تكون خرجت هذا الصباح من دارك برجلك اليسرى أو قابلك غراب البين لاني لا أبصر الا وجوهاً كئيبة حزينة بجانب الموقد

كلا ! ثم لاح على وجهه تبسم خفيف لم يكد يظهر الا اختفى كسحب الصيف لا تثبت أمام ذكاء . ثم قال : انني خرجت راكباً فرساً ولم أصادف إلا فتاة فتانة مع محبها وهذا فأل حسن أجمل من رؤية القمري . ولكن الذي يحزنني نبأ سمعته البارحة مساء

فتحولت اليه انظار من حوله واشرأبت اعناقهم

هذا الخبر المشؤوم هو وفاة (بيتهوفن) وكانت في السادس والعشرين من شهر اذار . فاكفهرت الوجوه أسفاً واستمر (استيفن) في حديثه

لم يتمتع ( بيتهوفن ) مدى عمره الا بلحظة من السعادة كلمح البصر كانت عليه القاضية

عاش فقيراً معتزلاً الخلق لازدرائهم اياه فاحتدت اخلاقه وطباعه من هذا الظلم المبين . وقد ألف من القطع الموسيقية والالحان ما خلب العقول واسترق القلوب ومالم يستطع غيره من الموسيقيين ان يأتي بمثاله أو ينسج على منواله . كان يخاطب الناس بهذه اللغـة الجليلة الفخمة كما تخاطبهم الطبيعة بأنغام الهواء والماء وتغريد الطير وما من مصغٍ ولاسميع

ظلّ هذا النابغـة مجهول القدر ، خامل الذكر ، الى حد ان كان يشك في نبوغه وذكائه . ومن الغريب المدهش ان ( هيدن ) الموسيقي الشهير لم يجد تعبيراً يطريه به غير قوله : « كان ماهراً في التوقيع على الـكلافسان » وكمثل من مدحوا ( چيريكو ) المصور الطـائر الصيت بقولهم : « كان يسحق الاصباغ جيداً » والذين أثنوا على زعيم شعراء الالمان ( جوت ) بقولهم : « لم يخطىء قط في الاملاء وكان جميل الخط »

كان له صديق يسمى ( هوميل ) ولـكن الفقر المدقع والظلم المنكر أوغرا صدره وجعلاه حاد الطبع في بعض الاحيان فكان ذلك داعيـة لنفورهما وافتراقهما وقد كمل بؤسه ومصائبه بذهاب سمعه

ثم انتقل الى ( بادن ) وعاش فيها والبؤس حليفه ، والانفراد أليفه ،

لا يملك غير ما يكاد لا يقوم بحاجته وكان يهيم عقله في غابة على مقربة من المدينة فتسعده بنغمات مدهشات فكتب ما كتب من روائع الموسيقى وكانت تصعد روحه الى عنان السماء وتتحول الى انغام شجية تخاطب الملائكة بلهجة طلية لم يفهمها الناس

وبينما كان قليل الاشجان اذ أتاه كتاب اضطره الى الخروج الى العالم من سجن عزلتـه وكانت في انتظاره هموم جديدة لم تدر بخلده اذ أرسل اليه ابن أخيه من ( فينا ) وكان به معتنياً وله محباً لما ناله من بره وخيره ، يقول له انه مرتبك في أمر منغص ولا ينجيه منه الا حضور عمه . فرحل اليه وقطع جانباً من رحلته راكباً نعليه ليقتصد قليلاً من نفقات سفرته . ثم ألقى عصا الترحال ذات ليلة امام بيت صغير عتيق واستضاف أهله لانه أمسى واهي القوى ولم يستطع ان يتمم طريقه فأكرموا وفادته ، وبعد تناول العشاء جلس بجانب الموقد على كرسي رب البيت الذي قام وجلس امام ( الـكلافسان ) وأخذ كل من اولاده الثلاثة آلته الموسيقية وطفقوا يصلحونها ويوفقون بين اصواتها وكانت زوجته وابنته تشتغلان بأعمال البيت . ثم اشترك الوالد مع أولاده في توقيع قطعة شائقة مما جادت به قرائح الالمان الغريزية وفطروا له دون غيرهم . ويلوح ان ما ضربوه كان من الاهمية بمكان اذ تفرغت اليها نفوسهم وأجسامهم وتركت المرأتان عملهما وهرولتا الى سماع الموسيقى .

وارتسم على وجوه الجمع اضطراب يدل على ان بقلوبهم شيئاً كثيراً من متاعب الحياة

لم يستطع ( بيتهوفن ) ان يشاركهم في مسراتهم لانه ما كان يقدر ان يسمع نغمة واحدة لصممه بل امسى يراقب حركات الضرب ويقرأ عواطفهم المرتسمة على وجوههم المنبئة بتأثرهم الشديد . ففكر في افضلية هؤلاء الرجال على الموسيقيين الايطاليين واستحسن نظام آلاتهم

ولما انتهوا تصافحوا وانظارهم ناطقة بتبادل العواطف وارتياحهم السعيد الذي يشعرون به وارتمت البنت مبللة الخدين بدمعها بين ذراعي والدتها . ثم ارادوا استئناف سرورهم وعادوا الى الموسيقى وفي هذه المرة زاد اضطراب عواطفهم واغرورقت اعينهم اللامعة

فقال لهم ( بيتهوفن ) انني سيء الحظ حيث لم يتسنَّ لي ان اقاسمكم هناءتكم واني مولع مثلكم بالموسيقي وقد شاهدتم انني اصم ولا استطيع ان اسمع لحناً واحداً . فحبذا لو تفضلتم وسمحتم لي بقراءة هذه القطعة الموسيقية التي اشجت منكم الافئدة

ثم تناول كراسة الموسيقى ولم يكد يقع عليها ناظراه الا اكفهر وجهه ودارت عيناه في ام راسه ووقفت انفاسه ثم خانه الدمع وتسلسل من آماقه ووقعت الكراسة من يده

لان هذه القطعة التي وقعها اهل البيت كانت ( لا ليجريتو ) من انشاء (بيتهوفن) فدهش الحضور واخذ العجب منهم كل مأخذ واستولت

عليهم تنهدات تشنجية منعتهم من الكلام ثم قال ضيفهم : « انا بيتهوفن »

فكشفوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم احتراماً واجلالاً ، ومد لهم يده فجعلوا يلثمونها بشدة متيقنين انهم في حضرة رجل أعظم قدراً من الملوك فحدقوا به ليقرؤوا في وجهه سيما الذكاء والنبوغ ، ورأوا هالة من نور تحف جبينه ، ثم مد اليهم ذراعيه فعانقه الاب وزوجته وأولاده وابنته . ثم نهض الى ( الكلافسان ) وأشار الى الشبان الثلاثة فاستعدوا لمشاركته ووقع بنفسه قطعته هذه التي سارت بذكرها الركبان . فيالها من ساعة شهية هنيئة لم تسمع اذن مثلها في العالم الموسيقي ولما أتموا القطعة لبث ( بيتهوفن ) وحده امام ( الكلافسان ) وارتجل قطعاً من أغاني الهناءة وتمجيد الخالق كانت أعظم ما كتبه . ومر هزيع من الليل والكل مكب على استماعه . وكان هذا آخر أعماله ومنشآته

ثم أجبر رب البيت ضيفه على قبول سريره ولكنه وعكته الحمى ليلا وتاقت نفسه الى الهواء الرطب عله يطفىء لهيبه فخرج لا يلوى على أحد حافي القدمين الى الخلاء فرأى الطبيعة تنبعث منها موسيقى شجية والريح تهز افنان الدوح فتتلاطم وتهب آونة في ممر الدغل مزمجرة كاسرة ما تصادفه في مهبها

فمكث طويلاً ولما آب أحس بقشعريرة وتثلج جسمه . فبعثوا الى ( فينا ) يستدعون طبيباً فأنبأهم بأنه مصاب باستسقاء صدري وعالجه

يومين فلم ينجح فيه دواء وأخبرهم بأنه سيوافيه أجله المحتوم في القريب فكانت لا تمر عليه لحظة الا انتقل من سيء الى اسوأ

أخذه النزع والحشرجة ، وعاده صديقه القديم الوحيد عندماسمع بمرضه وحمل اليه جانباً من المال ليستعين به في سقمه ولكن لات حين اسعاد وعواد اذ اعتقل لسانه فنظر اليه بطرف يشف عن الاعتراف بالجميل والمروءة . فحنا عليه ( هوميل ) ووضع في أذنه بوقاً وكلمه بصوت عال معبراً عن توجعه وأسفه على مصابه لانه ما كان يستطيع أن يسمع الا بهذه الطريقة

ثم ظهرت على ( بيتهوفن ) علامات صحو الموت وانتعاشه ففتح عينيه وقال ( لهوميل ) :

« اما كنت الميا مسعداً بالمواهب الربانية والنفحات العلوية ؟ »

فكانت هذه الكلمات آخر ما نطق به ثم سكن انسانا عينيه وانفتح فمه وفاضت روحه ودفن في مقبرة ( دوبلينج )

Johann-Wolfgang de Gœthe

# چوهان ولفجانج دوجوت

صاحب التاج والصولجان . بين شعراء الجرمان . ولد بمدينة ( فرنكفور ) في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٤٩ . وكان أصله من جهة أبيه حقيراً اذ كان جده قيناً وتزوج أرملة صاحب فندق صغير

وقد نال أبوه لقب دكتور في القوانين ثم عين مستشاراً امبراطورياً وكان متعلماً ميالاً للفنون والآداب وقد أحرز مكتبة عظيمة ومجموعات من الصور ( الجرافور ) وأخرى للتاريخ الطبيعي وكان يفتخر بها ورتبها في غرفة خاصة

وقد نبتت أمه ( كاترين اليزابيت تكستور ) من أصل حسيب وبنى عليها والد المترجم وهي في السابعة عشرة وكان هو في الاربعين . وكانت تلك الام فرحة طيبة نبيهة

تلقى جوت دروسه الاولى على أبيه المستشار فعلمه اللغة الالمانية واللاتينية والطليانية والفرنسية وكان يجيدها ثم تلقى عليه مبادىء القوانين قبل سفره الى ليبزج

ومن الحوادث التي كان لها تأثير عظيم في عقل جوت احتلال الفرنسيين لفرنكفور عام ١٧٥٩ . اذ أقام قائد الفرقة ( الكونت دوطوران ) في بيت المستشار وكان مصوراً بارعاً والتف حوله جمع من

مشاهير الفنيين وكان جوت في ذاك الوقت غلاماً فبهره الفن وصار يمضي ساعات وهو ناظر اليهم وهم يصورون .

ثم أقبل جوق من ممثلي الكوميديا الفرنسيين فلم يفت هذا الغلام شيء من تمثيلهم ومن هذا الوسط تولد عنده الولع بالفنون والآداب .

كان جوت ذا قلب رقيق وعواطف شديدة يتأثر من أقل شيء اذ ابتدأ غرامه وهو غلام في الحادية عشرة وأحب فتاة تدعى جريتشن ولكنها قالت له يوماً وقد كاشفها هواه ما أنت الا طفل فبكى من الحرد وهجرها

سافر الى ليبزج عام سنة ١٧٦٥ وهناك هام بينت مضيفه وهي ( كاترين شونكوبف ) وأخلص في حبها ولكن ما لبث ان ساورته الشكوك والغيرة بدون حق فتجنبها ولقد كتب لاجلها أول رواياته التمثيلية المسماه ( أهواء عاشق )

وقد اعترف انه منذ هذا العهد أخذ ينظم كل ما يؤثر في نفسه من الآلام والملذات والمسرات . وفي ٢ ابريل سنة ١٧٧٠ سافر الى ستراسبورج لاتمام دراسته ومكث فيها عاماً واحداً ولكنه معدود في حياته اذ تعرف هناك بالكاتب الشهير ( هردر ) وقد جاء في الوقت المناسب اذ كان عقله يسترشد عن منهج يسير فيه فقوم منه كل معوج في الانشاء وهذبه تهذيباً صحيحاً بعد حملات شديدة من النقد والنصائح المفيدة

ومن أهم الحوادث التي كانت سبباً في انشاء روايته ( الام فرتر )

تعارفه حينما رجع الى مدينـة (فرنكفور) بالسكرتير كستنر واتخاذه صديقاً وقد خطب وقتئذ ابنة أحد كبار الضباط المسماه (شارلوت بوف) وقد رأى هذه الفتاة جوت حينما قدم لابيها ففتنته وهام بها

وبينما جوت يحرر روايته (آلام فرتر) في ذاك الحين اذ حدث حادث أليم فغـير قليلا في نظام روايتـه وهو انتحار شاب عرفه في (فيزلار) يسمى (جيروزاليم) وكان متيماً بحب زوجة سكرتير احدي السفارات وكان رئيسه

وحينما يئس هذا المنكود من حبه استعار سلاحاً من كستنر السابق الذكر وانتحر وتخلص من آلامه . ولم يتردد جوت من أن يقرب بين حالته ازاء شارلوت وكستنر

أعجب (الغراندوق دوساكس شارل اجوست) بجوت ونبوغه فدعاه الى ويمار ليقطن بهـا وهناك أدرك السـعاده العظمى من صداقة الامير والشرف الجم والتربع في دست رآسـة الوزارة ومجـد ذاع في الخافقين . وقد بلغ من حب الامير له ان أصبح يخاطبه دون تعظيم وبغير كلفة وأهداه قصراً في ويمار وهو اليوم متحف جوت

ولقد تعارف جوت في ويمار بمدام دوستين زوجة رئيس الركائب الاميرية وكانت في الثانية والثلاثين من عمرها وهو في السابعة والعشرين وكان لها سبعة أولاد مات منهم خمس وبقي اثنان وقد قال عنها (شيلر) الشاعر العظيم انها سيدة ذات شأن وسيتقرب منها جوت ايما تقرب .

ما هي بالجميلة ولكن في وجهها تمتزج الشدة مع اللطف ونوع من الصراحة جذاب. اثرت هذه السيدة في جوت تأثيراً هادئاً وكان يسميها « المسكنة الملطفة » وكان يعظمها ويمجدها في رسائله ولقد سكنت اضطرابه ونقته وشرفت عواطفه وبثت فيه الحكمة وشفته من اهوائه الحمقاء

وفي سنة ١٧٨٦ ساح في أرجاء ايطاليا وزار مدنها ذات المتاحف الفنية ثم عرج على روما . مضى الشتاء في روما بين الفنيين ودرس الآثار والمتاحف . وفي عام ١٧٨٧ انتقل الى نابولى وجاب أصقاع جزيرة صقلية وبيده الياذة هوميروس ثم رجع الى روما ومكث بها سنة أخرى

وقد كتب وهو في رحلته هذه ( ايفجيني في طوريد ) و( ايجمون ) و ( توركواتو تاسو ) وهذه الاخيرة طبعت سنة ١٧٩٠

وبعد عودته الى ويمار بزمن قليل قابل فتاة تدعى كريستيان فولبيوس ) واتخذها خليلة له وآواها في قصره ورزق منها بغلام سماه ( اوجست ) تشرفاً بالغرندوق ثم بني على خليلته بعد سبعة عشر عاماً أي سنة ١٨٠٦

ومن النقط المهمة في تاريخ الآداب الالمانية مصالحة جوت مع شيلر وكان الاخير مختصماً معه لاسباب تافهة وتم ذلك سنة ١٧٩٥ وقد تجددت بهذه المصالحة بينهما صداقة قوية العرى واخلاص عظيم وحب أخوي متين ولم يفصلهما عن بعضهما الا وفاة شيلر سنة ١٨٠٥

ولقد أثر كل منهما في الآخر تأثيراً سعيداً اذ ساعد جوت شيلر في تنقيح ( والنستين ) وأعطاه موضوع ( جييوم تل ) ونقح شيلر الثلاثة الاقسام الاخيرة من ( فيلهلم مستر ) و ( هرمان ودوروتيه )

وكما أنهما نهضا بالآداب الالمانية وقوما منها كل معوج فانهما تضامنا أيضاً في ترقية التمثيل الالماني فأدار جوت مسرح ويمار وجعلهم يمثلون فيه رواياته وروايات صديقه لتكون بمثابة المثل الاعلى للانشاء التمثيلي

وقد ترجم شيلر عن ( راسين ) رواية ( فيدر ) كما ترجم ( جوت ) عن ( فولتير ) محمد وتنكريد

توالت على جوت النكبات في المدة الواقعة بين سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٢٨ اذا ماتت زوجته فأثرت فيه تأثيراً سيئاً ثم توفيت مدام دوستين سنة ١٨٢٨ وفي السنة التالية أعقبها موت الغراندوق وليّ نعمته وصديقه الحميم

وفي عام ١٨٢٩ رحل اليه النحات الفرنسي الشهير ( دافيد دانجيه ) ليعمل له تمثالاً نصفياً ثم أتم النصف الاخير من رواية فوست في السنين القلائل الباقية من عمره وفرغ منها في مارس سنة ١٨٣٢

وبعد بضعة أيام أحس في ١٦ مارس بوهن قواه وأسلم الروح في ٢٢ مارس وقت الظهيرة وكان ناظراه متجهين صوب الكوة وهو يتمتم هذه الكلمة الفخمة الهائلة « لقد فارقني النور »

واذا تصفحنا أعمال جوت وجدناه صورة مجسمة للرقي المستمر المنسجم فكان في الوقت نفسه شاعراً ورئيس وزارة وعالماً . ولقد أحرز كل المعلومات البشرية والفوائد والمنافع الانسانية حتى أصبح بلا ريب ولا جدال من كبار النوابغ الذي تم نبوغهم وممن يعدون على أصابع اليد الواحدة

## مؤلفاته

الروايات القصصية

اربعة . اشهرها ( آلام فرتر ) و ( مران فلهلم مستر )

الروايات التمثيلية

تسعة . اهمها ( فوست ) و ( تركوانو تاسو ) و ايجمون )

الاوبيرات

عشرة . اشهرها ( كاودين دوفيلا بيللا )

الكوميديات

سبعة . اشهرها ( اهواء عاشق )

المنظومات

شيء كثير منها ( هرمان ودوروتيه ) و ( الاخيلية ) ولم يتمها و ( المراثي ) و ( الديوان الشرقي ) و ( المراثي الرومانية ) خلاف القصائد وهي عديدة جدا

المذكرات

الشعر والحقيقة — سياحة في ايطاليا — حرب فرنسا عام ١٧٩٢ — سياحة في سويسرا — والرسائل والمحادثات

الكتب العلمية

نظرية الالوان — تحول النباتات — اعتبارات في العلوم الطبيعية — بحث في الضوء — وغيرها

علم الجمال

ونكلمان وعصره — في الفن والآداب في مقاطعتي الرين والمين

التراجم

محمد لفولتير — تنكريد له ايضاً — مذكرات بنفينوتوشلليني — وتجارب في التصوير لديدرو وابن اخي راموا له ايضاً

## La Fiancée de Corinthe

## خطب كورنت

قدم (كورنت) فتى من (أثينا) وهو لا يعرف احداً فيها وقد اعتمد على لقاء شخص من اهل المدينة. وكانت تربط ابويهما عهود الضيافة فتعاهدا على تزويج الفتى بالفتاة من صغرهما

ليت شعري هل يقابل بالايناس والبشر ان لم يحظ برضا مضيفيه ؟

انه ما فتىء وثنيا هو وعشيرته وقد تنصر من استضافهم من قبل والعقيدة بتغيرها تزعزع الحب والامانة وتنزعهما من الفؤاد كما ينزع الزوان الخبيث من حقل البر

خيم السكون في ارجاء الدار ونام الاب وبناته ولم يبق من ساهر غير الام فقابلت فتانا بالترحاب ثم اصطحبته الى غرفة الاستقبال وقد سبقه هناك الشراب السائغ والطعام الشهي وهيأت له كل ما يحتاج اليه ثم ودعته وتمنت له ليلاً هنيئاً ونوماً مطمئناً

لم يجد ضيفنا عنده قابلية امام هذه المائدة الشهية وأنساه النصب والعناء ان يأكل أو يشرب وارتمى على سريره دون أن يخلع ملابسه وأراد أن يتهيأ للمنام ولكنه لم يلبث ان رأى الباب قد فتح ودخل زائر غريب

نظر في ضوء المصباح فتاة مرتدية ومختمرة بثياب بيضاء تمشي في الغرفة وهي صامتة وبصدغيها عصابة سوداء موشاة بالذهب . وما وقع نظرها عليه حتى ارتعدت وأومأت بيدها البيضاء ايماء الدهش ثم صاحت قائلة :

« كيف لم ينبئني أحد بقدوم ضيف كهذا كأنني غريبة عن هذه الدار ؟ أواه ! انهم يحجزونني في غياهب سجني ! قد اعتورني الخجل فاذهب واسترح في مرقدك واني أرجع أدراجي

— لا تبرحي مكانك أيتها الكاعب الحسناء ! وما كاد يتم الفتى

قوله حتي قفز من سريره وقال : انظري الى منح ( سيريس وباكوس ) اذ أقبل معك الحب أيتها الفتاة العزيزة وقد شحب لونك من الرعب ! هلمي اليّ فلعلنا نسعد برضا الآلهة

— بعداً عني أيها الفتى : فاني لا أخص مسرات الدنيا . وهذا ما سبق به القضاء فوا أسفاه ! والسبب في ذلك راجع لبحران والدتي الصالحة المريضة التي آلت حينما نقهت بأن تربط في السماء الشباب والفتوة مع الروح والمادة

ومن هذا الوقت هجرت زمر الآلهة القدماء الدار الهادئة الساكنة وأصبح الآن يهيمن في السماء فرد لا يري ويعبد الناس في الدنيا منجياً فوق صليبه

لا تضحي هنا الشاة ولا الثور بل شيء آخر حارت البرية فيه وهو الضحايا الآدمية . . . »

ثم وجه اليها السؤال موجزاً الكلم ولم يفته شيء

— أمن الممكن في هذا المغنى الذي تسود فيه الدعة والسكون ان أشاهد خطبي العزيزة المحبوبة . كوني لي فقد انزل علينا قسم أبوينا بركة من السماء

— لست أنا التي ستنالها أيها الكريم الطيب بل أختي الصغيرة التي أعدت لك ؛ وحينما أئن وأتوجع في مضجعي الرطب البارد وأنت

تنعم بين أحضانها فاذكرني وفكر في من لا تفكر الا فيك وقد أحرقني الهوى وسأغيب بعد قليل في بطون الثرى

كلا ثم كلا ! فاني استشهد بلهب الهوى اذ ينبيء ضوؤه بقران سعيد فانك لم تفقديني أنا ولا الدنيا وستتبعينني الى دار أبي . ففي أيتها المحبوبة لنشهر سوياً ليلة زفافنا على بغتة »

تبادل المحبان عهود الوفاء والامانة وقدمت له سلسلة ذهبية وأراد أن يهديها كأساً فضية رشيقة الشكل دقيقة الصنع

— ليست لي هذه الكاس البديعة واني ارجو منك أن تمنحني خصلة من شعرك

دقت في هذه الآونة ساعة الارواح المحزنة فوجدت الفتاة نفسها احسن من قبل فشربت بشفتيها الشاحبتين من هذا النبيذ الاحمر القانئ ولكنها لم ترد ان تأخذ شيئاً من الخبز الذي قدمه اليها

ثم ناولت الفتى كاساً فشربها بشره ولم يدع فيها شيئاً ودعا إله الحب الى هذه المأدبة الخفية . أسفاه فقد احرقت حمى الحب قلب هذا المسكين وهي تقاوم هواه رغماً عن توسلاته الى ان وقع باكياً فوق سريره

أقبلت الفتاة وارتمت بجانبه قائلة : ان متاعبك وآلامك تزيدني عذاباً . واحسرتاه فانك ان لمست اعضائي شعرت بما كنت أخفيه عنك انني بيضاء كالجليد باردة كالثلج وهذه العزيزة التي انتخبتها »

ضمها بعنف بذراعين مفتولتين تطاوعان عنفوان الحب :— « كوني على يقين من ان تدفئي بجانبي ولو كنت آتية من بطون اللحود »

تنهدات متصاعدات وقبلات متبادلات ونشوة بسلسبيل الحب

— هلا تحترقين حينما تشعرين باحتراقي !

ضمهما الحب وربطهما بعقد ضيقة واختلط دمعهما وهما ثملان بنشوته فكانت تستنشق بنهم انفاسه المتأججه وكان احدهما وحده يشعر بالحياة وهو مختلط بالآخر . اشعل المحب بنار هواه دم حبيبته المتجمد ولكنه لم يشعر بدقات قلبها وهو فوق صدره

كانت الام مدبرة نشيطة تسهر هزيعاً من الليل الى ان تتم اعمالها وبينا هي مارة امام باب الغرفة اذ وقفها اللغط فانصتت طويلاً فاذا هي تسمع تأوهات الشكوى واللذات والشهوات . لبثت جامدة باهتة بالباب وأرادت أن تقتنع أولاً ولكنها ما كانت تسمع الا ايماناً مغلظة ولهجة حب وحنان

صه فقه استيقظ الديك

— ولكنك تعودين في الليلة الآتية ؟

— ثم تتابعت القبلات فوق القبلات !

لم تستطع الام ان تكظم حنقها فدفعت مزلاج الباب بشدة فانفتح

— « أتوجد في دارنا بغايا تنيل الغريب مآربه ؟— وما أتمت هذه

الـكلمات حتى اندفعت داخل الغرفة ووقفت في ضوء المصباح فبهتت حينما رأت ابنتها

فزع الفتى من هذه المفاجأة وتملكه الرعب واول حركة بدت منه ان أراد ان يجلل الفتاة بخمارها وما حوله من الاغطية ولـكنها تخلصت منه وتشكل الجسم بما للروح من القوة الغريبة شيئاً فشيئاً على المرقد ونهضت قائلة بصوت كأنه خارج من أعماق الرموس

« اتحسدينني اماه على هذه الليلة الهنيئة ! اتطردينني من هذا المضجع الدافىء ! اما استيقظت الا لليأس وخيبة الرجاء ؟ هلا كفاك أن تعجلي على بادراجي في هذه الاكفان وموارتي في تلك اللحود ؟

« تدفعني قوة لا تغالب خارج مقامي الضيق المغطي بطبقات كثيفة . صلوات قسيسيك وبركاتهم لا تجدي ولا تنفع والملح والماء لا يستطيعان ان يضعا الثلج موضع حرارة الصبا والارض لاتخمد جذوة الحب ولا تطفئها

وعدت بهذا الفتى في زمن كان لا يزال فيه معبد ( الزهرة ) قائماً معموراً فانـكرت قولك لان نذراً غريباً وهمياً قيـدك باغلاله ولا يستجيب اي رب من الارباب لام ترفض زواج ابنتها

« اطلق اللحـد سراحي فجئت استرد ما سلب مني ولأداوم على حب خطيب فقدته وامتص دم فؤاده . وحينما يتسنى ذلك لي اذهب الى غيره والشبان لا يثبتون امام حنقي

« ايها الفتى الجميل ! لن تتمكن من طول الحياة وستقضي من الان في هذا المكان . وقد اعطيتك سلسلتي واخذت مني خصلة من شعرك فاحتفظ جيداً بما اخذته وسيشتعل غداً رأسك شيباً ولا يعود اليه سواده الا هناك

« سماع اماه رجائي الاخير · أوقدي ناراً عظيمة وافتحي سجني الضيق وردى الى المحبة راحتها باللهيب وحينما تستعر النيران وتتأجج وتحترق الرفات وتطير ذرات رمادنا نصعد سويا الى الارباب الاولين

## Le Paria

## الخليعة الهندية (١)

اعتادت زوجة جميلة صالحة لبرهمي تقي مبجل اشتهر بشدة تمسكه بالعدل ان تذهب كل يوم في طلب الماء . وما من مرة الا تسأل النهر المقدس الشراب الثمين . ولكن اين لها الاناء أو السجل ؟ ما كانت في

(١) فى الهند طبقة تسمى ( تيمول بارايان ) يعتبرها البراهمة أحط الناس كفارا و يتجنبونهم تجنب المجزوم خلعوهم من حقوقهم الدينية والمدنية وبلغ من احتقارهم لهم ان البرهمي لا يطأ موطأ دنسه خليع باقدامه

وقد اخترت لهم اسما عربياً وعبرت عنهم بالخليع . وتطلق العرب هذه الكلمة على الغلام الذى تخلعه قبيلته وتبرأ منه فلا تسأل عنه ولا يؤاخذون من يجنى عليه ومنه قول امرىء القيس فى معلقته

واود كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل

والخليعة فى هذه القطعة هي القتيلة التى وضع الفتى رأس أمه على جثتها

حاجة اليها اذ كانت اللجة المضطربة تنجمد وتتبلور وتصير كرة شائقة لقلب طاهر ويدين نقيتين لم تدنسهما الآثام فتحمل الماء وتذهب به الى زوجها متهللة وضاحة الجبين مسرعة الخطى

ذهبت يوماً مبكرة وطفقت تصلي على شاطيء ( الكنج ) ثم سرحت طرفها فوق سطح الماء الساكن الرائق فرأت بغتة انه انعكس عليه من كبد السماء وجه مشرق فتان وهب جمالا ربانياً

اضطربت لمرآه وتأثرت تأثراً سرى الى اعماق فؤادها فأرادت ان تعرض عنه وتتجنبه فعاد الخيال الى الظهور فاسرعت الى النهر وهي مضطربة لتغترف الماء بيد مرتعشة نخاب املها وأصبحت اللجة المقدسة كانها تهرب منها وتبتعد ولم ترتحت قدميها الا أعماقاً سحيقة وتياراً عنيفا دوارا

ارتخت ذراعاها وتعثرت قدماها . فهل تعود الى ذراها ؟ وماذا تصنع ؟ اتركن الى الفرار ؟ وهل تستطيع ان تتروى في أمرها أذا ابى فكرها ان يكون لها نصيرا ؟

مثلت أمام زوجها على تلك الحال فنظر اليها نظرة كانت حكما وقضاء . استشاط الرجل حنقا فاخذ سيفه وقادها الى أكمة الاموات التي يكفهر فيها دم المجرمين عن سيآتهم . ليت شعري كيف تقاوم ؟ أم كيف تبرىء نفسها من ذنب تجهله ؟

عاد الرجل الى مغناه الهادىء مهموماً وسيفه يقطر دماً فقابل

هناك ابنه

— ما هذا الدم ابتاه ؟

— انه لدم مجرمة !

— كلا فانه لم ينجمد على فرند الحسام كدم الاثيم وما فتيء يقطر كالجرح السائل أماه أماه ! هلمي الى لتنبئيني عما فعل ابي وما عهدت الظلم فيه أبدا

— صه صه فما هذا الا دمها !

— دم من ؟

— اطبق فاك !

— أ يكون هذا دم والدتي ! ! ! ماذا جرى ! وأي اثم اقترفته ؟ السيف لي وها هو في يميني ! انك تستطيع ان تقتل عقيلتك لا أمي ! والقرينة تتبع بعلها المحبوب في النار والولد يفنى بنفس السيف الذي قتلت به والدته »

قف ! قف ! فلم يفتك الوقت بعد أسرع على عجل وضع رأسها على كتفيها ثم مسه بالسيف تحي وتتبعك

انطلق كالسهم وهو مضطرب ثائر فوجد شلوين مشوهين لمرأتين وأحدهما موضوع فوق الاخر ويجانبهما رأساهما — حار في أمره ولم يدر ماذا يعمل ؟ فأخذ رأس أمه دون أن يقبله ووضعه على الجثة القريبة ثم مسحه بالسيف واتم عمله الصالح . فنهض خيال هائل عظيم القامة وتحركت

شفتا امه العزيزة وما فتئتا موصومتين بتلك الرقة المتناهية وفاهتا بهذه الـكلمات المرعبة : بني ! أي خطأ ارتكبت ! اذ جثة أمك ما زالت ممددة هناك وبجانبها رأس الـكافرة الاثيمة الذي قطعها عدل ساهر بالمرصاد ! لقد انشبت رأسي على جسمها أبد الابدين وسأكون بين الالهة عاقلة كيسة في رغائبي وقحة مستهترة في أعمالي

ظهرت أمام عيني صورة الفتى ذي الجمال الرباني والحسن النوراني فلئن اصابت مهجتي فقد ايقظت فيها حرارة خرقاء لاتفارقها تصعد وتهبط وتتعكر وتصفو وهذه مشيئة (برهما)

وقد أوحى الى اجنحته البراقة ووجهه المشرق واطرافه الشائقة وخياله الرباني بان تبلوني وتفتنني والفتنة تأتى من السماء حينما يقضي بها الالهة . واني وان كنت برهمية تنـاطح رأسي السماء فاني اشعر دائماً بقوة تجذبني الى الارض كالخليع

« اذهب بنى الى ابيك وخفف من أحزانه وسر عنه همومه . ولا يتملـكنك في وحدتك ندم محزن أو ضيـق لا يجدي أو تسول لك نفس أمارة بالسـوء أن تجترىء على عمل تعجب به ويغضب غيرك

جب الافاق واضرب في الارض وسر خلال كل مكان وزمان حتى يتعلم منك اصغر الناس ان (برهما) يراه ويسمعه في علاه ، انه لا يحتقر أحدا أو يعتبره آخر الناس ولو كان مفلوجا مضطرب الفـكر معدماً لا نصير له خائب الرجاء سواء كان برهمياً أو خليعاً فانه اذا وجه وجهه

شطر السماء شعر وعلم ان هناك تلمع في الملا الوف مؤلفة من عيون ساهرة وآذان صاغية لا تخفى عليها خالية

ان أسعد ني الحظ وعرجت الى عرشه ونظر الى انا البائسة التي مسخها الى اقبح شكل بعين عنايته ورثى لطالعي المنكود نفمتك رحمته وحنانه

وسأخبره بلطف واكاشفه بحمية عما يخالج فكري ويختمر في فؤادي وليكن ما يجول بخاطري واشعر به محتجباً طي الخفاء مستوراً في عالم الاسرار

Trilogie de la Passion

# ماأساة الالام

قصيدة يخاطب بها فيرتر

انجرأ مرة أخرى أيها الخيال الذي طالما بكاه الناس ان تجازف في رابعة النهار بملاقاتي في مروج نضرة مزهرة دون ان تخشى مني النظرات هذا كأننا عائشان في حقل واحد ينعشنا السحر بنداء البلبل . وفي المساء بعد العناء الذي نتجشمه طول النهار نفتتن بأشعة الشمس الاخيرة حينما تودعنا عند الغروب

قضى الحظ على بالبقاء وعليك بالرحيل فكنت السابق — ولم تفقد شيئاً عظيما

مثل الحياة كحظ سعيد . وما أحيلى النهار وما اطول الليل ! اننا احللنا وسط ملذات الجنان ولكننا لا نكاد نتمتع بنور الشمس الشائق حتى نبدأ بعراك غامض مبهم تارة مع أنفسنا وطورا مع من يجاورنا . لا يكمل احد بجاره والظلام يقبل من الخارج حينما يضيء النور من الداخل ويحجب عني الضوء الظاهري نظر مضطرب ضربت عليه غشاوة كثيفة السعادة هناك — ولكن الناس يجهلونها . وسنعرفها قريباً !

يفتننا ويتسلط علينا شكل المرأة ويكون الفتى متهللا وهذه سنة الشباب فيرتع في الربيع ربيع صباه وفتوته وهو ذاهل دهش . من أين اته هذه النشوة ؟ ينظر حوله فيرى الدنيا طوع بنانه فينطلق في آفاقها ولا تعوقه الاسوار ولا القصور . يدور حول خليلته كسرب من الطير حلق فوق قمم الاشجار . يقلب طرفه في كبد الاثير باحثاً عن نظرة أمينة وفية ولا يكاد يعثر عليها حتى تغله بسلاسل من حديد

جاءه النذير قبل الاوان ثم عاد اليه بعد فوات الوقت فشعر ان قواه تفارقه وكانه ملفوف بشباك قوية لا يملك فيها حراكا

العود الى الرؤية احلى واحمد والفراق امر واصعب وعودة جديدة تفعم القلب فرحاً وسرورا ، تنصرم السنون دون ان يشعر بها ثم يظهر كرها في وقت ما وفي الختام ينتظرك الوداع العظيم الهائل بخبث وختل

تبسم ايها الصديق وانت رقيق العواطف — ثم تصادفك حطمة هائلة فتعلى شأنك فنشهر طالعك المنكود ثم تفارقنا ونحن متقلبون في

الخير والشر . تجاذبنا الالام العديده من جديد ويعاودنا البؤس والشقاء الى يوم الفراق وما الفراق الا الموت !

ما أسرع انطلاق لسان الشاعر وما أشد تأثيره عندما ينشد ليتجنب هذا الموت الذي يحضره الفراق !

يجد نفسه مغلولا بمثل هذه المتاعب فأن أخذ بذنب فله العذر ولا اثم عليه وعسى ان يأذن له رب بأن يعبر عما يؤلمه ويئن منه ويتوجع

Schiller

# شيلر

هو چان كريستوف فريدريك شيلر ثاني شعراء الالمان، ولد بمارباخ سنة ١٧٥٩ وتوفى بويمار سنة ١٨٠٥ وكان ابوه جراحاً في الجيش ثم مديراً لحدائق الدوق بلود ويجسبورج . وكانت امه ابنة كبير قضاة مار باخ . وقد اشار الدوق شارل اوجين دو وورتنبرج على ابويه بادخاله في مدرسة كارلسكول التي اسسها في ذاك الوقت وهناك مكث من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٧٨٠ وتعلم القانون والطب وكان يقرأ سرا علوم الادب .

وقد وهب منذ صغره خيالا هائجاً متأججاً قبل ان يختلط بالعالم وقد زاد خياله اشتعالا قراءة مؤلفات ( جان جاك روسو ) والشعراء المنتسبين لمذهب ( ستورم اوند درانج ) اي ( الاعصار والغضب ) حتى

اصبح شاعرنا عدوا للمجتمع الانساني والمدنية في الحال والماضي .

وهذا الاستعداد للتشاؤم وبغض المجتمع والمذهب الخيالي المتطرف الذي يشوبه شيء من السذاجة وظاهر في جميع نظمه ورواياته التمثيلية التي انشأها في صباه اي من ( ١٧٨٠ الى ١٧٨٧ ) سواء تغنى بالحب العذري في مقطوعات متاججة او صور في ( قطاع الطرق ) صورة حقيقية لقاطع الطريق الفاضل او انتقد الاستبداد الحاضر في ( الدسائس والحب ) أو ( دون كارلوس ) وهي مثال الجمهورية الفاضلة الخيرة

سنرى الان افكار شاعرنا متجهة نحو صوب لم يكن منتظراً ، لانه بعد ما عاش عيشة ضالة بائسة متنقلا بين ( فرنكفور وباورباخ ومانهيم ) ، رجع في سنه ١٧٨٧ الى ( ويمار ) وعين مدرساً للتاريخ بمدينة ( يينا ) ثم بنى على ( شارلوت دو لنجفلد ) ثم تجلت له السعادة وصالحته مع الحقيقة وقد درس له في هذا العهد ( رينوالد وكورنر ) مؤلفات ( كنت ) واصبح صديقاً ومعجبا بجوت

غيرت الحوادث ادراك شاعرنا فاصبح ينظر الى الماضي والمستقبل والعالم بنظر جديد واختمرت في دماغه افكار حديثة جعلته ينفر من الانشاء الخيالي ويعمد الى التاملات الفلسفية وفي هذا العهد نشر مؤلفاته التاريخية والفلسفية مثل ( ثورة هولندا ) سنة ١٧٨٨ و ( تاريخ حرب الثلاثين سنة ) سنة ١٧٩١ و ( الفن التراجيدي ) سنة ١٧٩٢ و ( الشعر

الصحيح الوجدانى ) سنة ١٧٩٥ — ١٧٩٨ و ( رسائل في تهذيب الانسان بفن الجمال ) سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٧

لم يك في هذا العهد عدو المدينة اللدود لان الانسان يخرج من حالته النفسية الفطرية[١] ليكتسب بجده الكرامة الادبية، وقد وجدت الانسانية في اواخر تطوره حالة سعادة تماثل الحالة النفسية الفطرية بل اكمل ؛ اذ في هذا الوقت تصبح شرعة الاخلاق الهاما لا يخطىء ومماثلا للالهام الطبعي عند الحيوان . وان مهمة الفن هي التعجيل بهذا التطور باحداثه للانسان انسجاما نفسياً ينشأ من مشاهدة الجمال ويعلو على الحقيقة الحوشية

وبعد ان اعطى شيلر لمذاهبه التعبير النظري حققها في ثوب شعري كما ظهر في مؤلفه ( الكزبني ) وفيها يحارب هو وجوت خصومه في الادب وفي ( غناء الاجراس ) سنة ١٧٩٩ لاسيما صفوة مؤلفاته الاخيرة مثل (والنستين ) سنة ١٧٧٨ — ١٨٠٠ و ( مارى ستويار ) سنة ١٨٠٠ و (فتاة اورليان) سنة ١٨٠١ و (خطب مسين) سنة ١٨٠٣ و (وجييوم تل) سنة ١٨٠٥

ولقد اجهد نفسه ليقرب بين التمثيل اليوناني والتمثيل الالمانى وطفق يبحث عن شيء يماثل القضاء والقدر عند الاقدمين وأخذ يهتم بنظرية الاثم والجزاء واهم منها التي حيرت الكتاب وهي الحرية الانسانية

(١) الحالة النفسية الفطرية هي حالة الانسان الفطرية قبل ان يتلقى اى تهذيب

تكاد مؤلفات شيلر التمثيلية تعد من الخياليات ولكن بهاء صوره وانسجام موسيقاه الشعرية ووفرة وقوة المواقف التمثيلية تمنعه من الوقوع في الغموض والملل ، وهنا يتوهج نبوغ شيلر ويقتعد اعلى ذروة اذ جمع بين التأملات الفلسفية والنظام والانسجام والشكل الخطابي الشائق ، وان صفاته هذه لقريبة الشبه بجوت كما وضحناه في موضعه

## L'Otage

## الرهين

تسلل ( موروس ) الى (دينيس) الظالم الغشوم وخنجره طي ثيابه : فضبطته الشرطة وغلوه . فقال له العاتي بلهجة مخوفة : « ماذا تريد ان تعمل بهذا الخنجر ؟

-- أريد ان أخلص المدينة من ظالم

— ستكفر عن جرمك على المشنقة

— انني على استعداد للموت ولا أسألك العفو ولكني أسألك أن تمن عليّ بثلاثة أيام أزف فيها أختي الى خطيبها واني لمودعك صديقي كرهين وان لم أرجع فانك تستطيع ان تأمر بقتله »

ابتسم له الملك ابتسامة طيها الخبث وقال له بعد ان فكر هنيهة : « انني امنحك ثلاثة أيام واعلم انه اذا انقضى الاجل ولم تعد قتل صديقك وفزت انت بمنتك »

ذهب ( موروس ) الى صديقـه وقال له : قد أمر الملك ان اكفر عن جرمي فوق المشنقة ولـكنه منحني ثلاثة أيام أزف فيها أختي الى خطيبها واني لتاركك بجانبه كرهينة ريثما أعود فأخلصك »

عانقه صديقـه الحميم الامين بسكوت وسلم نفسـه للظالم وزوج الآخر أخته قبل اليوم الثالث وأخذ طريقه سائراً سيراً حثيثاً مشفقاً أن يرجع متأخراً

هطل وابل هتان وتدفق ماء الينابيع وهوى من ذرى الجبال حتى فاضت الغدران ولما وصل الى ضفة الغدير وعصاه بيده زعزعت اللجج الهائجة جوانب القنطرة فانهارت وسمع لها وقت تهدمها صوت كالرعد

لبث أمام الشاطيء كضال بائس مسرحاً ناظريه في جميع انحاء الغدير فلم يشاهد سفينة واحدة واخذ يستنجد بالملاحين ولـكنه خاب ظنه ولم يلب نداءه أحد وامتد السيل الطاغي على بعد كانه الخضم

سقط فوق العراء ورفع يديه الى ( جوبيتير ) متضرعاً باكياً صائحا أتوسل اليك ان تقف هذا الماء الشديد العنيف . الوقت يسير والشمس تتوسط مجراها وان لم أبلغ المدينة وقت اقترابها من الافق هلك صديقي بلا ريب »

ولـكن هياج الماء ما فتيء في ازدياد: وطفقت اللجج تثب على اللجج وتتعاقب الساعات على عجل فساور القلق ( موروس ) وصمم على اقتحام كل أمر فرمى بنفسه وسط الامواج المزمجرة وشقها بذراع شديدة

وعطفت عليه الارباب . ولما بلغ الضفة الاخرى استمر في مسيره وحمد ربه على نجاته . وعلى حين غفلة اندفع قطاع الطرق من الغاب وسدوا عليه المسالك وأنشأوا يهزون فوق رأسه هراواهم يهددونه بالقتل . فصاح فيهم وقد هرع دمه من الذعر : « ماذا تبغون مني ؟ فليس عندي الا حياتي ويلزمني أن أسلمها الى الملك » . نزع هراوة من أحد اللصوص قائلاً : « ارحموني بحق صديقي » ثم أنحى على ثلاثة من هؤلاء الاشقياء التعساء بعنيف الضربات فولى الباقون الفرار

رمت الشمس الارض بأشعتها الحارة فأعيى ( موروس ) من النصب وأحس أن ركبتيه لا تستطيعان ان تقلاه فصاح : « إلهي انك نجيتني من أيدي قطاع الطرق لتضنيني هنا فيهلك صديقي

وبينا هو سائر اذ سمع على حين غفلة خريراً لطيفاً فوقف وأصغى : فوجد ينبوعاً رائقاً يسيل ماؤه من صفاة فانحنى عليه وأنشأ يبرد أطرافه الملتهبة بمائه المنعش

لمعت ذكاء من خلال أغصان الايك وافترشت افياء الغاب الوارفة المروج . شاهد ( موروس ) مارين يسيران مسرعين وسمعهما يقولان : « سيموت الآن على المشنقة »

زاده الالم قوة وأعاره القلق جناحين ولما اقتربت الشمس من الافق رأى أسوار ( سيراكوز ) و ( فيلوسترات ) تلمع من بعد . أقبل اليه حارس بيته الامين ونظر اليه نظرة الهلع قائلا :

« بعداً بعداً فانك لا تستطيع نجاة صديقك فقد حان موته فانج أنت على الاقل بحياتك . وقد كان ينتظرك من ساعة لاخرى والامل ملء فؤاده دون أن تزعزع سخرية الظالم ثقته الثابتة

— ان فات الوقت فلا يتسنى لي خلاصه واني اود ان يجمع بيننا الموت ولا ينبغي ان أترك الظالم المتعطش للدماء يقول ان صديقاً أخلف عهد صديقه : فليضحنا معاً ليعتقد بالصدق والوفاء »

توارت الشمس خلف الافق ووصل راحلنا الى ابواب المدينة فأبصر الجموع باهتة دهشة مكتظة حول المشنقة المنصوبة وابتدأوا يربطون صديقه . شق الصفوف بعزم شديد صائحاً : « ها انذا أيها الجلاد ها انا الذي يجب ان يقتل وقد جعل نفسه رهينة لاجلي »

نظر اليه الناس بدهش ثم تعانق الاثنان ودمع الفرح ينهمر من مآقيهما ممزوجاً بدمع الالم فبكى الناس لبكائهم . حدث الناس الملك عما شاهدوه منهما فشعر بعاطفة مؤثرة وأمر باحضارهما امام عرشه . نظر اليهما طويلاً بتعجب واستغراب وقال لهما: « لقد أفلحتما في إلانة قلبي . وليس الوفاء بكلمة حقيرة ! فأرجو منكما أن تأخذاني صديقاً لكما وتقبلاني كثالث في اتحادكما »

## Le Plongeur

## الغواص

« من منكم أيها الفرسان والفتيان النبلاء يقدم على الاندفاع في هذه الهاوية ؟ لقد رميت قدحاً من نضار فابتلعته الحفرة المهلكة فمن آنس في نفسه قدرة على أخذه فليحفظه لنفسه منحة مني »

فما أتم الملك كلامه حتى رمى من ذروة الصخور المنحدرة المشرفة على اللجج الهائلة قدحاً من عسجد في مياه ( كربد ) وكرر نداءه « من منكم يعهد في نفسه الاقدام على غوص هذه الاعماق ؟

عم السكوت وخيم السكون وما من مجيب وما هي الا هنيهة حتى هب بغتة شاب سري جمع بين اللطف والجرأة فتقدم وحل منطقته وتجرد من عباءته فدهش كل من رآه من رجال ونساء وأعجبوا به أيما اعجاب وبينا هو على حافة الصخر يتأمل في هذا المهوى اذ اندفعت اللجج من اغوارها مزمجرة كالرعد

صفر هذا الضاري ثم ازبد وغلى كماء المراجل عذبته النار وارتفعت نوافير الماء والبخار الى عنان السماء وتبعت اللجة اللجه فكأن قوة هذا المهلك تتجدد ولا تنفد او كأن المحيط يتمخض ليلد يماً آخر

ثم سكن هذا التيار الدوار ولمح الناس وسط الزبد الابيض فوهة سوداء لا قرار لها فاغرة فمها كالجحيم لا تلبث ان تزدرد ما يهوى فيها من الموج المضطرب

وفي هذه الآونة اعتمد الشاب على الله وطلب منه الرعاية . . . ثم سمع على حين غفلة صياح الفزع والرعب اذ ابتلعت اللجة هذا الغواص المقدام وانطبق عليه فم الوحش الكاسر

صمت كل شيء على وجه الماء ولكن الانواء ما فتئت تدوي في ظلمات الحفر وطفق كل مشاهد يقول : « الوداع الوداع ايها العزيز » ومابرح هزيم الهاوية يهبط شيئاً فشيئاً حتى هلعت القلوب وحارت العقول

ثم صاح احد المشاهدين لئن : «رميت تاجك في هذا الغور الهائل قائلا : « الملك لمن يرده ما سولت لي نفسي ان اتطلع اليه اذ لم تستطع نفس حية ان تقول ما شاهدته في هذه الخنادس والمهاوي »

« كم من فلك اختطفت هذه الاغوار ولم ترد منها الا حطاماً وساريات مهشمة ودفن باقيها في بطون الرموس » ثم علت زمجرة اللجج بغتة واقتربت اصواتها . زأر الكاسر الرهيب وهاج وارغى وازبد وعلت لججه كالاطواد وانشأت تنقض على الشاطىء فيسمع لصدماتها هزيم كالرعد

ثم شوهدت طي الموج المظلم العنيف ذراع وعنق وضاح كالجليد : وما هو الا الشاب السري يسبح بقوة عظيمة وعاد متهللا حاملا القدح بيده اليسرى

استنشق الهواء طويلاً ثم حيى نور السماء فصاح الناس مستبشرين

فرحين : « ها هو حي ! ولم يستطع قبر اللجج ان يحجزه واقتحم الغواص الجريء الخطر وظهر عليه »

اقترب الفتى فالتف حوله المشاهدون ثم ركع تحت قدمي الملك وقدم له الكاس الذهبية فأشار الملك الى ابنتـه العزيزة بأن تملأها من رحيق فاخر فصاح الغواص :

« أمد الله في عمرك أيها الملك ؟ ان السعداء من يستنشقون هـذا الهواء النقي ؟ وهـذه الهاوية ترتاع منها القلوب الشداد . فلا ينبغي للانسان ان يبلو الارباب ويتطلع الى معرفة ما عندهم من الرحمة والحنان وما اختفى تحت أستار الظلام

هويت الى هناك بأسرع من البرق فقذفتني لجة عاتية الى الصخرة ثم حملتني أخرى لا تقل عنها بأساً ودورتني كالخزروف فلم أستطع أن أثبت أمامها

« أراني الإله الذي استغثت به عنـد ما حفت بي المخاطر الهائلة فرجة في الصخر وبهـا نجوت من الموت . . . وقد لمحت ثمت الكاس معلقة في شعب المرجان التي منعتها من السقوط الى الاغوار السحيقة

« أبصرت تحتي أعماقاً لا قرار لهـا ولم تسمع أذني أقل جلبـة وارتعدت فرائصي عنـد ما شاهدت الحيتان والتنانين ووحوشاً غيرها جائلة في هذه الحفرة الجهنمية

كنت ثم عديم النصير لا أسمع صوتاً آدمياً وحيداً في مخبأي المزعج

أتأمل في هذه الوحوش الفظيعة وأفكر في حظي . فاقتربت مني مئات منها وهي تحاول أن تنقض عليّ فتركت الرجان من الهول ثم ارتفعت الموجة وحملتني الى سطح المهلك »

فنظر اليه الملك باعجاب وقال له « هذه الكاس لك وسأعطيك أيضاً خاتماً ذهباً مرصعاً بالاحجار الكريمة فجرب النزول الى اللجج ثانية ثم تعال الي لتحدثني عما رأيت »

فأصغت اليه الفتاة وارتسمت على وجهها عاطفة حنان وقالت له بلهجة تسيل توسلاً وتعطفاً

« اعدل أبت عن هذه التجربة القاسية فان هذا الشاب أقدم على مالم يقدم عليه آخر قبله ورجع من مكان لم يعد منه حي قط »

وبينا هي تتكلم اذ رمى الملك القدح قائلاً : أيها الفتى ، ان أتيتني به جعلتك من فرساني الاخصاء وزوجتك بمن توسلت اليّ لاجلك »

فآنس غواصنا في نفسه قوة سماوية وتوقدت الشجاعة في عينيه ولمح ابنة الملك وقد علت وجهها الحمرة ثم شحب لونها فوقعت على العشب فأراد ان يظفر بهذه المنحة الفتانة فطوح بنفسه في الموج ليخوض غمار المنون مرة أخرى

بدأ الناس يسمعون هزيم اللجج وينحنون وفرائصهم ترتعد على حافة الهاوية فكانت اللجج تنتفخ وتربد وتعلو وتهبط ثم تعلو ولم تأت بالغواص

## L'Attente

## الانتظار

أأسمع الباب الصغير يفتح ام صرير المزلاج ؟ كلا ! بل ذاك صوت الرياح التي تهب بين أشجار الحور فتترنم بحفيفها

أيتها الاوراق الخضراء تزيني فانك ستلاقين اللطف والجمال . أيتها الافنان هيئي مخبأ ظليلا يحميها في الليل الصامت الخفي . تيقظ يا نسيم الصبا وامسح ورد خديها بخطراتك حينما تقبل سائرة بخفة الى مواطن ينتظرها فيها الهوى

صه صه ! ما هذه الجلبة التى اسمعها بين الخمائل ؟ انه لطائر نافر هرب من هذه الايكة

اطفيء يا نهار سراجك الوهاج وتعال ايها الليل الهنيء بأسرارك الحلوة وانشر حجبك فوق هاتيك الحقول الارجوانية ونسيج الاوراق المشتبكة : فان الحب يبتعد حين صفوه وسعادته عن الآذان التي تنغمس في حمأة الفضول وتسترق مالا يعنيها كما انه يهرب من الضوء المسئم الممل . وكوكب المساء الامين هو الذي تعهد اليه وحده الاسرار

ما الذي أسمعه هناك من همس أشبه بصوت خافت ؟ لا . فذاك البجع يمرح فوق الماء الرائق ملتفاً كالحلقة

نغم شجي يردده الهواء ، والينبوع يتفجر ماؤه بخرير لطيف ، والازهار تنحني من لثمات النسيم

مالي ارى جميع الكائنات تميل من نشوة الملذات وعنقود العنب يعطف على الخوخ اليانع الشهي المستتر بين الاوراق ، والهواء الشذي يمتص حرارة خدي الملتهبين

أما سمعت وقع أقدام وراء الحرجة ؟ كلا . . فانها ثمرة ناضجة سقطت من ثقلها

طفقت أشعة النهار تنعدم شيئاً فشيئاً حتى استحال لونها وأخذت الازهار التي تخشى حرارة الشمس تتفتح في الشفق البليل . ثم أشرق القمر الفضي وظهرت الاشياء جلياً بعد غموضها وحلت المناطق فتجلى جمال الطبيعة عارياً امام ناظري

تلك حلة بيضاء تلمع هناك أم ثوب من خز ؟ لا . . فما هي الا العمد البيضاء ينعكس لونها على السور المظلم

أيها القلب الجزوع ! لا تصب الى لعب لا يجدي يصدر من الغيد الحسان . أمد ذراعي لمعانقة من أهوى فلا أجد فيهما شيئاً ، والخيال الغرور لا يقنع فؤادي . آتوني بقرة عيني ودعوني الثم يدها الجميلة وانظر أطراف عباءتها وسأسلك سبيل الحياة من طريق الاماني الخادعة

أقبلت ساعة الهناءة العميمة بسكينة كأنها هبطت من اعالي السماء واقتربت الحبيبة العزيزة دون ان ترى فأيقظت محبها بقبلها الحارة المنعشة

## Hero et Leandre

## هيرو وليياندر

انظر الى هذا القصر القديم الذى تنيره أشعة الشمس وهو على ضفاف تنقض عليها لجج ( ايلليسبون ) مزمجرة وترتطم فوق صخور الدردنيل . اسمع أصوات هـذه الامواج وهي تتكسر فوق الشاطىء انها تفصل آسيا عن اوروبا ولـكنها لا تروع الحب

رمى اله الحب بسهامه الفتاكة فؤادي ( هيرو وليياندر ) فـكانت الاولى فتانة غضة الشباب تحاكي ( هيبيه ) ربة الصبا والآخر يجوب الجبال مدفوعاً بحب الصيد . فرقت بين هذين الزوجين السعيدين عداوة أهلهما وعرضت هواهما للمخاطر . كانت الفتاة جالسة في ( سيستوس ) الذي لا تنفك عن صدامه بعنيف الصدمات أمواج ( ايلليسبون ) ولا انيس لهـا الا الوحدة مسرحة ناظريها في ضفاف ( ابيدوس ) مقر حبيبها العزيز . لا تصل واأسفـاه هاتين الضفتين المتراميتين قنطرة ولا تمخر بينهما سفينة ولـكن الحب عرف كيف يجد هناك طريقاً كما عرف ان يخترق مسالك ( لابيرنت ) المضللة وهو الذى يمنح الحي المهارة والحذق ويقهر الوحوش الضارية ويربط بعجلته الثيران الصعاب حتى ان نهر ( ستيكس ) نفسه بدوائره التسع لا يعوق هذا الرب الجرىء : اذ اختطف حبيبته من حنادس الجحيم

هاج الحب قوة ( ليآندر ) وطوحت به فوق اللجج برغبة شديدة وحمية عنيفة . وحينما تلبس الغزالة حلتها الصفراء مؤذنة بالمغيب يندفع السابح الجرىء في لجج ( بون ) ويشقها بذراع قوية الى أن يصل الى ارض المحبوبة التي يلمع فيها ضوء مصباح يهتدي به في حنادس الليل البهيم

يستريح هذا الفتى السعيد في احضان من يهواها بعد نصبه من هذا النضال المزعج وينال المثوبة الربانية التي ادخرها له الحب ويمكث الى ان يوقظ الفجر المحبين وهما في لذيذ احلامهما فيرتمى الشاب في لجج اليم الباردة

مر ثلاثون يوماً نفحت هذين العاشقين من سرور ورغد يفوقان ليلة الزفاف ومنحتهما نشوة فتانة تحسدهما عليها الالهة أنفسهم . ولا يعرف السعادة من لم يعرف كيف يسرق ثمار السماء فوق شواطىء نهر الجحيم المزعجة

يتعاقب الجديدان فوق الافق دون ان يبصر المحبان سقوط اوراق الاشجار او يلاحظا ريح الشمال المنبئة باقتراب الشتاء بل كانا يتهللان حينما ينظران النهار آخذاً في القصر ويحمدان ( جوبيتير ) رب الارباب على انه اطال لهما الليالي

استوى الليل والنهار وكانت الفتاة جالسة في قصرها ناظرة الى أشعة الشمس وهي كجياد تعدو نحو الافق والبحر ساكت ساكن كالمرآة فلم تجعد صفحاته البلورية أية نسمة وأخذت أسراب الدلافين

تلعب في هذا العنصر الرائق وجموع ( التيتميس ) ترتفع من أعماق اليم مكونة صفوفاً طويلة سوداء . كانت تعرف هذه المخلوقات المائية وحدها اسرار ( ليياندر ) ولكن ( هيكات ) كانت تمنعها عن التفوه به

طفقت الفتاة تشاهد بسرور وهناءة هذا البحر الجميل قائلة له بصوت يزري بأصوات الامهات يلاطفن أطفالهن في المهود : « أتستطيع ان تخادع أيها العنصر اللطيف ؟ انني أصف بالنفاق من يلقبك بالكاذب الخائن وما الكاذب الا جنس الرجال وما القاسي الا ابي . ولكنك أنت اللطيف البار اذ تضطرب من هموم الحب . كتب عليّ ان أقضي الحياة في الحزن والوحدة بين هاته الجدران المنعزلة وهذا السأم الدائم الذي أضناني . ولكنك تحمل في بطنك من احب بدون سفينة ولا قنطرة وتقوده الى ذراعي . اعماقك هائلة وامواجك مزعجة ولكن الحب يلينك والقوة تقهرك

« خضعت لاله الحب القادر حينما رجعت الفتاة الفتانة ( هيللية ) هي واخوها ونالت الجزة الذهبية ففتنتك بمحاسنها فقبضت عليها فوق اللجج وجرتها الى اعماقك

« اقترنت في الغار البلوري الذي خص بالخلود ربة باله فهي تشفق على الحب المضطهد وتقود الملاحين الى المرفأ . ( هيللية ) أيتها الحسناء والربة الطيبة ! اتوسل اليك ان ترجعي اليّ من احب من الطريق التي اعتاد ان يطرقها »

كسا الليل السماء فأوقدت الفتاة مصباحاً اتخذته بمثابة دليل يهتدي به فوق هاته اللجج الموحشة من تنتظره . ولكن الرياح انشأت تهب وتزأر واليم يزبد ويزخر وضوء الكواكب يختفي مؤذناً باقتراب العواصف والانواء . امتد رواق الحنادس فوق بطائح (پون) المترامية وطفق الوابل ينهمر من السحب والبروق تلمع وتتألق والرياح تصفر واللجج العميقة تنفتح وامسى البحر مزعجاً فاغراً فماً اشبه بفم السعير

صاحت الفتاة المسكينة : « وامصيبتاه واكرباه ! (جوبتير) يارب الارباب ! رحمة وحناناً بهذا الحظ المنكود ! وا اسفاه ! ماذا اجسر على سؤله ؟ ان استمعت مني الآلهة واقتحم حبيبي الانواء وجالد هذا اليم الخائن . واحسرتاه ! لا ريب ان هذا الجرىء سينفذ ما طالما نفذه من قبل اذ هو مدفوع باله مقتدر . وقد اقسم لي بحبه قبل ان يبارحني وقال الموت وحده الذي يحول بينه وبين ايمانه وعهوده . اسفي عليه ! انه الساعة يحارب الزوابع العنيفة واللجج الهائجة التي تجره الى الهاوية

« أيتها الامواج الخادعة ! انك تسترين خيانتك بصمتك . لقد كنت هادئة ساكنة كالمرآة . وتريدين الآن ان تسحبيه الى اعماقك الخائنة . اتفرغين عليه غضبك حينما يتوسط سبيله ويصبح رجوعه مستحيلاً »

قويت العواصف : فارتفعت اللجج كالاطواد مزمجرة وقت تكسرها

على الصخور وهربت السفن التى بنيت جوانبها من البلوط واطفأت الرياح مصباحاً لا دليل غيره للسابح وأمست الاخطار تعم الماء والعراء

دعت الفتاة ( الزهرة ) لتسكن الانواء ونذرت لها نفيس القربان وان تضحي لها ثوراً عسجدي القرنين . توسلت بجميع ربات الهاوية وأربابَ السماء أن يهدئوا هذا الخضم الهائج

« اسمعي ندائي واخرجي من مأواك الاخضر يا ( لوكوتيه ) البارة . طالما ظهرت في ساعة الاخطار فوق اللجج المضطربة لنجاة الملاحين ! امنحي من احب خمارك المقدس ذا الاسرار الخفية ليحمله سالماً ناجياً الى خارج مهوى الامواج »

سكنت الرياح الهائجة وصعدت خيل ( ايبوس ) ربة الفجر الى الى الافق وعاد الى البحر سكونه وهدوءه فلطف الهواء وابتسمت الامواج : ارتطمت اللجج بلين على صخور الشاطيء كأنها تتلاعب وقذفت جثة

نعم هو الذي مات ولم يحنث بيمينه . عرفته الفتاة : فلم تتفوه بأقل شكوى ولم تذرف دمعة واحدة ولبثت مثلجة لاحراك لها غارقة في بحار اليأس . ثم رفعت ناظريها الى السماء وتلون وجهها الشاحب بحمرة شريفة وقالت :

اواه انت أيتها الالهة التي تتصرف بقسوة وشدة . انك لا ترقين ولا تعرفين للرحمة معنى . قد انقضت حياتي على عجل ولكني عرفت

السعادة وكان حظي حسناً . انى مخصصة لمعبدك كاحدى كاهناتك . اقدم اليك بسرور ايتها ( الزهرة ) والملكة العظيمة قربانا جديداً بموتي » ثم هوت من أعلى البرج الى اللجج فاستحوذ على جثة الفتاة رب البحار ولفرحه بغنيمته استمر في نشر الامواج من انائه الذي لا ينفد ماؤه وهو مستبشر متهلل

---

## Le Partage de la Terre

## اقتسام الارض

قال ( جوبيتر ) يوماً من علا عرشه للناس: « خذوا الدنيا فهي لكم وامتلكوها وتمتعوا بكل ما اشتملت عليه وما أوصيكم الا بالعدل والاخاء في القسمة »

هب الناس سراعا واقبل كل من يستطيع ان يحرز له نصيبا من شبان وشيوخ فاستولى الزارع على الحرث واختص الظريف بالغاب واختار الراهب الصهباء المعتقة ووضع الملك حواجز فوق القناطر وحول الطرق ونادى « الخراج لي وحدي »

انتهت القسمة من امل بعيد واقبل الشاعر من اقصى الارض ولنكد حظه لم يبق شيء الا اصبح في حوزة مالكه . فارتمى امام عرش رب الارباب متوسلا شاكياً « يالشقائي وتعسي ! ايصبح اوفى ابنائك نسيا

منسيا دون الناس كافة » . فاجابه : « لاتتهمني ان ضللت في عالم الخيال والاماني : اين كنت حينما اقتسم الناس الدنيا »

— كنت بجانبك اشاهد بهاءك منصتا الى الانغام العلوية . فاصفح عن عقل فتن بنورك فنسي نعيم الدنيا » فاجابه بصوت جهوري رنان :

— « ليت شعري ما الرأي ما العمل ؟ قضي الامر واقتسمت الارض ووزعت الثمرات والصيد والاسواق واصبحت ملكا للناس فلو شئت ان تأتي الى سمائي وتعيش بجانب عرشي وجدت ابوابي مفتحة لك متى اردت »

## Guillaume Tell

## جيوم تيل

رواية ذات خمسة فصول وقعت في اوائل القرن الرابع عشر وهاك ملخصها

كان ( جيسلر ) واليا على سويسرا من قبل الامبراطور (البير الاول) فامر السويسريين ان يركعوا لقبعة عرضها في ميدان ( التروف ) فلم يقبل ( جيوم تيل ) لنفسه هذه المذلة وكبر عليه ان يخضع لامر الوالي فعاقبه بان امره بان يصيب بسهم تفاحة توضع على رأس ابنه وان ابى قتل معه ولمهارته في الرماية خرج ظافرا من هذا المأزق الحرج ولكنه اعترف وقت الرمي بانه ان اصاب ابنه فلا بد ان يقتل ( جيسلر ) فأمر هذا

بان يغل في سفينة ليعتقل في قلعه ( كوسناخت ) الواقعة على الشاطىء المقابل

وقد فاز ( تيل ) بفراره عند ما هبت عاصفة على بحيرة ( الاربعة المقاطعات ) وتربص ( بجيسلر ) في طريق ( كوسناخت ) فقتله وكان موته علامة لهجوم السويسريين على النمسوين وتخلصوا من ربقة حكمهم

## جيوم تيل

### نبذة من المنظر الثالث من الفصل الرابع

(يقبل جيوم تيل وبيده قوسه)

لا بد له ان يمر بهذا الاخدود اذ لامسلك غيره يوصل الى ( كوسناخت ) هنا اتمم مهمى فقد سنحت الفرصة وستحجبني عن عينه هذه الخميلة ومنها ينطلق سهمي مصيبا غرضه . وسيعيق ضيق الممر من يقتفون اثري. حاسب ربك ايها الوالى فقد وجب فناؤك واقتربت ساعتك

كنت عائشاً في بحبوحة السكينة والدعة ولم أصوب نبالي الا الحيوان الآجام ولم تجل بخاطرى هواجس القتل قط فأحرجتني وأخرجتني فزعاً مضطرباً من سلم كان لي شعاراً . وقد حل سم الافعوان الجهيم محل ما أرضعته من أفاويق البر والتقوى بسبب عملك وعودتني قبيح الخصال . . .

وان من يجعل رأس ابنه هدفاً ليستطيع ان يصيب عدوه الالد

يتحتم علي ان أحمي أولادي المساكين الابرياء وعقيلتي الامينة من غضبك ايها الوالي . وعند ما جذبت وتر القوس ارتجفت يدي من هول ما أملته عليك أهواؤك القاسية الشيطانية واكرهتني على ان اجعل راس ابني غرضاً ففقدت صوابي وخانني الدمع وارتميت على قدميك ضارعاً متوسلاً . فلما يئست من عفوك ورحمتك جاشت النفس بقسم هائل لم يسمعه الا الله اذ آليت ان اجعل فؤادك مرمى لضربتي التالية . وان ما سولت نفسي به وقت عذابها الجهنمي لهو دين لي مقدس يلزمني ان ابرأ منه .

انت سيدي ونائب قيصري ولكن مليكي نفسه لا يأتي بما أتيت به . وقد أرسلك الى هذا البلد لتحكم بين الناس بقسط تصحبه القسوة لانه مغتاظ وحانق علينا ولكنه لم يشر عليك بأن تستبدل القصاص باقتراف أشنع الفظائع التي توحي بها أهواؤك السفاحة . أنسيت رباً يقتص منك وينتقم

هلم اليّ يا من أثقلتك مرارة الآلام . أنت حليتي الفاخرة وكنزي الثمين . وسأمنحك هدفاً لم تنفذ اليه اطهر التوسلات ولكنه لا يستطيع أن يثبت أمامك

وأنت أيتها القوس يا نعم من تُودع اليها الاسرار ومن أخلصت لي في العاب السرور فلا تخذليني في هذا الدور المزعج الخطر . اسعدي وتري

الامين يا من طالما أعارت نبلى أجنحة فطار بها . لانه ان فارق يدى دون أن يتزود بالقوة الكافية خاب الرجاء ولم أجد غيره للرماية

اود ان اجلس على هذه الاكمة التي هي ملاذ المسافر حل به النصب اذ لا وطن لأحد هنا .

سرعان ما يقابل الناس بعضهم بعضاً كالاجانب دون ان يتساءلوا عن آلامهم ومصائبهم اذ يمر التاجر وقد ساورته الهموم والحاج وقد قصر ثيابه والراهب وقد أسرت حواسه الفكر الدينية واللص المغموم والمقامر الفرح المتهلل وقائد العجلاوات تؤودها الاثقال وهو آت من من أقاصى الآفاق اذ كل منهج يوصل الى اطراف الدنيا

يمر كل في سبيله ويذهبون الى أشغالهم وأنا لا شاغل لي الا القتل

كان أولادي الاعزاء يرقبون رواح ابيهم ببشر لا يوصف اذ كنت لا أدخل عليهم دون ان اجلب لهم شيئاً . فآونة زهرة جميلة من أطواد الالب وطوراً طيراً نادر مما يلاقيه السائح على الجبال . والآن وقد شرع في صيد آخر وقعد في سبيل موحش لا يدور بخلده غير القتل اذ يتربص بعدوه الدوائر

انه لا يفكر الآن الا فيكم أيها الابناء الاعزاء حتى فى هذا الوقت الحرج . ذلك ليرعاكم ويحمي طفولتكم الطاهرة البريئة من انتقام الظالم الغشوم وقد وتر قوسه للبطش والفتك

انه مترصد لصيد جليل والصائد لا يندم على قضاء ايام كاملة في

قر الشتاء واثباً من صخرة لاخرى مجازفاً بحياته الغالية متوقلا شواهق تكاد سفوحها تكون منتصبة حتى يوشك ان يقف الدم في عروقه هلعاً . وذلك طلباً لاروية يرثى لها . هنا يذهب ظافراً بأعظم منها وهو فؤاد عدوي اللدود القاتل الذي اراد هلاكي

قضيت حياتي في حمل قوسي وتدربت حسب قواعد الرماة اذ طالما أصبت سواد الهدف ونلت قصب السبق في الرماية . واليوم أريد ان أرمي رمية حاذق لبق تضرب بها الامثال لاحوز اعظم الجوائز في بلدنا هذا الجبلي

---

## Les Brigands

## ملخص قطاع الطرق

رواية محزنة ذات خمسة فصول مثلت لاول مرة سنة ١٧٨٢ بمدينة مانهيم وخلاصتها ان (الكونت دومور) كان له ولدان بكرهما (شارل) وهو شريف القلب والعواطف والثاني (فرنس) نقيضه قد ركب فيه الخبث والنفاق . فانضم الى فئة من المجرمين وأثقل الدين كاهله وانتهى الامر بأن فر مع شركائه وبقي أخوه (فرنس) بجانب ابيه ولا هم له الا ايغار صدره على اخيه ليحرمه من الميراث . فلما يئس شارل وقطع الامل أصبح رئيس عصابة من قطاع الطرق واوى معهم في حراج (بوهيميا)

وكان (للكونت دومور) ابنة أخ تدعي (اميلى) عائشة معه محبة لابنه شارل فعملت جهدها في اصلاح ذات البين بين الوالد وابنه فرضي عنه بعد سخطه ولكن (فرنس) أذاع في القصر موت أخيه (شارل) نخر أبوه صعقاً حزناً على ابنه وأسرع (فرنس) وحمل أباه وهو في غشيته واعتقله في برج منعزل ليقتله صبراً وفي الوقت نفسه شيع جنازة لابيه ليذر الرماد فى عيون اهله وقومه

وأصبح (شارل) في ذاك الحين شديد البأس طائر الصيت يرتجف منه كل من سمع اسمه فأراد أن يرجع الى قصر أبيه الذي تفرد فيه أخوه وتملك جميع أموال والده فيدخله بعد هذا الزمن المديد مختفياً باسم منتحل فلم يعرفه أحد لتغير شكله وطول العهد ببعاده ولكنه لم يخف على حبيبته اميلى ولم يقبل ان يصرح لها بمعيشته وحالته وترك القصر والتحق بعصابته . وكان بالمصادفة يوجد في الغاب المجاور للمدينة الكامنة فيها عصابته البرج الذى، اعده لابيه (هرمن) معين (فرنس) وعضده انتقاماً فعانى من صنوف البؤس واليأس الواناً . فخلص (شارل) أباه وقبض على أخيه الظالم الغشوم وسجنه مكان ابيه وتركه يموت صبراً ليذوق ما جنت يداه كيلاً بكيل . ولما علم ابوه بالعيشة التي انغمس فيها ابنه مات من الهم والالم . ولما لم يستطع (شارل) ان يتزوج حبيبته (اميلى) لان عصابته حالت دون بغيته ورمته بالنذالة والجبن وانه نكث العهد وحنث في يمينه لاجل فتاة وقد كان على وشك الرجوع

الى قصر ابيه مع حبيبته ولكنه لما سمع هذا التقريع المر لم يجد بداً من الاستمرار مع عصابته وتنحى عن اميلي فيئست هذه البائسة وطلبت منه ان يريحها من هذه الحياة المنكودة فأبى أن يقتلها بيده فتوسلت الى رجاله أن يخلصوها من عذابها فهمّ احدهم بقتلها فمنعه ( شارل ) وفضل ان تموت بيده دون غيره ثم سلم نفسه للقضاء

الفكرة الاولى في هذه الرواية تبين نفساً شريفة مشبعة بالفضائل لم تجد كفايتها من الحرية تحت سلطة النظام الاجتماعي ووجدت عملاً بين مجمع من الاشرار ارتاح اليه ضميرها وكان في عينها اشرف من عملها الخاضع للقانون الاجتماعي وجعلت المجتمع الانساني حذاء مغارة للصوص وخصتها بجميع المزايا . وقد كان على هذه الرواية اقبال عظيم في أول الامر ثم حكم عليها اخيرا بحكم قاس بالقياس الى الفكرة الاخلاقية

---

نبذة من المنظر الاول من الفصل الاول

الكونت دومور

يالمقاصد وآمال حلوة

فرنس

اعلم ذلك جيداً وهو وفق ما قلته . وان الروح المتوقدة التي تحمس هذا الولد كما تقول وجعلته يلتهب شوقاً لكل شيء عظيم جميل . وطهارة القلب هذه التي ينبعث نورها من روحه فينعكس لألأوها في عينيه ورقة

شعوره التي تذوب فتسيل كالدمع توجعا لكل متألم مكروب وهذه البسالة التي تدفعه الى ذروة اشجار البلوط التي تجاوزت جيلا من العمر وتقوده من اعماق الحفر الى اعالي السياج الى هائج الغدران . وهذا العناد الذي لا يقهر وتلك الفضائل الحسنة الباهرة تنبت في الابن وتجعله يوما ما صديقا شديد البأس صعب المراس لخلانه ومن اعظم القائمين بواجب وطنهم بطلا من كبار الرجال

انظر الآن يا ابت الى هاته النفس المتأججه كيف نمت وعظمت وانتجت ثمراً جليلا . وطهارة القلب وقد استحالت بظرف ورشاقة الى الى قحة . وذاك الحنان وهو يسجع بشجو لربات الدل كما يتأثر بشدة من الغيد الحسان

ارايت كيف عرف هذا النابغة ان ينهك بدنه في مدة قصيرة لا تتجاوز ستة اعوام فاصبح ميتا ولو ان جسمه لم يزل حيا . وترى اناسا ممن نضب ماء الحياء من وجوههم يقولون بجرأة « هذا ما فعله الهيام »

كيف وجدت الان هذا الراس الجريء الذي ملىء بالمقاصد الفخمة يجهز وينفذ خططا تسحب ذيل النسيان على وقائع (كارتوش) و (هوار) ولا سيما حينما ياتي يوم يدرك فيه زرع هذا البذار — وناهيك ما يؤمل من تحسن ينتظر من عنفوان الشباب — ولربما طال اجلك وتهللت حينما تراه قائداً لجيش توطن في دعة الادغال وسكونها المقدس فيأخذ بيد الراحل

التعب ويربحه من نصف ما يحمله . ويجوز ان ترى قبل موتك الناس يحجون نصبا يرفع له ويكاد يناطح السماء

فاولى لك يا ابتاه ان تبحث لك عن اسم آخر والا اشار اليك البدالون والسوقة بالبنان ازدراء حينما يرون ابنك المبجل وقد مثل بصورته امام الملأ في سوق (ليبزج)

الكونت دومور

وانت ايضا يا فرنس . اواه من بنين اتخذوا قلب ابيهم هدفاً

فرنس

ارأيت انني اعرف ايضاً النكات الادبية ولكن نكاتي كلدغ العقارب . وهذا الرجل جافي الطبع خامل الذكر فرنس السمج من كانه قد من خشب . هذا بخلاف كلمات التحبب والعطف التي كان يتسنى لك ان ينفحك بمثلها البون الظاهر بيني وبينه فتتود الى بها كما كنت تجلسه فوق ركبتيك فيقرص خديك . فرنس من سيموت ويبلى في هذه المواطن ثم يذهب نسيا منسيا بينما تطير شهرة ذاك النابغة بين الخافقين واني احمد الله على ان فرنس هذا السمج الفظ لم يكن مثل الاخر

الكونت دومور

عفواً بني ولا تحنق على والد خدع في مقاصده وان الله الذي قضى على بهذا البكاء لاجل شارل لقادر ان يكفكف عبراتي بواسطتك

فرنس

اجل ابتاه فسيمسح دمعك عن مقلتيك ويضحي حياته ليطيل بها أجلك اذ هي الهاتف الذى استشيره قبل عمل ما اريده ومرآتي التي انظر فيها كل شيء وني اهمل كل واجب مقدس اذا اقتضى الامر حفظاً لحياتك فهل انت واثق باعترافي ؟

---

نبذة من المنظر الثاني من الفصل الاول

( يدخل شارل هائجاً مهرولا روحة وجيئة في غرفته )

يالرجال كالتماسيح كاذبين منافقين ! عيونكم من ماء وقلوبكم من من فولاذ ! قبلٌ فوق الشفاه وسيوف في الاحشاء . تطعم الآساد والنمور صغارها وتدرب الغربان فراخها على نهش الرمم . وهو . هو ... اعتمدت احتمال الاذى وعرفت ان اسخر منه اللهم ان لم يرد عدوى الخبيث ان يشرب دم قلبي . . . ولكن اذا ابغضك حب القرابة واستحال الحب الابوي الى بغض واذى يفوق ضر المرأة الشريرة حادة الطبع فاحترق اذن ايها الاعتدال الانساني وتنمري ايتها الشاة الوديعة وتهيئي جوارحي للغضب والفتك

رولير

أصغ لي يا ( شارل ) وخبرني عن رأيك في هذا الامر ! أليست حياة قاطع الطريق خير من خبز وماء بلا ادام في الدرك الاسفل من القصر

شارل

ليت شعري لِمَ لم يركب هذا العقل في نمر فكان يغرس فكه القوى في لحوم الناس ؟ أهذه أمانة الوالد ؟ أهذا من الحب وبه يكافأ أهله ؟ وددت لو كنت دباً وحرضت دببة الشمال على هذا النوع السفاح — أتوبة ولا عفو — ليت لي أن أسمم القاموس ليردوا حياض الموت الزؤام من أي منهل يستقون منه . أأمانة لا يشوبها فكر مغاير ولا شفقة ولا حنان

رولير

سماع ما قلته لك ياشارل

شارل

هذا أمر غير معقول بل حلم بل غرور . شكوى تذوب منها القلوب رأفة وحناناً ووصف مؤثر لبؤسي وما يخالج قلبي من الندم ! حال يرق لها الوحش ويضطرب منها ويبكي صم الصفا عطفاً وشفقة .

والآن وكأني أردت ان اكتب مقالاً أسلق الناس فيه بألسنة حداد . وويل لي منهم لو كنت فهت به . . . من لي بأن انفخ في بوق الثورة فيدوي صوته في اصقاع الارض فيتألب الناس من كل فج عميق متدفقين كالصواعق الى قتال هذا النوع الذي يحاكي الضباع واسمدنا الهواء والارض والماء

جريم

أصغ لي فقد اصمك الغيظ !

شارل

ارجع الى الوراء وابتعد عني ! ألست برجل ولدتك امرأة ؟ أغرب عني حتى لا أرى وجهك الانساني ! كنت أحبه حباً يفوق الوصف وهيهات أن يوجد بين الابناء من يحاكيني حباً . وكنت اقدر أن أضحي له الف حياة ( يرغي ويزبد ويضرب الارض برجليه ) وودت لو كنت عضباً وحملني مفتول الذراعين فجرحت نوعاً كالافاعي جرحاً بالغاً يالهبه ألماً وتوجعاً . من لي بمن يدلني على مقرحياتهم فأسحقه واستأصله ويكون هذا المرشد لي صديقاً بل ملكاً بل رباً فأعبده

رولير

ها نحن نريد أن نكونه فاصغ اذن !

شوارز

هيا معنا الى غاب ( بوهيم ) فنؤلف عصابة من قطاع الطرق وأنت . . . ( فيحدق به شارل )

شوزير

كن لنا زعيماً ويجب أن تكونه !

سبيجيلبير ( يجلس على كرسي )

يا لكم من ارقاء انذال !

شارل

من املى عليك هذه الكلمة؟ حاشا ان تصدر من رجل شهم مثلك ! من نفحك بهذا اللفظ ؟ نعم . ويحق لهم يصمونا به لموت يحصد النفوس بألف ذراع وهذا ما نريد ان نعمله ونعمت الفكرة فلنكن قطاع طرق قتلة واني واثق بأن اكون زعيمكم كما اثق بحياتي !

يصيح الكل بصوت واحد

ليحي زعيمنا !

سبيجيلبير ( يقفز مبتعداً عنهم ويقول على حدة )

الى ان تأتي ساعته فأتركه وشأنه يحتسي وحده كأس المنون

شارل

يخيل الي ان الغشاوة التي خيمت على عيني قد زالت . فما اشد حماقتي لو كنت رجعت الى القصر . ان فكري والهامي يتلهفان ظمأ الى الوقائع والحرية . يدعوننا بالقتلة وقطاع الطرق ! وبمثل هذا القول تدهور القانون تحت قدمي . دعوت قومي الى المروءة فأبوا فسحقاً وازدراءاً للحب والاحترام الانساني ! لا اب لي ولا اعرف الحب وسيساعدني الدم والموت على نسيان من كنت اعزهم ! تعالوا امنحكم من الملاهي والمسرات المزعجة فنحن على وفاق وانا زعيمكم ! ما احسن حظ امهركم ومن يرتكب الفظائع والتوحش في الاحراق والشناعة والهول في القتل فاني اقول لكم انه سيكون السيد العظيم ويكافأ مكافأة فخمة باهرة . التفوا حولي واقسموا لي يمين الامانة والطاعة الى ان يوافيني الموت . اقسموا لي وصافقوا هذه اليمين القوية

الجميع ( ويصافقه الكل )

قسماً صادقاً حقاً اننا لك امناء مطيعون الى ان نذوق كاس المنون !

## قطاع الطرق

نبذة من المنظر الخامس من الفصل الرابع

( شارل يتكلم وهو غارق فى بحار عميقة من التأملات )

ليت شعري من يجيبني عن نبأ المستقبل ؟ كل شيء تغشاه سحب الظلمة . . تيه يضل فيه الحجى فلا مخرج منه ولا نجم يهتدي به في حندسه . فان كان الموت ممهداً لهذه العقبات مريحاً من هاته الملمات فلم ذاك الظمأ الشديد الى الهناء ؟ وعلام هذا الحسن الذي بلغ منتهى الكمال والجلال فلم تدرك كنهه العقول ؟ ولِمَ نؤجل مقاصد لم تتم وتكمل ؟ . . . وان كان اكراه أغراضنا التعسة ( يضع مسدسه فوق جبينه ) لا يميز بين العاقل والاحمق . . . والجبان والمقدام . . . والكريم واللئيم ؟ الا أن في الطبيعة التي لا روح لها ولا حراك نظام وانسجام الهي . فلم فقدت هذه المزية الطبيعة الحية الناطقة ؟ . . . كلا بلا ! فان هناك شيء آخر لاني لم اكن سعيداً ناعم البال !

أتظنين أيتها الخيالات ممن قتلتهم ذبحاً اني اخاف منك وارتعد ؟ كلا ! فاني ما برحت رابط الجأش ( ثم تأخذه رعدة ) وان حشرجتك في الاحتضار المزعج ووجوهك المسودة من الاختناق . . . وجراحك الهائلة التي فغرت أفواهها ليست الا حلقات من سلسلة القضاء المبرم لا انفصام لها والتي ارتبطت بليالي أعيادي واهواء مرضعي ومؤدبي

ومزاج أبي ودم والدتى ( يقشعر من الفزع ) لم صنع مني ( بيريليوس ) ثوراً لتحترق الانسانية في احشائي ؟

(ثم يحشو مسدسه) زمن ودوام ارتبطا ببعضهما ! فيالمفتاح ممقوت أغلق ورائي سجن الحياة وفتح أمامي اقفال ابواب المقام في ليل فاحم دائم . . . خبرني الى اين تقودني ؟ ايتها الارض الاجنبية التي لم تطأها قدماي ! . . . ارايت الانسانية وهي رازحة تحت هذه الصورة ، ولولب الكمال وقد ارتخى بعد شده ، والخيال وشيطان الحواس الذي اطار امام سذاجتنا خيالات غريبة تسحر الانظار ! كلا فان الرجل لا يحتار ولا يرتبك في امره . فلتتم مشيئتك كما تريد لابعد غاية . . . وكفاني منك فضلاً ان ابقى اميناً مخلصاً لنفسي . . . فلتكن ارادتك وحبذا لو تفضلت وتركتني انتقل انا بذاتى من هذه الحياة . . . تدل ظواهر الانسان على بواطنه ... واني لنعيمي وجحيمي كيفما اردت وسولت لي امارتي بالسوء ان تركتني في ارض وقد استحالت قبوراً وانزلت عليها سخطك فلم ترد ان تبصرها فأمسيت ولا انيس لي فيها الا الظلام والوحدة ولا منظور الا القفار الموحشة الدائمة فاني اعمر هذه البيداء الصامتة بأماني ويكون لي مدى الابد ما يكفيني من الوقت لتحليل صورة البؤس الاجتماعى على مهل . . . ام تريد ان تقتادني الى الفناء بوجود بعد عدم متعاقب ومسارح متتالية للبؤس وحال بعد حال ؟ . . . الا استطيع ان اقطع حبال الحياة الآخرة كاقتداري على قطع الاولى بكل سهولة !

انك لقادر ان تسلبني كل شيء الا الحرية (ثم يحشو مسدسه ويتوقف بغتة) أأموت خوفاً من حياة حفت بالعذاب والمكاره؟ . . اترك المصائب تظفر بي وتنتصر علي؟... كلا ثم كلا! فسأقتحمها واصطلي نارها (ثم يرمي مسدسه) وان العذاب لأحقر من ان يتغلب على كبريائي وعزتي! اذ اريد ان اخوض غمار الحياة الى النهاية. غير هياب ولا وكلٍ علّي ابلغ الامل والغاية

---

**Henrich Heine**

## هنريش هين

ثالث شعراء الالمان ولد بمدينة (دوسيلدورف) سنة ١٧٩٩ من ابوين اسرائيليين وتوفي بباريس سنة ١٨٥٦

تنقسم حياة شاعرنا الى شطرين، الاول ينتهي سنة ١٨٣٠ ويظهر لنا انه انشأ يتحرر في كتاباته شيئاً فشيئاً باضطراد. وقد توظف في اول امره في مصرف عمه سالومون بمدينة هامبورج ثم عين مديراً لفرع منه وفي سنة ١٨٢٥ اعتنق الديانة البروستانتية واشتغل بالمحاماه بمدينة هامبورج

وقد سبق ان نشر سنة ١٨٢٢ مقتطفات من اشعاره الاولى فأوجد في المانيا نوعاً جديدا من النظم جمع بين التهكم والالم، وفي سنة ١٨٢٧ ظهر ديوانه المسمى (كتاب الاغاني) وقد دل على تخلصه من

آلامه الشخصية . ثم انصرف الى السياسة واصبح شاعر الثورة . وقد نشر سنة ١٨٢٦ اول جزء من كتابه ( ريزيبلدير ) وهو قطع يسرد فيها سياحات عجيبة وفيها يطعن في جميع اشكال الاستبداد ونفاق المجتمع الانساني . ثم اعقبه الجزء الثاني والثالث سنه ١٨٢٧ - ١٨٣٠ ظهر فيهما مظهر الخطيب الاجتماعي وكانا بمثابة نفحات جديدة لشعراء المانيا الفتاة

ولقد اغضب ( هين ) الشعب الالماني بحملاته الشديدة على الشاعر الالماني ( بلاتن ) واضطر الى الاقامة بباريس سنة ١٨٣١

ومن هذا العهد اقلع عن غروه السياسي ورجع الى الشعر وحاول ان يوفق بين فرنسا والمانيا ويصلح بينهما وكتب لهذا الغرض كتبه (فرنسا—لوتيس—المانيا ) فهاج ضده الراديكاليين والاشتراكيين وامراء المانيا ومنعوا تداول هذه الكتب

وقد آلمته متاعب جمة واقلقت باله من فقر ينتابه ومظالم واستبداد الملوك كما يدل كتابه ( جرمانيا ) الذي نشره سنة ١٨٤٤ وشكوك وغيرة تساوره ولم يعترف بها ( وغاية ماعرف عنه انه كان يعيش مع ماتيلد ميرات منذ سنة ١٨٣٥ ثم بنى عليها سنة ١٨٤١ )

وفي عام ١٨٤٥ اصاب مرض في النخاع الشوكي فاتلف صحته واضطر في سنة ١٨٤٨ أن يلازم فراشه بعد ما انشل جميع جسمه من هذا الداء فاصبح الشاعر الثوري شاعر نفسه وحياته الشخصية وما فيء يتغنى با آلامه وعذابه واماثيه .

قضى ثمانية اعوام وهو سطيح لاحراك له محتملا اقسى الآلام بصبر وجلد ولم ينل من عقله المرض اقل نيل واملي وهو مريض مشلول ارق وامتن ما نظم مثل ( رومانسيرو ) و ( لازار )

قيض الله لهذا البائس المسكين سيدة من مواطنيه تسمى ( مدام دوكرينتز ) وتعرف في فرنسا باسم ( كامي سلدن ) لتكون له سلوانا وعزاء وملطفة لآلامه فدبت في قلب هذا السطيح حرارة حب طاهر اخير انار فؤاده . ولقد اراحه الموت من آلامه ومتاعبه في السابع عشر من فبراير سنة ١٨٥٦ ودفن في مقبرة ( مونمارتر ) بباريس

امتاز هذا النابغة بنوع ابتكره من الشعر الفكاهي وسهل له التهكم الرقيق بان يدخل في الشعر جميع المناظر الظاهرة والمشكلات الباطنة للحياة العصرية دون ان ينزع شيئا من حوشيها ومبتذلها وكساها حلة شائقة من العواطف والاحساس وجميع بدائع الخيال

---

**Le Mer du Nord**

بحر الشمال

التتويج

هلم الي يا اغانيّ الشجية ! انهضي شاكية السلاح واعزفي بابواقك وارفعي لي على المجن هذه الكاعب الحسناء المتسيطرة على قلبي .

سلام ايتها الاميرة الفتية ! ساقتلع من الشمس التي تتلألأ هناك عسجدها الوهاج لاصنع منه اكليلا لجبينك الوضاح . وددت لو انزع

قطعة من خز السماء اللازوردي الذي يخفق تحت قبتها وقد انتثرت عليه الدراري متألقة كالماس في الظلماء لا عمل لك منها حلة شائقة لأيام الزينة .

وساقدم اليك من الاناشيد ارقها ومن المنظومات احسنها جاعلا رهن اشارتك عقلي ومزاحي وفكاهاتي طارحاً بنفسي على قدميك ايتها المليكة راكعاً على وساده من المخمل القانى، وامنحك بقية حجاي الذي تفضلت بتركها لي خليلتي الجليلة التي سبقتك في امتلاك قلبي

الشفق

جلست على شاطىء البحر مفكرا وحيدا وقد مالت الشمس ورمت اشعتها الحارة على صفحات الماء والجزر يقذف اللجج البيضاء العظيمة فتنطلق مزبدة مزمجرة فيسمع لتكسرها واصطدامها اصوات غريبة اشبه بهمس وصفير وضحك وخرير وانين وحشرجة تخالطها نغمات كالحان الامهات يلاطفن اولادهن في المهود

خيل الي اني اسمع قصص العصور الغابرة وخرافات الجن الشائقة التي كنت انصت اليها وانا صغير مع اطفال جيراننا ونحن صاغون الى المحدث، سكوت بقلوب متيقظة واعين فتحتها غرابة الحديث بينا الفتيات جالسات الى الكوى فوقنا بجانب آنية الازهار الشذية كأنهن ورود تبسم في سنا القمر

الشاطىء ليلا

ليل قارس احتجبت نجومه وبحر هائج جثمت عليه ريح الشمال

لا نظام لها كأنها شبح مبرطم يثرثر بصوت مبهم يخالطه انين وهو يقص خرافات العمالقة والخزعبلات ( الاسلاندية ) المفعمة بالمعارك ومجون الابطال ضاحك اثناء حديثه عازم بسحر ( ادّا ) وكانت اعماله هذه تصدر منه بطرب وحشي اغرق منه الصبيان في الضحك وجعلوا يقذفون ويصيحون جذلا

وفي هذه كان رجل متقدما في سيره على الشاطىء ماشيا على الرمال التي انحسر عنها البحر عند جزره وتركها مخضلة وكان قلبه اشد هياجا من الرياح والامواج . اينما سار اطارت قدماه شرراً وهشمت القواقع

كان مشتملا عباءة سمراء ساراً سيرا حثيثاً في هذا الظلام الدامس الذي هاجت رياحه متخذا دليله ضوءاً ضئيلا يلمع ارتاح اليه قلبه وازدان به كوخ الصائد في عزلته

امست فتاة الصائد بجمالها الفتان وحيدة في الكوخ وكان والدها واخوها يعملان في البحر وهي جالسة بجانب الموقد منصتة الى ازيز المرجل ذي النغم الغريب المبهم . طفقت ترمي الوقود في النار وتنفخ فيه فكان ضوء اللهب يسطع فوق محياها النضر ويظهر بياض كتفيها اللطيفتين وقد ضايقهما قميص خشن اسمر متزرة بازار قصير عقدته على وسطها يدها الجميلة

فتح الباب فجأة ودخل ذاك الرجل الساري وحدق الى كاعبنا الغيداء

فارتجفت امامه كزهرة زنبق هزتها الرياح . فرمى الرجل عباءته بجانبه وقال لها مبتسما

« ارايت بنيتي كيف وفيت بوعدي ورجعت اليك وعاد معي الزمان السالف الذي كانت فيه لا تترفع الالهة عن الهبوط من السماء على بنات الانسان ومن هذا الاختلاط نتج نسل هؤلاء الملوك اصحاب الصولجان والابطال الذين هم آية الاعجاب في الدنيا . فهوني عليك اذن ولا ترتاعي من ربوبيتي وتكرمي علي بغلي قليل من الشاي مع النبيذ — لان ريح الشمال كانت شديدة على الساحل ومن مثل هذه الليالي القارسة اصابنا نحن الالهة البرد ولحقتنا الرثية وسعال خالد »

داخل الكوخ اثناء الظلام

حوي اليم درره والسماء درراريها ولكن قلبي لم ينطو الا على الحب. البحر عظيم والسماء اعظم منه وفؤادي يفوقهما عظما واتساعا وهواي اجمل من اللآلىء واشد لمعانا من النجوم . قلبي باجمعه بين يديك ايتها الفتاة الجميلة . وان فؤادي والبحر والسماء تشاكل عليها الامر في حب واحد

***

ليتني ابلغ الزرقاء فالثم كواكبها لثمة حارة واسكب عليها وابل الدمع فان هذه النجوم لهي عينا حبيبتي التي تيمني هواها .وهي في تلألئها ترسل الي من السماء الف تحية طيبة

ارفع اكف الدعاء صوب السماء بل صوب عيني حبيبتي متضرعا مبتهلا : ايتها العينان الساحرتان والانوار الشائقة مني على روحي بنعيم مقيم واميتيني لاستحوذ عليك انت وسماؤك

***

امست الخضراء تساقط خلال الظلام شرراً متطايراً من نضار على روحي الذي افعمه الحب فكان يتفتح في الفضاء ليلقف ما ينزل عليه من السماء

اسكبي الدمع ايتها العيون السماوية فان جميع عبراتك في روحي علها تفيض بما حوته من دموع كواكبك المضيئة

***

كنت مضطجعاً مطمئنا في مخدعي بالسفينة تؤرجحني الاماني على نغم الامواج ناظراً من الكوة الى النجوم المتألقة بل عيني حبيبتي الدعجاويين الساهرتين لرعايتي

رايتني سعيدا بمداومة النظر الى السماء ساعات طويلة الى ان حجب ضباب كثيف ابيض هذه العيون العزيزة الحلوة

***

هاجت اللجج وانشأت تصادم جنب السفينة الذي اسندت برأسي اليه مفكراً متأملا فكانت تدوي متمتمة لي في اذني : « ايها المسكين

الاحمق ! ذراعك قصيرة والسماء بعيدة وقد ثبتت النجوم فيها تثبيتا متينا بمسامير من ذهب – آمال لا طائل منها ودعوات لا تجدي فاولى لك ان ترقد وتغنم المنام

***

رأيت في منامي اني في عراء قفر افترشه جليد ناصع وكنت مدفوناً تحته فهجمت هجعة الموت التي تثلج الجسم وكانت الدراري بل عينا حبيبتي الجميلتان تشاهدان رمسي من خلال السماء المعتمة وهي تلمع وتلألأ ظافرة ساكنة وقد شغلها الحب

السكون

هدأ اليم وارتسمت أشعة ذكاء على سطح الماء الفضي وقد خطت فيه السفينة خطوطاً من زمرد . وكان ربان السفينة نائماً على بطنه بجانب الخيزرانة وقد غط قليلا . وعلى مقربة من السارية الكبرى تربع غلام من الملاحين وبين يديه شرع يصلحها وهو ملوث بالقطران . وكانت حمرة خديه تنبعث خلال الاوساخ المتراكمة عليهما وهو بفم عريض يختلج من اضطراب اعصابه مردداً عينيه النجلاوين في انحاء السفينة وقد علته الكآبة والحزن . لان ( القبطان ) كان يظهر امامه كالعاصفة ويقسم بأنه سارق قائلا له : « لقد سرقت من الدن سمكة أيها الماكر المخادع »

سكن البحر وظهرت فوق اللجة سمكة صغيرة لتدفيء رأسها في الشمس وهي تلعب بالماء بذنبها فرحة متهللة فانقض عليها نورس من العلا فكانت ترتعد في فمه ثم ارتفع صافاً في الزرقاء.

في افق البحر

كنت مضطجعاً على جانب السفينة ناظراً الى العيون المفكرة وقد ارتسمت فوق الماء وهو في سكونه كمرآة الحسناء فأنعمت النظر في أطراف اليم فبصرت بأشبه بضباب كثيف خالطته حمرة الشفق ثم حققت رؤية الالوان شيئاً فشيئاً ولمحت القباب والابراج ثم طلعت الشمس ولاحت مدينة عظيمة قديمة هولاندية وقد ملئت حياة وحركة وكان جمع من الشيوخ مرتدين عباآت سوداء حاملين عضاباً طويلة تلابيبهم مجعدة بيضاء وبجيادهم قلائد الشرف الفاخرة متحلين بجواهر نفيسة نقشت عليها صور الملوك بصوالجتهم وسيوفهم وكانوا يتنزهون في العراء على مقربة من المجلس البلدي وعلى كثب من هذا المكان امام صف من منازل لمعت ألواح كواها الزجاجية تحت ظلال الزيزفون وقد شيدت على شكل هرمي جميل كان سرب من الحسان يمرحن مختالات في الحلل الديباجية بجمال فتان وقد اشرقت وجوههن كالبدور فوق ملابسهن السوداء وتدلى شعرهن العسجدي كاقراط من نضار

التفت حولهن شرذمة من الفوارس الذين احرزوا نصيباً وافراً من

من الفتوة والجمال لابسين ازياء اندلسية فطفقوا يسارقونهن النظرات ويستعطفون منهن المهجات

وكانت فئة من السيدات مشتملات عباآت سمراء وكل منهن ممسكة سبحة كبيرة وكتاب صلوات قاصدات الكنيسة وقد جذبهن صوت النواقيس ودوي ( الارج )

ومن هذه الاصوات البعيدة اعترتني قشعريرة خفية وتملكت مني قلباً لم يكد يفارقه الضنى أماني مبهمة وحزن مبرح . وخيل الي ان جراحي ضغطت عليها شفتان عزيزتان فمادت للانفجار وقطرت منها نقط الدم الحارة القانئة ببطء واحدة فواحدة في اليم ونزلت على بيت قديم في البلد القائم في قاع البحر ويظن انه خال من اهله وبه فتاة فتية جالسة الى كوة ومسندة برأسها الى ذراعها — اعرفك ايتها الكاعب التي يرثي لها ! انت قصية في اعماق البحر وقد حجبتك عني نوبة غضب صبياني فلم تستطيعي الصعود ولبثت غريبة بين غرباء مدة قرن من الزمن بينا نفسي تقاسمها الاشجان والاتراح . ما برحت ابحث عنك في جميع اقطار الارض وانت دوماً المحبوبة المعززة من القدم

يامن وجدتك اخيراً ونظرت وجهك الجميل وعينيك اللتين يتوقد فيهما الذكاء وابتسامك الذي يخجل وميض البروق — لا افارقك عوض وقد جئتك باسطا اليك ذراعي لارتمي على فؤادك

لم أشعر الا وربان السفينة ممسك برجلي فاقتادني الى ظهر الفلك

قائلا لي بصوت الحزين الأسف : (عجباً لك ! هل استحوذ عليك الشيطان ؟)

التطهير

« قفي مكانك في اعماق الدأماء يا أضغاث الاحلام التي طالما آلمت فؤادي ليلا بسعادة كاذبة . وجئت انت ايها الطيف البحرى لتعذبنى في رائعة النهار . — فابق مقرك تحت اللجج طول الابد وسألفظ اليك آلامي وآثامي وقلنسوة الجنون التي كثر ما رنت جلاجلها حول رأسي والمداهنة التي هي أشبه بجلد ثعبان لين التف زمناً طويلاً على نفسى المريضة التى جدفت على الله والملائكة فأصبحت ملعونة من أصحاب السعير »

— هلموا أيها الملاحون : قد هبت الريح فانشروا الشرع فانها تخفق وتنتفخ على مرآة الماء الساكن المحفوف بالاخطار

هنالك تحركت السفينة وتخلصت النفس من أسر همومها واشجانها وصاحت صيحة الطرب والبشر

الدعة

ارتفعت الغزالة في ذروة الزرقاء وقد اقترب منها المزن والبحر سائد عليه السكون وكنت مضطجعا قرب سكان السفينة غارقاً في بحار الاماني والآمال وأنا بين اليقظة والنوم فرأيت عيسى منجي العالم مرتدياً ثوباً

ناصعاً فضفاضاً بقامة متناهية في الطول سائراً على الماء واليابسة ورأسه يناطح السماء مباركاً على الارض والبحر بذراعيه المبسوطتين حاملا الشمس الوهاجة كما يحمل صدره قلبه . وهذا القلب الملتهب الساطع بنوره هو مهد الحب والضياء الذي ينشر أشعته وضوءه على البر والبحر

جذبت أصوات النواقيس التي كانت تدق هنا وهناك سفينتنا كالبجع اللاعب في الماء فسارت نحو شاطىء كسته الخضرة من حللها السندسية ثوباً قشيباً وبه خلق يعمرون مدينة بهيجة . فما أعجب الدعة والسكون اذ المدينة هادئة مطمئنة ! وكنت تسمع دوي الناس ولغطهم في أشغالهم الحقيرة وضجة الآلات في المصانع فما لبثت الاصوات ان همست فسكتت

وكان رجال لابسون أثواباً بيضاء وحاملون بأيديهم جريداً يتنزهون خلال الطرق المنيرة الجميلة وحينما يتقابل اثنان ينظران بعضهما بطرف يشف عن الذكاء فتأخذهما هزة حب يخالطها تذاكر جميل فيلثمان جبين بعضهما ثم يوجهان ناظريهما نحو قلب ( المنجي ) المنير وهذا القلب هو الشمس التي تصب الارجوان من دمها المصلح على الدنيا ثم يقول الرجلان ثلاثاً وقد تغلب عليهما هيام النعيم المقيم : بوركت يا عيسى !

تحية الصباح

سلام ايها الخضم الخالد ! الف تحية من فؤاد مستبشر كما حيتك

آلاف من قلوب المنكودين من الروم في غابر الزمن بعدما كبا بهم الجد في ميدان الوغى فخلد لهم التاريخ ذكراً جميلاً

هاجت الامواج وزمجرت ونشرت الشمس أشعتها العسجدية وقد نفرت أسراب النوارس صارخة صراخ الفزع وضربت الخيل الارض بأرجلها ورنت التروس حينما اصطكت ببعضها رنة مطربة كما صاح ابناء الروم بصوت اشبه بلحن الظفر قائلين الى ملكة اللجج : البحر . البحر !

أحييك ايها البحر الدائم ! اجد في دوي امواجك صدى الوطن واخال ان احلام طفولتي تبرق تحت لججك وتعاودني الذكرى القديمة للعبي العزيزة وهدايا عيد الميلاد الباهرة والمرجان الاحمر والدرر والاصداف الذهبية التي تحفظها طي الخفاء في صناديقك البلورية

طالما تأوهت مما لحقني من السأم من المواطن الاجنبية . وان قلبي ليجف في صدري كما تذبل الزهرة التي يحفظها النباتي في حقة من الصفيح ويخيل الي اني جالس كدنف في غرفة معتمة غير صحية والآن وقد تركتها ورأيت خضرة الربيع التى ايقظتها اشعة الشمس وازدهت امام ناظري الذاهلين واسمع الانين الرقيق للاشجار التي افترشتها وعطرتها الثلوج بشذاها والازهار ترمقني بعيون عطرة مفوفة والجو يقصف ويبكي بدمعه الوابل والنسيم يبسم والطيور تغرد في الخضراء قائلة : البحر ! البحر !

يا لقلب مقدام اشتهرت بهربك كابطال الهزيمة الكبرى ! طالما اتعبك جمال بدوي الشمال الباهر

رمتني عيونهم النجلاء بسهام مشتعلة وصدعوا فؤادي بكلامهم القاطع ذي الحدين واضاعوا نهاي برسائلهم الطويلة القاضية . ولم تغن عني المجان في الدفاع اذ صفرت السهام وهي طائرة ! ورنت التروس من وقعها وانتهى جمال بدوي الشمال بأن دفعني الى الوراء حتى بلغت شاطىء البحر فاستنشقت نسيم الحرية . فسلام ايها اليم . سلام ايها البار المحرر

الغرق

خاب ظني في الحب والامل واراني كجثة لفظها البحر بازدراء وانا ممتد هناك على رمال العراء وقد انبسط الماء امامي كصحراء مترامية الأرجاء وما ورائى الا المنفى والآلام وفوق راسي السحب السارية السمراء بنات الهواء اللاتي لا شكل لهن . تغترف الماء من اليم بدلاء الضباب ثم تجر اثقاله بنصب فما تلبث ان تصبه في البحر كما كان . فيا له من شاغل محزن ممل لا طائل منه كحياتي

أمواج زاخرة ونوارس صارخة وذكرى قديمة تتغلب علي وأرى أماني منسية وصوراً لا تكاد تحققها الذاكرة تعاودني حزينة حلوة

ان في الشمال غادة ازدانت بمحاسنها الخلابة وقامتها الهيفاء مجللة بثوب ناصع جميل وقد تدلت حلقات شعرها الفاحم كليلة هنيئة من

رأسها المتوج بغدائرها المفرغة حول وجهها الازهر المؤثر الذي تسطع به عينها الشبيهة بشمس سوداء

طالما صببت عليّ أيتها الشمس السوداء لهب جمالك المفترس فثملت من هذا الرحيق وكدت أقع من نشوته !

ما لبس ان رفرف ابتسام حلو كابتسام الاطفال حول شفتين لواهما الاعجاب والخيلاء وتضوعت منهما كلمات تزري رقتها بسنا البدر ليلة تمه ورياها بعرف الورد فطارت نفسي حتى بلغت عنان السماء وحلقت طربة متهللة

صه أيتها الامواج والنوارس والهناءة والامل والحب ! قد قضي علي كل شيء وانا ممتد على الارض كغريق بائس اضغط بوجهي المحترق على رمل الشاطىء المخضل

سؤال

وقف شاب على شاطىء اليم المقفر في الليل الحالك وقد امتلأ صدره شكاً وريباً قائلا للجج بكآبة وحزن : « فسري لي معميات الحياة وأسرارها الاليمة الغابرة التي عذبت رؤوسا كثيرة : اذ لم تترك منها متوجة بأكاليل الفراعنة ولا معممة على القلانس المربعة ولا مزينة بالشعر المستعار ولا الوفا غيرها من المساكين الذين يرثى لهم

حدثيني ما معنى الانسان ؟ ومن اين جاء ؟ واين يذهب ؟ومن المقيم في العلا فوق النجوم الذهبية ؟

الامواج تخر بخريرها الدائم والريح تهب والسحب تهرب والدراري تتلألأ ساكنة خالية البال — ورجل معتوه ينتظر لسؤاله جواباً »

خاتمة

تنمو فكر الانسان وتموج في عقله كسنابل البر في حقلها وأما فكر الشاعر الرائقة فهي كزهر احمر وازرق تفتح كما يهوى بين هاتيك السنابل

أيتها الازهار الحمراء والزرقاء ! يطرحك الحصاد الاحمق كأنك عديمة الفائدة . ويسحقك باحتقار الفلاحون غلاظ القلوب وهم مسلحون بمناجلهم . حتى ان المتنزه الذي تبتهجين وتتهلين لمرآه يعاملك كالاعشاب الخبيثة . والفتاة القروية وحدها التي تضفر اكاليل الازهار تجلك ايها النوار وتقطفك لتزين بك شعرها وحينما تتم زينتها تهرول الى المرقص الذي تعزف فيه الابواق والكنارات ان لم تتسرب الى ظل الزيزفون الذي ملىء أسراراً خفية وفيه يرن صوت الحبيب بنغم يقع في أذنيها أعذب وأشهى من الابواق والكنارات

Torquato Tasso

# توركواتو تاسو

نابغة من كبار شعراء ايطاليا وهو ابن ( برناردو تاسو ) الشاعر المعروف ، ولد بمدينة ( سورنت ) سنة ١٥٤٤ وتوفي برومية سنة ١٥٩٥

وقد تلقى اللاهوت والفلسفة والقوانين بجامعة ( پادو ) وذاعت شهرته وهو غلام في ربيعة السابع عشر حينما نشر قصيدته ( رينو ) اذ نالت الاستحسان والاعجاب في جميع انحاء ايطاليا

وفي عام ١٥٥٦ دعي الى بلاط ( الدوق دوفيرار الفونس الثاني ) وعين سميراً لاخي الدوق ( الكاردينال لوي ديست ) واصطحبه الى فرنسا سنة ١٥٧١ فأحسن وفادته شارل التاسع ملك فرنسا

وبعد قليل من الزمن غضب عليه الكردينال وغادر ( تاسو ) ايطاليا . ولما رجع الى ايطاليا قوبل مقابلة حسنة في البلاط وعادت اليه مكانته الاولى وانشأ ينظم ( تحرير بيت المقدس ) وكان نظم منها بعض صفحات قبل مغادرته ايطاليا . واتم رواية ( امنت ) سنة ١٥٧٢ وهي من نوع الكوميديا الخلوية وتعد لغاية عصرنا هذا نموذج نوعها وبها يؤرخون عصراً في الادبيات الايطالية . وهي متينة الانشاء تسيل رقة ورشاقة ولم يستطع أحد من الكتاب أن يأتي بمثالها

أحب شاعرنا ( ليونورا ) أخت الدوق وأحبته وفوجىء معها فطرده

الدوق ثم فوجئ مرة أخرى فأعتقله في البيمارستان . ولقد أغضب الدوق مراراً عديدة وعفا عنه وكان يختفي ثم يظهر بعد مدة . وفي احدى المرات أقبل ليلة زفاف الدوق بزوجته الثانية ( ماري دوجونزاج ) سنة ١٥٧٩ بعد غيبة طويلة فلم يحفل به أحد ولم يرد الدوق انه يراه فاستشاط غضباً وسب ولي نعمته فأمر باعتقاله في مستشفى ( سانت آن ) وقاسى آلام السجن سبع سنين ولم يفرج عنه الا في سنة ١٥٨٦

قضى هذا البائس بقية عمره ضالا من مدينة لاخرى يجالد الفقر ويصارع الهموم الى ان جلس ( الكاردينال الدوبرنديني على عرش البابوية وسمي ( كليمان الثامن ) فأراد أن ينعش في نفس هذا المسكين عاطفة الرغبة في الحياة والمجد بأنه يتوجه مثل ( بترارك ) في ( الكابيتول ) وأخذ يعد معدات احتفال فخم ولكن حالت المنية بينه وبين التتويج ومات مكلوم الفؤاد

وصفوة مؤلفاته ( تحرير بيت المقدس ) و ( امنت ) وقد كتب شيئاً كثيراً من الشعر والرسائل والنقد وله خطب فلسفية ومأساة شهيرة بليغة تسمى ( توريسموندو )

وقد ذكرنا في ترجمة ( جوت ) انه وضع رواية تمثيلية لهذا الشاعر وسماها باسمه وحازت شهرة عظيمة سرد فيها حوادث غرامه بأخت الدوق وما انتابه من البؤس

# أمنت

رواية تمثيلية ذات خمسة فصول

## الاشخاص

| | | | |
|---|---|---|---|
| أمور | اله الحب فى زي راع | ستير | محب لسيلفيا |
| امنت | عاشق سيلفيا | نبرين | رسول من الحور |
| سيلفيا | من حور ديان ربة الصيد | ابرجاست | رسول |
| دفنيه | صديقة سيلفيا | ايلبان | راع |
| تيرسيس | صديق امنت | منشدون من الرعاة | |

## تمهيـــــد

أمور

من يخال ان في هذه الاشكال الآدمية وأزياء الرعاء رباً متوارياً ؟ وما هو من آلهة الحقول ولا من أرباب السموات ولكنه وحده قدير قوي دون غيره من الخالدين . طالما أوقع من يد ( مارس ) حسامه الدامي وترع من ( نبتون ) صوبجانه العظيم ذا الشعب الثلاث الذي يزعزع به الدنيا ومن ( جوبيتير ) رب الارباب صواعقه الدائمة

ولا ريب ان ( الزهرة ) لا تعرف بسهولة ( أمور ) ابنها وهو مرتد

هذا اللباس . واني لمضطر ان أهرب من والدتي وأختبيء بعيداً عنها لانها تود ان تتصرف فيّ وفي سهامي كما تريد وتهوى

وهذه المرأة الحقيرة ذات المطمع الاشعبي تدخلني في القصور بين الصوالجـة والتيجان وتبغي ان أعمل هناك بكل ما أستطيعـه من حول وقوة ولا تريد ان اسمح الا لأتباعي من وزرائي او أصغر اخوتي بسكنى الغاب لتجربة أسلحتهم في قلوب القرويين . لست بطفل (ولو ان وجهي وفعالي يشبهانه ) وأريد ان اكون مطلق الحرية والتصرف . وقد عهدت الي الاقدار وحدي لا الى ( الزهرة ) المشعل القدير والقوس الذهبيـة . وفي أغلب الاحيان كنت أفر واختفي عنها لا رهبة من سلطتها ( اذ لا سلطة لها عليّ ) بل من رجاء عظيم مؤثر صادر من فم أم مضايقة وكنت ألجأ الى الغابات والاكواخ فكانت تقتفي مني الاثر واعدة من يخونني وينم على مخبئي بأحلى القبل او بشيء اشهى منها كأنني لا استطيع ان أكافيء من يلتزم الصمت او يواريني عن العيـون بقبل منعشة او شيء آخر احلى منهـا . وان كنت انا ( امور ) من اعرف درجتي في الحب وواثق بها فاني اعلم على الاقل دون شك ان قبلي عزيزة عند الكواعب الحسان . وكثيراً ما بحثت عني ( الزهرة ) وذهب سعيها ادراج الرياح ! اذ ما من احد يريد ان يخونني وكل منهم يلتزم السكوت . وقد تجردت من جناحي وجعبتي وقوسي لزيادة الخفاء ولئلا تستطيع ان تعرفني وأنا عاطل من خصائصي . ومع هذا فاني لا آتي الى هذه المواطن بغير سلاح

وهذه التي تظنون انها هراوة وما هي الا مشعل (حولته الى هذا الشكل) وما فتيء مستعراً بنار لا تغلب. وهذه الحربة وان لم يك سنانها من نضار فانها سقيت بماء مقدس فلا تصيب مكاناً الا وتودعه الحب. واريد ان اجرح بهذا السلاح جرحاً بالغاً لا ينجع فيه علاج في قلب قاس كأنه الصخر تحمله حوراء لم ير اجمل منها في موكب (ديان) وسيعادل جرح (سيلفيا) (وهو اسم هذه الحوراء الغليظة القلب) الجرح الذي أحدثته انا نفسي بفؤاد (امنت) الرقيق. ومنذ عدة سنين كانا يذهبان في سن الطفولة الى الصيد معاً ويتقاسمان انواع السرور. وسأنتظر ريثما تلين الشفقة والحنان هذه الصفاة الصماء من كأنها قدت من ثلج ومن تكاثفت القسوة والشدة والزهو حول فؤادها لتغوص طعنتي الى غور اعمق. وسأصوب اليها سهمي حينما يأخذ منها الحنو كل مأخذ: واريد ان اختلط بالرعاء حينما يأتون فرحين مكللين الى هذه الاماكن ليقضوا ايام اعيادهم في اللهو واللعب وسأظهر بأنني فرد من زمرتهم وارمي كما قدمت رمية لن تستطيع ان تراها عين فانية. وستسمع هذه الادغال في هذا اليوم الناس وهم يتكلمون عن الهوى بأسلوب جديد وسيعلمون حق العلم ان ربوبيتي تهيمن هنا بنفسها لا بواسطة وزرائها. وسأنفح قلوب القرويين بعواطف شريفة وألطف لهجتهم لانني انا (امور) حيثما وجدت سواء كنت بين الرعاة أو بين الملوك اذا ساوى بين اتباعي كيفما اردت. وهذا على الاخص مجدى العظيم ومعجزة قدرتي ان صيرت

مزامير الرعاء اشبه بكنارات امهر الموسيقيين وان جهلت ذاك امي التى تتميز غيظاً ان رأتني وسط الدحال . وما انا بأعمى بل هي العمياء ولو ان الجاهل العامي يلصق بي هذ العيب خطأ وبغير حق

**الفصل الاول**

المنظر الاول

دفنيه — سيلفيا

أتريدين يا ( سيلفيا ) ان تقضي عامة صباك قصية عن ملذات الحب ؟ الا يجب عليك ان تشنفي سمعك باسم الام اللطيف المحبوب ؟ ألا ترين أبداً صغاراً يلعبون حولك فرحين متهللين ؟ ناشدتك الخالق ان تغيري هذه العواطف أيتها الحمقاء

سيلفيا

فليتتبع غيري ملذات الهوى ( ان كان فيه ملذة ) أما أنا فاحب ان أعيش على هذا المنوال . ولذتي ان أعتني بالقوس والسهام وأطارد الوحوش وأصرع ما الاقيه منها . ولا أخشى ان يفوتني السرور والهناءة ما دامت النبال متوافرة في كنائني والدحال حافلة بالوحوش

دفنيه

حقاً انها المسرات وعيشة تافهة لا معنى لها ؛ وان هذا الذي تبتهجين

منه فانه يدل دلالة واضحة على انك لا تشعرين بشيء سواه. كان السلف الاول على هذا النمط حينما كانت الدنيا غارقة في سذاجة طفولتها يظن ان الماء الذ شراب وثمر البلوط اشهى طعام. ولكننا اصبحنا اليوم نتخذ من البر غذاء ومن الاعناب شرابا وأضحى الماء وثمر البلوط خصيصاً بالحيوان. ولا ريب انك لو ذقت مرة واحدة ذرة من الملذات التي يذوقها قلب محب محبوب لقلت متندمة آنة متأوهة: «لقد ضاع عمر لم أتمتع فيه بالحب يا لصبا مر مر السحاب». فكم من ليال أرامل وأيام منفردة افنيتها بلا طائل وكان يتيسر لي ان اقضيها في هذه المسرات التي ما تجددت الا كانت الذ واشهى؟» فغيري اذن عواطفك هذه ايتها الخرقاء فان التوبة لا تنفع ان فات الوقت

سيلفيا

حينما أقول نادمة متأوهة الكلم الذي نفحك به الخيال وزينه هواك لا تلبث الغدران ان تعود الى منابعها والذئاب تهرب من الحملان والكلاب السلوقية تبتعد عن الارانب الوحشية وتحب الدببة البحر والدلافين الاطواد

دفنيه

اني لاعرف خشونة الصبا وتوحشه وكنت نظيرتك الان مشبهة لك في القامة والوجه والشعر العسجدي والفم القرمزي ويتلألأ فوق خدي ورد اقترن بالعاج. وكانت اقصى اماني في السعادة (ولا اراه

الآن الا سعادة عمياء ) ان امد الشباك وانصب اعواد الدبق واشحذ حرابي على الصخر وارقب آثار الوحش ومكامنه . وكنت حينما يشيعني محب بنظر ملؤه الشره اغض طرفي بفظاظة وخشونة ويعتريني الخجل واحسب انني محتقرة من الجميع . كانت محاسني ممقوتة وصرت استقبح نفسي اكثر مما يستحسنني الناس كانى مجرمة مهينة وكأن هذه الانظار ورغبات الحب ما وجهت الي الا لهتكي وافتضاحي . فأي تغير وتحول لم تعمل فيه يد الدهر القلب والمحب الامين يذلل الصعاب بعنايته وتوسلاته والحاحه . وقد قهرت كما اعترفت لك وكان سلاح القاهر آلامه وعبراته وتأوهاته التى كانت تستمطر الرحمة . ولولا ظلمة ليلة قصيرة لما اكتشفت ما حجبه عني ضوء النهار

فصوبت الى نفسى سهام التقريع لسذاجتى العمياء وقلت متأوهة : « هاك يا ( ديان ) بوقك وقوسك وانى ارفض ان اجاريك في اعمالك ومعيشتك ) هذا وانى آمل ان يذلل (امنت) من صلابتك ويكسر من شرتك ويلين قلبك الحديد . فهلا كان ذلك لانه ليس بجميل اوانه لا يحبك ؟ هل هو دونك حسبا ؟ وان كنت ابنة ( سيديب ) من هو ابن رب هذا النهر الشريف فانه ولد ( سيلفان ) ابن ( پان ) اكبر آلهة الرعاة ان ( اماريلليس ) البيضاء لا تقل عنك جمالا ( ان كنت رأيت نفسك في مرآة العيون الرائقة ( وكان يفضل ان يحتقر مضايقتها اللطيفة الحلوة ليتألم من ازدرائك المر . افرضي ( وارجو ان لا يحقق القادر هذا

الفرض ) انه اخذ منه الغيظ كل مأخذ وحنق عليك فسولت له نفسه اخيراً ان يرضي من شغفت به حباً فما قولك اذن ؟ وبأي عين ترينه وهو بين ذراعي غيرك يسبك بضحكه وازدرائه

سيلفيا

فليتصرف ( امنت ) بنفسه وغرامه كما يريد ويختار فاني لا اهتم به ولا افكر فيه وليكن حبيب غيري وفضل منه ان تجنبني وكيف يكون لي ان كنت لا اريد ان اكون له ولو وهب نفسه لي لما ملكته نفسي

دفنيه — من اين جاءك هذ الحقد ؟

سيلفيا — من ولعه بي

دفنيه — يالك من فتاة قاسية والدها شفوق رحيم ؟ ولكن النمور لا تولد اصدقاء للنعاج الوديعة ولا الغربان اوفياء للبجع ؟ اتخدعينني ام تغرين نفسك

سيلفيا — اني امقت حبه الذي يهين فضيلتي وكنت احبه حينما كانت رغائبه وفق ميولي

دفنيه — اذن تريدين له الشقاء والبؤس مع انه لايود لك الا ما يحب لنفسه

سيلفيا — صه وكفى . فتكلمي عن شيء آخر ان كنت تريدين ان اجيبك

دفنيه — ما اغرب اخلاقك ايتها الفتاة المستكبرة المتغطرسة ! ليت شعري هل تقابلين بالمثل حب شخص آخر

سيلفيا — أجل اقابل بالمثل كل من سوات له نفسه ان ينصب اشراكه لطهارتي وبراءتي وكل مغو مخادع تسمينه محباً واسميه عدواً

دفنيه

اتظنين اذن ان العداء مستحكم بين الكبش ونعجته والثور وبقرته والهديل وحمامته ؟ اترين ان الربيع الجميل فصل حقد وحنق وهو الباسم المستبشر الذي يدعو الحيوان والرجال والنساء والعالم اجمع الى الحب ؟ اما تشاهدين الآن ان جميع الاشياء قد فتنت بحب ملىء فرحاً وقوة ؟ انظري كيف يقبل هذه الورقاء الفها ويسجع لها بشجو وحنان . انصتي الى هذا البلبل وهو يغرد متنقلا من فنن الى فنن صادحاً : أحب واهوى انك لا تجهلين الآن ان الافعى تلفظ سمها وتعدو والشره رائدها الى رغائبها والنمر والاسد الهائل يحترقان بنار الهوى وانت وحدك اشد من الحيوان كبراً وعتواً فلا يلين فؤادك له ولا يرحمه ؟ فما قولك اذن في العواطف التي تشعر بها الاسود والنمور والافاعي ؟ وان الشجر لا يقل حباً من غيره اذ يمكنك ان تشاهدي كيف يقترن بتهافت وتعاقد الكرم بالدردار والتنوب بالتنوب والصنوبر بالصنوبر والخلاف بلسان العصفور ويحترق الزان ويتأوه بعضه لبعض حتي ان هذا البلوط الذي يخيل الينا انه صلب وحشي ليشعر بتأثر الحب . ولو كان عندك شيء من عواطف

الهوى فهمت تأوهاته الصامتة . اتريدين اذن ان تكونى اقل احساساً من النبات ؟ فغيري هذا الشعور ايتها المجنونة

سيلفيا

سمعاً وطاعة وحينما اسمع انين الدوح اسلم بالحب واعنو له

دفنيه

انك تسخرين من نصائحي الرشيدة وتقلبين معاني براهيني ايتها الفتاة التي لا تقل صمما عن العمى في الحب وستندمين يوماً ما على انك لم تتبعيها . ولن اذكرك الا حينما تنفرين من العيون التي تنظرين نفسك فيها الآن معجبة بملاحتك مستنكرة دمامة وتجعدا يرميك بهما الدهر . وهذا ما سيحل بك ولو انه مصاب عظيم لكنه عميم لا ينجو منه احد . الا تذكرين ما قصه ( ايلبان ) الحكيم في ذاك اليوم على ( ليكوريس ) الحسناء من فتنت (ايلبان) بسحر عينيها فاصبح لها سلطان عليه واسعدته بهذه الاغانى البليغة التى نظمها في الغالب لاجلها ولو كان (امور) عادلا لاثرت فيها اغانيه ؟ وقد حدث ( ايلبان ) في حضرة ( بتوس وترسيس ) وهما صاحبا المعجزات في الحب حينما كانوا بكهف ربة الفجر الذي يقرأ على بابه : « بعدا بعدا عن هذا المكان ايها الدنيويون » وقد روى عن الشاعر العظيم الذي ترنم بتمجيد السلاح والحب واوصى له بمزماره عند موته ان بالجحيم كهفاً اسود يخرج منه دخان منتن صاعد من ظلمات

تنانير السعير وفيها تخلد في عذاب مستمر وعبرات دائمة النساء ناكرات الجميل قاسيات القلوب . اتنتظرين ان يعد لك هناك مقام لغلظتك . ولا ريب ان ذاك الدخان سيفجر من مقلتيك ينابيع الدمع الذي لم يسله قط شعورك . فهل انت اذن مصرة على اخلاقك ايتها العنيدة العتيدة

سيلفيا — ولكن ما الذي عملته وقتئذ (ليكوريس) وبماذا اجابت ؟

دفنيه

انك لاتهتمين بشؤونك وتتطلعين الى شؤون الغير ؟ اجابته عيناها

سيلفيا — وكيف تجيب العيون ؟

دفنيه

وجهت ناظريها الى ( ايلبان ) فأجابته عيناها وهي مبتسمة متهللة : « أنا وفؤادي لك وحدك فلا تطمع في المزيد فانها لا تستطيع ان تهبك اكثر من هذا » وان ذاك المحب العفيف ليقنع ويرضى بهذا الجزاء ان ظن ان عينيها صادقتان واستوثق منهما

سيلفيا — ولم لا يثق بهما ؟

دفنيه

أتجهلين ماكتبه ( تيرسيس ) عنهما حينما ضل في الغاب وقد أحرقه الهوى وكاد يذهب بنهاه فأثار الضحك والرحمة في آن واحد بين الحور والرعاء ؟ ولكن قصائده لم تكن صادقة كخلقه بل كانت خليقة

بالازدراء والسخرية وقد نقش على الاشجار هذه الابيات التي نمت معها وقرأتها على احداها : « ماذا يفيدني أن أعرف فيك المكر والتصنع ان منعني الحب عن تجنبهما أيتها العينان الخادعتان الخائنتان اللتان هما مرآة الفؤاد ؟ »

سيلفيا

لقد أضعت وقتي هنا في الحديث ناسية ان اليوم يوم صيد في حرجة البلوط فانتظريني ان أردت ريثما استحم في العين المعتادة : فقد تصببت البارحة عرقاً وتجللت بالغبار من مطاردة ظبي سريع العدو و انتهى الامر بأن لحقته وقتلته

دفنيه

سأنتظر وربما استحممت أنا أيضاً ولكن الوقت لم يأزف بعد كما كما يخيل اليك . وأريد ان أعرج على كوخي اولا فانتظريني في ذراك ريثما ارجع لاصطحبك وفكري على كل حال فيما يهمك اكثر من الينابيع والصيد . وان كنت لا تدركينه فاعترفي بجهلك وثقي بمن يعلمونه

## المنظر الثاني

امنت — تيرسيس

امنت

رأيت الصخر والماء يجيبان شكواي شفقة وحناناً ووجدت اوراق الاشجار تتأوه لعبراتي ولكني لم انظر رحمة ولن أؤملها من هذا الجمال القاسي

الذى احار في تسميته أفتاة هي ام نمرة ولكنها تأبى اسم النساء حيث ترفض ان ترق وترحم من رثت لحاله الجمادات ولم تضن عليه بالعطف والحنان

تيرسيس — يقرض الحمل اضغاث الكلأ ويفترس الذئب الحمل ولكن ( امور ) القاسي يقتات بالدمع ولا يظهر عليه شبع

أمنت

ويل لي فقد ارتوى ( امور ) من دمعي ولكنه ما في ظمآن الى دمي وعسى ان يقر هذ الدم ( امور ) وتلك الجافية

تيرسيس — وا اسفاه ! ماذا تقول ؟ هل اصابك ذهول ! عد الى رشدك فانك واجد غيرها ان احتقرتك هذه

امنت — وا حسرتاه ! كيف اجد غيرها ان كنت لا أجدني ؟ واي شيء يروق في عيني ان ضاع مني الفؤاد ؟

تيرسيس — ايها البائس ! ارع الامل تظفر بها . والدهر يعلم الانسان كيف يشد وثاق اسود ( هرقانية ) ونمورها

امنت — ولكن التعساء الاشقياء لا يستطيعون ان يجالدوا المنون زمناً طويلاً

تيرسيس

سيكون امد الجلاد قصيراً ولا تلبث المرأة ان تسكن وتهدأ بعد

اضطرابها وهياجها اذ هي بطبيعتها اشد اضطراباً من القصب والسنابل ظفرت بها الريح ولكنني اتوسل اليك ان تدعني أقرأ ما خط بأعماق قلبك من الآلام والحب . ولو انك كثيرا ما بحت لي بهواك ولكنك كتمت عني اسم من تهوى . قسما بالصداقة والوفاء وغيرتنا المتبادلة على ( الموز ) انني لخير من تستودعه سراً تكتمه عن غيرى

امنت

قد رضيت ان اطلعك على ما تعلمه الغاب والاطواد والانهار وما يجهله الناس وحدهم . قد اقتربت مني المنية ويلزمني ان امكن احداً من كشف سبب موتي وينقشه على لحاء شجرة زان لا تبعد عن رمس دفنت فيه جثتي ليتسنى لغليظة القلب وهي مارة ان تبتهج بدوس رفاتي التعسة بأقدام قوية قائلة : « ها كم انتصاري » وتتهلل ان رأت يوماً ظفرها معلوماً عند جميع الرعاة والراحلين الذين تقودهم المصادفات الى هذا المكان . ولعلها يوماً ما ( ولكني أؤمل المستحيلات ) تتحرك منها عاطفة حنان فات اوانه وتبكي من اودت بحياته قائلة : « ليته كان حياً وبقي لي محباً » اصغ لي جيداً

تيرسيس — تمم حديثك فاني مصغ واظنك لم تفكر لغرض آخر

امنت

كنت في نعومة اظفاري لا تبلغ يدي الصغيرة افنان الشجر المنحنية

تحت ثمارها فأصبحت احب الناس الى اجمل العذارى التي لم تطو شعرها قط عند ماتعبث به الريح اتعرف ابنة (سيد يب وموتنان) ذات القطعان العديدة (سلفيا) من هي نخر الغاب ومعبود النفوس ؛ وهى من تكلمت عنها . فواحسرتاه حينما تعاودني الذكرى ؛ اذ عشت معها زمناً قصيراً كان فيه الحمام يحسدنا على ألفتنا وكنا قريبي المساكن متحدي الاعمار والافكار أمد معها الشباك للاسماك والطيور ونطارد سوياً الايائل والظباء ونتقاسم الصيد والمسرات . وبينا ارمي الحيوانات لا أشعر الا وقد اصبت ولا أعلم كيف كان ذلك ثم زاد شيئاً فشيئاً في فؤادي ولا ادري من اي بذر فكان كعشب نبت وحده وشعرت بعاطفة لا اعلم كنهها تضطرني دوماً ان اكون بجانب سيلفيا فاغترفت من عينيها لطفاً غريباً وحلاوة انتهت بأن أعقبت مرارة لا أعرف ان أصفها . وكنت في أغلب الاحيان أتأوه جاهلا السبب وعلى هذا المنوال اصبحت عاشقاً قبل ان أعرف الحب الى ان علمته أخيراً وشعرت بوطأته فاصغ ولاحظ كيف تسرب الي وبأي طريقة

ترسيس — ان هذا لجدير بان يدون

امنت

وفي ذات يوم كانت ( سيلفياوفيلس ) جالستين فى ظل شجرة زان مورقة فمرت علينا نحلة ذاهبة الى المروج الزاهرة لترتشف رحيق نورها وحطت على خد ( فيليس ) المزري بالورد ولسعتها عدة مرات اذ غرها

فرط الشبه بين الخد والزهر . فتأوهت الفتاة من ألم اللسعة وبكت . ولـكن (سيلفيا) الحسناء قالت لها : صه صه وكفكفي الدمع وسأشفيك باقوال ساحرة من ألم الجرح الخفيف . وقد تعلمت هذا السحر من (ارتنزيا) الجميلة ومنحتها في مقابلة بوقا من العاج مابسا بالعسجد — وبينما هي تتكلم اذ قربت شفتيها الفتانتين الى الخد الملسوع وتمتمت ببعض ابيات لا اعلمها . فيالهذا التأثير العجيب ! اذ سكن الألم فجأة ولا ادري ان كان ذلك بفضل هاتين الشفتين الجميلتين اللتين تشفيان كل ما مستاه واني ليومنا هذا لم أعجب الا بجمال عينيها الساحرتين وحلاوة حديثها المزري بخرير العيون الجارية فوق الحصى أو حفيف الاوراق حينما تداعب الريح اشجارها . ولـكن شعر وقتئذ قلبي بتلهف شديد الى اقتراب فمي من فمها ولا ادرى كيف صار امكر من ذي قبل (انظر كيف يشحذ الحب الذكاء) اذ تخيلت حيلة لطيفة لانال رغبتي وتصنعت ان نحلة لسعتني في في شفتي وصرت أستغيث بشكل ناهيك به حتى توسلت عيناي طالبة الدواء الذى لم يستطع في ان يلتمسه ولصفاء نية (سيلفيا) رقت ورثت لالمي وهبت لمعالجة جرحي الـكاذب . ولـكن واأسفاه قد اصبح غائراً مميتاً مذ مست شفتاها فمي وهيهات للنحل ان يقتطف رحيقاً من اية زهرة كانت مثل الشهد الذي اقتطفته من هاته الوردة الارجوانية الزاهرة ولو ان الحياء منع شدة قبلى التي هاجها الشوق فـكانت خفيفة واقل جرأة . نمت بقلبي هذه الحلاوة المزوجه بسم خفي فشعرت منها بارتياح

وابتهاج وصرت اظهر باستمرار الم هذه اللسمة فأعادت عزائمها عدة مرات ومن هذا العهد زادت رغائبي لحد ان جعلتني لا استطيع ضبطها في صدري ففاضت وظهرت للعيان

كان الرعاء والحور جالسين ذات يوم على شكل حلقة لاهين بهذا النوع من اللعب الذي فيه يسر كل واحد لجاره سراً في اذنه فأسررت (لسيليفيا) : « اني احترق لاجلك بنار الهوى ولامحالة اني هالك ان لم تأخذي بيدي » ولم اكد انطق بهذه الجملة حتى نكست وجهها وتورد خداها من الخجل والحنق ولم تجبني الا بسكوت طويل طيه التهديد والوعيد وابتعدت عني مصممة العزم ان لا تراني ولا تسمعني ابداً. حصد الحاصد القوي سنبله ثلاث مرات وجرد الشتاء الحراج من شعورها الخضراء مراراً وعملت كل الطرق لتهدئتها فلم تنجع ولم يبق لي الا الموت وسأقضي بطيب خاطر ان كنت واثقاً بأنها ستشعر بشيء من الفرح او الاسف ولا ادري اي الامرين افضله عن الآخر ولا شك ان الرحمة هي الثمن الحق كما اعتقد واعظم جائزة لموتي. بيد أني لا استطيع ان اتمنى تعكير عينيها الصافيتين او ايلام نفسها اللطيفة

تيرسيس — لو سمعت هذه الاقوال يوماً ما فهل تستطيع ان لا تحبك

امنت — لا اعلم واني ليخالجني الشك لانها تفر من كلامي كما يفر الثعبان من السحر

تيرسيس — اعتمد علي فسأجعلها تصغي اليك

امنت — لن تنال منها شيئاً ولو وفقت ان تمكنني من محادثتها لاصبح حديثي بلا طائل

تيرسيس — مالي أراك يائساً ؟

امنت — ان ليأسي سبباً قوياً لان ( موبسوس ) الحكيم نبأني بحظي المنكود وانه ليفهم لغة الطير ويعرف خواص الحشائش والينابيع

تيرسيس

أي ( موبسوس ) تعني ؟ أريد به هذا الرجل الذى يسيل من شفتيه كلام كالعسل وابتسام ملؤه الاحتفاء ويخفي في قلبه المكر والخبث وتحت ردائه الخنجر ؟ تشجع اذاً فان تنبؤات السوء التي يذكرها بلهجة شديدة للطائشين السذج لم يك لها أقل تأثير . وقد علمتني التجارب ما قلته لك . واني أحب ان آمل لك خاتمة سعيدة لحبك مستنبطاً ذلك من نفس تنبؤات ذاك الرجل

امنت — اذا كنت تعلم شيئاً يقوي أملي فلا تكتمه عني

تيرسيس

سأقوله لك بكل ارتياح . وحينما قادني حظي الى هذا الغاب لاول مرة تعرفت بهذا الرجل فكنت أعزه وأجله بنفس هذا الاجلال . فدعتني الحاجة والرغبة ذات يوم الى الذهاب الى المدينة العظمى . صادفته جالساً على حافة النهر فقعدت بجانبه فقال لي « أتذهب الى هذه المدينة الكبيرة

التى يسكنها الماكرون المخادعون وترى فيها النبلاء الذين ملئوا خبثاً يقابلوننا معشر القرويين باحتقار وسخرية . ولذلك أعظك يا بني ان تتمسك بنصائحي ولا تقترب كثيراً من أماكن ازدهت فيها الانسجة بمختلف الالوان وتوهج النضار ولمع الريش فوق القبع وازدهى غيرها من متباين الزينات . احذر خاصة أن يقودك شيطان أو رغبة عمياء الى قصر الثرثرة وتجنب هذا المقام المسحور ! فأجبته : — ماذا يكون هذا المكان ؟ فقال : هناك يقطن المشعوذون الذين يسحرون الاعين ويخدعون الآذان . وما تظنه هناك ماساً وعسجداً خالصاً ليس الا زجاجاً ونحاساً وهذه الصناديق الفضية التى تحسبها مفعمة بالكنوز ما هي الا سلال ملئت مثانات فارغة . هناك الجدران التي بنيت بفن متقن تتكلم وتجاوب الاصوات لا بكلام متقطع كالاصداء في حراجنا بل تعيد القول بأجمعه حتى انها تضيف اليه كلمات لم تلفظ مناضدهم ومقاعدهم وأسرتهم واثاثهم تصيح دون انقطاع . هناك أشبه بمجتمع الاطفال اذ ترى أصوات الثرثرة تندمج في بعضها واذا دخل عندهم أبكم تكلم رغماً عنه . ولكن هذا أهون ما تصادفه من الاذى لانك ربما تحولت الى شجرة خلاف أو وحش ضار او ماء او نار : وما هما الا ماء العبرات ونار التأوهات »

هذا ما قاله لى ( موبسوس ) فيممت المدينة وهذا الشعور الكاذب يخالج نفسي واقتضت العناية الربانية ان أمر امام هذا المقام السعيد الذى تنبعث منه الاصوات الرخيمة الرنانة للبجع والحور فكنت اسمع أنغاماً ملؤها

اللذات والمسرات فافتتنت ووقفت طويلا امتع النفس معجباً بها . وبباب هذا القصر رجل شهم مهيب الطلعـة عهدت اليه حراسة هـذه الاشياء الجميلة واذا سمعته لم تعرفه ان كان ( دوقاً ) او من النبلاء فقابلني بجبهة تشف عن الطيبة والهيبة ودفعني بظرف ولطف الى الباب وهو العظيم المجيد وانا الفقير الخامل . فماذا رأيت وماذا سمعت ؟ رايت ربات سماوية وحوراً حساناً فتانة وغيرهن من ربات الجمال لا تحجبهن خمر ولا سحب مثل ربة الفجر الزهراء طلعت على الخالدين وهي ترمي حولها بأضواء نيرة وتنثر نداها لحبات من نضار ولجين . رايت ( ابللون ) و ( الموز ) و ( ايلبان ) جالساً بينهم . وشعرت فجأة كأنني ارتفعت وملئت بنفحات ربوبية جديدة فترنمت بأناشيد الحروب والابطال واحتقرت شعر الرعاء الحلوى . ولو اني عدت الى هذا الغاب ( تباعا لارادة غيرى ) لكنني احتفظت بجانب من هذا النشاط والعزم . اصبح مزماري لا يرن كسابق عهده ولكنه يملأ الادغال بأصوات أنغم واكثر رنيناً وينافس الابواق

ولما سمع (موبسوس) حديثي سحرني بنظرة مخوفة ذهبت برسامة صوتى واسكتني طويلا . ووقتما ظن الرعاة ان الذئب لاقاني هو نفسه ذاك الذئب الذي تحدثوا عنه . وما قصصت عليك ذلك الا لتعلم مقدار كلامه من الثقة والاعتبار . انه يريد لك ان تيأس وتقطع الامل وعمله هذا كاف وحده لان تؤمل منه الخير

امنت — لقد طربت مما سردته عليّ واني أكل اليك العناية بحياتي

تيرسيس — سأراقبها وارعاها وسألاقيك هنا بعد نصف ساعة

نشيد

ايها العمر الجميل الهنيء! اطلق عليك مثل هذا التعبير لا لان الانهار كانت من لبن والعسل يقطر من الغاب والارض تؤتي اكلها دون ان يشقها المحراث والاساود مجردة من غضبها وسمها والسحب المعتمة لا تنشر حجبها فوق الدنيا والربيع دائم لا تشوبه تغيرات الشتاء والصيف والسماء تبسم وهي مشرفة رائقة والسفينة الجوابة لا تحمل الحرب او التجارة الى ضفاف اخرى

بل لان هذا المعبود المعروف بالخطأ والكذب من سماه اخيراً العامي الاحمق الشرف والذى اصبح الظالم المتسلط على طبيعتنا ولم تخالط همومه سرور المحبين ولطفهم. كانت قوانينه الصارمة مجهولة عند هذه الارواح الحرة وما كانوا يعرفون غير هذه الشرعة السمحة السعيدة التي تعلموها من الطبيعة : ما شاق فهو مباح

كانوا يقيمون مراقص محبوبة بين الازهار والمياه حافلة بآلهة الحب وهم عاطلون من اقواسهم ومشاعلهم والرعاء جالسون بجانب الحور يمزجون كلامهم بحنين لذ تصحبه قُبلٌ مقرونة بعناق عنيف يكاد منه الجسمان يمتزجان

كانت العذاري كاشفات اجساماً تزرى بالورود فأصبحن محجبات

ساترات كرات اثدائهن المشرقة الناهدة . وفي اغلب الاحيان كان يرى المحب ملاعبا حبيبته بجانب عين او بحيرة

ايها الشرف ! انك اول من اخفى منابع السرور رافضاً ان تنقع غلة الحب . انت الذي علمت ذوات الاعين النجل ان يسبحن في بحار التأملات ويحتفظن بجمالهن الخفي . انك تجمع الشعور التى تنثرها الرياح وتجعلها منضدة كالنسيج وتمنع الخلاعة والدلال انت الذي جعلت للكلام لجاماً وللمشية فناً . انت وحدك ايها الشرف الذي عددت ما كان من هبات الحب شيئاً مختلساً

ومامتاعبنا وعبراتنا الامن عظيم اعمالك ولكنك انت سيد الحب والطبيعة والمهيمن على الملوك . ماذا تصنع بين مراقصنا التى لا تليق بعظمتك؟ اذهب واقلق منام الشهيرين والقادرين . نحن قوم خاملون محتقرون فدعنا نعش حسب عاداتنا القديمة

فلنحب فان حياة الانسان لا تسالمها السنون وتمر مر السحاب . فلنحب فان الشمس تشرف على الموت عند المغيب ثم تولد ثانية ولو احتجب عن اعيننا نورها القصير المدى لغشينا النعاس في ظلام ابدي

## الفصل الثانى

### المنظر الاول

ستير (وحده)

النحلة حقيرة وفضلا عن هذا فحمتها الصغيرة تجرح جراحاً خطيرة أليمة . ليت شعرى أي شيء يكون أصغر من الحب الذي يدخل ويعشش في أصغر موضع ؟ اذ يكون تارة تحت ظل الجفون وطوراً بين تموجات الشعور المسجدية وأخرى بين ثنيات الخدود التي يحدثها الضحك . فيجرح حينذاك جراحاً غائرة قاتلة لا ينجع فيها علاج !

وما أحشائي الا جرح دام . اذ يرمي (أمور) القاسي من عيني (سيلفيا) الفاً من السهام فما اقساه وما أغلظ فؤادها اذ هما أشد توحشاً من الغاب ! يحجب الغاب في بطون خضرته الاساود والآساد والدببة وأنت تطوين في باطنك الحقد والازدراء والقسوة وهي أشد افتراساً من الاساود والسباع والادباب لان هذه يستطاع تسكينها وتلطيفها ولكن تلك الصفات لا تقهرها التوسلات ولا الهدايا . فوا أسفا حينما أحضر لك جديد الازهار فترفضينها باحتقار لانها ولا ريب أقل جمالاً من ورد خديك الاسيلين ووقتما أقدم لك التفاح اليانع الجميل تردينه لانه أقل حسناً من تفاح نهديك الشائقين . وان اهديتك الشهد الحلو أبيته بكبرياء لانه لا يوازي شهد شفتيك . فان كان فقري

لا أستطيع ان يهبك شيئاً أجمل وأحلى مما عندك فأني أمنحك نفسي . فلم تحتقرين هذه المنحة وتستقبحينها أيتها الناكرة الصنيع والاحسان لست ممن يزدري فقد رأيت نفسي في مرآة مياه اليم الساكنة في ذلك اليوم الذي هدأت فيه الرياح . وما هذا الوجه المشرب بالحمرة والكتفان العريضتان والذراعان المفتولتان والصدر الاشعر كالفخذين الاعلامات الفتوة والشهامة وان كنت غير واثقة فاختبريها . ماذا يرتجى من هؤلاء الرعاء الضعاف الذين ابتدأ عذارهم يخط سطوره فوق خدودهم ومن يرتبون شعورهم بفن حتى تأنثت وجوههم وطبائعهم ؟ كافي أحدهم أن يتبعك في الحراج والاطواد ويجالد لاجلك الدببة والخنازير البرية . لست في غاية من الدمامة وانك لا تزدريني لقبحي بل لفقري خاصة . أصبحت الكفور تتبع مثال المدن العظمى ! وهذا الجيل هو في الحقيقة العمر الذهبي لان الذهب وحده هو الظافر الحاكم

أيها الذهب ! انت اول من علم الناس بيع الحب . لعنت رفاتك البالية ولا وجدت من الحور أو الرعاء من يقول لها وهو مار «استريحي بسلام » فلتغرقك الامطار ولتنسفك الرياح ولتدسك القطعان والمسافرون بارجل نجسة بلا رحمة ولا حنان . أنت أول من جرد الحب من نبله وشرفه وصير حلاوته المسكرة علقما . والحب الدنيء الذي يستعبده الذهب هو اكبر وحش واقبح وأحقر ما انتجته الغبراء والدأماء . ولكن لم هذه الشكوى التي لا تجدي . كل يستعمل لسلامه ما منحته الطبيعة من

السلاح . اذ يستعين الأيل بعدوه والليث بمخالبه والخنزير البري بانيابه. وقوة المرأة وسلاحها هي الرشاقة والظرف والجمال . لم لا استعمل العنف لنيل أماني اذ خصصتني الطبيعة للعنف والسبي . سأسلب بالقوة من الناكرة ما تأباه جزاء لحبي . وقد اخبرني معاز رصد خطاها انها تبرد غالباً في عين ارانيها . فأريد ان اختبيء هناك بين الخمائل وارقب مجيئها وسأنقض عليها حينما ارى الفرصة سانحة : اي مانع يعوقني ؟ الفرار ام ذراعا فتاة . واني خفيف الحركة شديد العزم والبأس فلتبك ولتتأوه ما شاءت ولتستعن بجميع ما يستمطر الرحمة او بنفوذ محاسنها . وان استطعت ان انشب يدي في شعرها فلا تتمكن من الهرب قبل ان انتقم منها

## المنظر الثانى

تيرسيس — دفنيه

دفنية

لقد لاحظت كما قلت لك ان ( امنت ) يحب ( سيلفيا ) والله يعلم كم من خدمة اديتها له وسأخدمه بأعظم منها وما ترجو مني عملها . انني استطيع ان اروض دبا او ثورا او نمرا ولكني لا اقدر ان اغلب هذه الفتاة الساذجة التى يفوق عماها جمالها ولا تدري بان اسلحة جمالها ملهبة شديدة الفتك . انها تقتل في ضحكها وفي بكائها ولا تشعر بما تحدثه من الطعنات الصائبات

تيرسيس — ولكن اية فتاة ساذجة لا تتعلم فن الظهور بمظاهر الجمال وفتنة الناظرين والفتك بهم ولا تعرف الاسلحة القاتلة من غيرها الشافية التي تعيد الحياة

دفنيه — ومن هو استاذ هذا الفن ؟

تيرسيس — انك تتصنعين لتحرضيني . انه هو الذي علم الطير الغناء والطيران والكباش النطاح والثيران المضاربة بقرونها والطاووس نشر مظاهر زينة ريشه المفوف المجلل بالعيون

دفنيه — ومن هذا الاستاذ العظيم ؟

تيرسيس - يسمى ( دفنيه )

دفنيه — لسان بذيء

تيرسيس— ولم ذلك ؟ اما انت اهل لان يعهد اليك في المدرسة الف فتاة ؟ ولنتكلم بالحقيقة . وان كن لا حاجة لهن الى معلم فالطبيعة تعلمهن ولكن الام والمرضع تشاطران في الدروس

دفنيه

وقصارى القول انك احمق وخبيث ولكنني في الحقيقة لا اظن ان ( سيلفيا ) ساذجة كما يظهر من اخلاقها وحديثها .ولقد داخلني البارحة سبب من دواعي الشك لاني رايتها على مقربة من المدينة في هذه المروج التي تمتاز منها جزيرة يحفها الماء وهي منحنية على الماء الراكد ويظهر عليها انها معجبة بنفسها تستشير الماء كيف ترتب شعرها وتضع فوقه خمارها

وباي شكل تزينه بالازهار التي تحملها في حجرها . فتارة تأخذ زنبقة أو وردة وتقربها من نحرها الابيض أو خدها المورد لتقارن بين الالوان ثم يفتر ثغرها عن ابتسامة تخجل البرق تشف عن انها تريد ان تقول : «لقد انتصرت عليك وما احملك قصد الزينة بل ازدراء واحتقارا وليرى الناس انك لا توازينني زهاء وبهاء » ولكن بينا هي تتزين وتعجب بنفسها اذ لفتت عينيها بالمصادفة ورأت أنني الاحظها فاحمرت خجلا وافلتت الازهار من يدها وكلما زاد ضحكي من خجلها ازداد احمرارها وحيث كان جانب من شعرها منثورا والآخر مجتمعاً نظرت نفسها خلسة في الماء مرة او اثنين خوفاً من ان افاجيء نظرها وأرتضت ان ترى عاطلا من الزينة لانها رأت نفسها ما فتئت جميلة فرأيت ما رأيت والتزمت الصمت

تيرسيس — انك تحدثينني بالضبط عما كنت أشك فيه . اماصدق حزري اذن ؟

دفنيه

اجل ولكني فضلا عن ذلك سمعت ان الحور والرعاة ما كانوا في الزمن الغابر مثل ما هم عليه الآن من الخلاعة والدل . ولم أك انا نفسي على هذا الحال في صباي . ولكن الدنيا تشيخ وكلما شاخت زادت قبحاً

تيرسيس — اذن فلا ريب ان اهل المدن ما كانوا يأتون غالباً الى غاباتنا وسهولنا كما ان اهل قرانا ما كانوا لينتابوا المدينة . ولندع هذا

الحديث جانبا . اتجتهدين ان تجعلي يوماً ما ( سيليفيا ) تلتفت وتصغي الى ( امنت ) وهو منفرد او على الأقل في حضرتك ؟

دفنيه — لا اعلم وان ( سيلفيا ) لمتناهية في التوحش

تيرسيس — كما ان ( امنت ) شديد الاحترام

دفنيه

لا يفلح أبداً حبيب كثير الاحترام ادعه لان يغير طباعه هذه فان من يريد ان يهوي وجب عليه ان يترك الاحترام جانباً وان يتجرأ ويسأل ويتوسل ويضايق ويسرق وليخطف ان لم يكفه هذا . ألا تعرف طبائع المرأة ؟ انها تفر وتود ان تلحق وهي فارة وتأبي وتود في ابائها ان تسرق وتناضل وترغب ان يظفر بها في النضال . انني اسررت ما قلته لك فحاذر ان تعيده ولا سيما في الغناء . وانك تعلم انني اجاوبك على شعرك بشعر مثله

تيرسيس

لا يساورك الشك أنني اقول شيئاً تستائين منه . ولكني اتوسل اليك يادفنيه بشبابك النضر وهو أحلى واجمل ذكرى ان تعاونيني على اغاثة ( امنت ) المنكود الذي اشرف على الموت

امنت — آه ! ما ألطف هذه التوسلات التي يوجهها اليّ هذا الاحمق من تذكيري بالشباب . فيالسعادة انقضت وحل محلها الان الملل ! ليت شعري ما تريد ان اعمله ؟

تيرسيس — انك لا ينقصك العقل ولا التدبير ويكفيك الارادة

دفنيه

لك ما طلبت فأصخ اليّ : سأذهب بعد قليل أنا و ( سيلفيا ) الى عين ( ديان ) التي تظل مياهها الرائقة افياء الشنار الوارفة التي تدعو الحور الصائدات الى الراحة واني واثقة انها ستنزل اليها عريانة

تيرسيس — ثم ماذا ؟

دفنيه — وبعد فهذا كاف ان كنت تفهم ايها النبيه الفطن

تيرسيس — لقد فهمت ولكني اشك في أنه مزود بالجرأة الكافية

دفنيه — اذن فليبق علي حاله من الدعة والسلام الى ان يبحث عنه

تيرسيس — سيكون اهلا لهذه النعمة

دفنيه

لم لا نتكلم عنك قليلا ؟ ألا تود يا ( تيرسيس ) ان تكون محباً ؟ انك لم تزل رافلا في برود شبابك لانك لم تتجاوز الربيع الرابع من عقدك الخامس اذا كنت اذكر طفولتك ولم تخني الذاكرة . اتريد أن تعيش خالي البال بعيداً عن المسرات ؟ اذ في الحب وحده يجد الانسان ملذته وفرحه

تيرسيس — لا يأبى ملذات ( الزهرة ) من يتجنب الحب ولكنه يجني ويذوق حلاوته دون ان يتجرع مرارته

دفنيه — اذا لم يتخلل التمتع بعض الآلام كان تافهاً متعباً

تيرسيس — ان يشبع الانسان من الملذات خير له من الرغبة والتمني المشوبين بعذاب الجوع

دفنيه — لا يكون هناك شبع طالما كان الانسان متهافتاً على الاستمرار في التمتع بالنعمة المرغوبة كما تمتع بها من قبل

تيرسيس — ليت شعري من يملك ما يفتنه ويكون دوما وفق رغائبه وميوله

دفنيه — ومن ذا الذي يجد هذه النعمة دون ان يبحث عنها

تيرسيس

يخاطر من ينقب على ما يسكره بنشوة الهناءة حينما يعثر عليه وما يعذبه ان خابت فيه امانيه ولم ينل منه نيلا . وسيرى ( تيرسيس ) عاشقاً حينما تنفد العبرات والتأوهات من ملك (امور) . انني استكفيت من البكاء فليخضع غيرى لسلطته

دفنيه — ولكنك لم تتمتع بعد بنعمة

تيرسيس — انني لا أرغبها اذ يبيعها بثمن فادح

دفنيه — ستحب رغما عنك ان لم تعزم على الحب

تيرسيس — ولكن الحب لا يقهر من يتجنبه

دفنيه — ومن ذا الذي يتجنب الحب ؟

تيرسيس — كل يخشاه ويفر منه

دفنيه — وماذا يفيد الفرار اذا كان الحب مزوداً بجناحيه

تيرسيس — حينما يولد الحب يكون قصير الجناحين متهيباً يخشى ان يحلق بجناحيه حينما يطير ويكتفي بالاستناد اليهما ان استطاع

دفنيه — لا يشعر الانسان بنشوئه وان ادركه وجده كبيراً يدف بجناحيه

تيرسيس — نعم ان لم يكن رأى ميلاده مرة اخرى

دفنيه — سوف ترى يا ( تيرسيس ) ان كنت تتمكن من الهرب منه كما تقول فانك تظهر بمظهر من لا يروض ولا يذلل كالجواد وكلب الصيد السلوقي . وسأحتج عليك حينما توافيني متوسلا مستغيثاً ولن تؤمل مني كلمة اوسعياً ولاطرفة عين

تيرسيس — بأى قلب تستطيعين ان تنظري الي وانا اموت ؟ وان اردت ان اهواك فأحبيني . فلنحب ولنكن على وفاق

دفنيه — انك تمزح . ولكنك لا تستحق حبيبة مثلي . آه ! كم من الناس غرتهم نضارة وجه جميل !

تيرسيس — انا لا امزح ولكنك تنتحلين هذه الحجة كعادة كثير من النساء لترديي حبي وسأعيش خالياً ان لم تميلي الي

دفنيه — انك تعيش عيشة لم تر مثلها في السعادة يا ( تيرسيس ) اذ تكون في السكون وهو مهد الحب الذي يولد فيه

تيرسيس

قد جلب لي هذ الفراغ يا ( دفنيه ) رب وهو الذي يعذبرها هنا

كاله . قطعانه العديدة ترعى من البحر الى البحر الآخر في الخلوات الخصيبة وسفوح ( ابنين ) المضرسة وقد ضمني الى اتباعه وقال لي : فليحم غيرك يا ( تيرسيس ) ماشيتي من شر الذئاب واللصوص وليوزعوا الجزاء والقصاص على رعيتي وليرعوا قطعاني وليوزعوا اصوافها وألبانها . اما انت فغن الآن لانك اصبحت في دعة وسكون . فبدلا عن ان اغنيه مزاح الحب الدنيوي رأيت ان اشهر وامجد اجداد ( جوبيتر ) او ( ابللون ) ( ولا ادرى ايهما اتكلم عنه ) لانه يشبههما بأعماله ووجهه . وقد كان ( لموزى ) الخلوي الشرف الملوكي اذ ترنم بذكر آبائه الاولين الذين هم اشهر من ( ساتورن ) والسماء . وهو لا يحتقر ألحاني سواء كانت بسيطة او رنانة . بيد انى لا بد اتغنى بمجده اذ لا استطيع تمجيده وتعظيمه بأعظم من السكوت والاحترام . ولكن محاريبه ستزين دوماً ستزين دوماً بأزهاري وتعطر ببخوري . ولا ينمحي من قلبي هذا الدين الطاهر الذي مليء حمية وورعاً قبل ان تتغذى الايائل بالهواء في مروج السماء وتغير الانهار مجراها وسيرها ويشرب الفارسي ماء ( السون ) والفرنسي ماء الدجلة

دفنيه — واها لك ! لقد طرت الى أعلا العلا فاهبط الى مايشغلنا

تيرسيس — والاهم هو انك حينما تذهبين الى العين مع ( سيلفيا ) تبذلين ما في وسعك لأ لانه فؤادها بينا اجتهد في استصحاب ( امنت ) لهذا المكان . وما اظن ان عبئ سيكون اصغر من عبئك فهي اذن اليهما

دفنه — سأتوجه ولكننا نتكلم عن شيء آخر

تيرسيس — انى اعرفه من بعد وهذا ( امنت ) يظهر من هذه الجهة . نعم هو عينه

المنظر الثالث

امنت — تيرسيس

اود ان اعرف ما عملته يا (تيرسيس) وان كنت لم تفلح فأني احب ان انتحر امام عيني الفتاة القاسية التي تشمئز من جرح فؤادي الذى احدثته عيناها الجميلتان بقدر ما تعجب بالجرح الذى احدثه يدى في صدري

تيرسيس — جئتك بأخبار مسلية فاترك الآن الشكوى

امنت — واعجباً ! ماذا تقول ؟ وبماذا جئتني ؟ بالحياة أو بالموت ؟

تيرسيس — جلبت اليك الحياة والسعادة ان كنت تقدم على المثول امامها . ولكن ينبغي لك ان تعمل كرجل شهم

امنت — واية شجاعة تلزم وضد من ؟

تيرسيس — اذا كانت حبيبتك وسط غاب تحفه صخور منحدرة اوت اليها النمور والآساد فهل تقتحم هذه المخاطر للوصول اليها ؟

امنت — اذهب اليها رابط الجأش مسرعاً اكثر من ذهابي الى مراقص عيد خلوي

تيرسيس — وان كانت وسط لصوص مسلحين فهل تهرع اليها ؟

امنت — نعم وبفرح وحميـة يفوقان بشر الأيل العطشان وهو واقف امام الينابيع

تيرسيس — يلزمك ايضاً جراة اعظم لتجربة هائلة

امنت — سأسير وسط السيول الجارفة حينما تتكون من الثلوج الذائبة وتتدفق وهي مجتمعة في البحر بل اقتحم نيران الجحيم ان وجدت هناك هذا اذا استطعنا ان نطلق اسم الجحيم على مكان يوجد فيـه شيء جميل ، فقل لي اذن كل امر

تيرسيس — استمع

امنت — تكلم سريعاً

تيرسيس — ان سيلفيا تنتظرك عريانة وحيدة في عين فهل تستطيع ان تذهب اليها ؟

امنت — واهاً لك ! ماذا تقول ؟ سيليفيا تنتظرني عريانه وحيدة !

تيرسيس — لا يوجد معها غير ( دفنيه ) وهي تعمل لنا كل خير

امنت — تنتظرني عريانة ؟

تيرسيس — عريانة . . . ولـكن . . .

امنت — وأسفاه ! ماذا يفيد قولك ولـكن انك تلتزم الصمت وتقتلني بعملك هذا

تيرسيس — ولـكنها تجهل انك ذاهب الى العين

امنت — نتيجة قاسية تسمم كل حلاوة سابقة وما اعظم حيلك

التى تعذبني بها ايها الغليظ القلب ! ويخيل الي انك تجهل سوء حظي فأتيت الي تزيدني نكداً على نكد ؟

تيرسيس — اذا عملت بنصائحي اصبحت سعيداً

امنت — وبماذا تنصح لي ؟

تيرسيس — بالتمسك بالفرص التى يتيحها لك الطالع الميمون

امنت

ان الله يعصمني من ان اسيء الى ( سيلفيا ) ولن اسبب لها استياء آخر غير الحب . وما الهفوة هفوتي بل راجعة الى محاسنها الفتانة . ولا يعقل انني لا ابذل جميع ما في وسعي طلباً لرضاها

تيرسيس — قل لي اذن : اذا كان في استطاعتك ان لا تحبها فهل تكف عن حبها لارضائها ؟

امنت — هذا اذا كنت استطيعه فان الحب يمنعني أن أتخيل وأقول بأنني اعيش متجنباً حبها

تيرسيس — أتحبها اذن لاغضابها اذا كنت تستطيع أن لا تحبها ؟

امنت — لاغضابها : لا لا . ولكني أحبها

تيرسيس — فذلك اذن مخالف لرغبتها ؟

امنت — اجل وهذا هو الواقع

تيرسيس — لم لا تتجاسر على مخالفة رغائبها بارتكاب سرقة تستاء منها في بادىء الامر ثم لا تلبث أن تجدها يوماً ما حلوة عزيزة ؟

امنت — أواه ! فليجب الحب بدلا عني لانني لا أعبر عما يدور بقلبي . وانك لطول اعتيادك أصبحت ماهراً في البحث في الحب . أما أنا فلساني مقيد كجناني

تيرسيس — انك لا تريد اذن الذهاب الى هناك

امنت — أريد ان اذهب ولكن لا الى الموضع الذي تفكر فيه

تيرسيس — أين اذن

امنت — الى الموت اذا كنت لم تدبر لي شيئاً غير هذا

تيرسيس — أيظهر لك هذا انه قليل ؟ أتظن ايها الاحمق ان ( دفنيه ) أشارت عليها بالذهاب دون أن تقرأ شيئاً مما يخالج فؤادها ؟ وربما عرفت ذلك ( سيلفيا ) ولكنها تريد ان تتجاهله . واذا كنت تطلب رضاها الصريح فلا تسع في عمل ما يزيد في نفورها . اين هي هذه الرغبة في ارضائها ؟ واذا كانت هي تريد ان تكون سعادتك في سرقة او عنف بدلا عن الاحتفاء والاكرام فماذا يهمك ايها الاحمق ؟

امنت — ومن يؤكد لي ان هذا هو مرادها ؟

تيرسيس — يالك من معتوه مسكين ! اراك تطلب حقيقة تستاء منها وتهينها في الواقع . ولكن من يؤكد لك ايضاً ان هذا مخالف لرغبتها ؟ واذا كان الامر كذلك ولم تذهب فان الشك يكون موازياً للخطر . اواه ! خير للانسان ان يموت جريئاً مقداماً من أن يعيش على

استحياء . اراك التزمت الصمت فانت اذن مقتنع مفحم . اعترف الآن بخذلانك الذي سيكون سبباً لنصر مجيد . فلنسر اذن

امنت — انتظر

تيرسيس — وكيف ننتظر ؟ الا تعلم ان الوقت يفر

امنت — فلنفكر فيما يجب ان نعمله

تيرسيس — سنفكر في الباقي اثناء الطريق لان الذي يكثر النظر والتأمل لا ينفذ العمل

نشيد

بأي معهد تعلمت يا ( امور ) فن الحب العظيم الصعب ومن اي استاذ تلقيته ؟ من يعرف ان يعلم مايدركه العقل حينما يطير فوق جناحيك الى السماء ؟ و ( اتينا ) العالمة لا تعلّمه قط ولا معهد ( ليسيه ) . كثيراً ما يتكلم ( ابللون ) من فوق ( ايليكون ) على الحب مع تلاميذه ولكنه يتكلم ببرودة ولم يمنح هذه الحمية التي تليق بك . لا ترتفع افكارهم ابداً الى مستوى اسرارك . انت وحدك يا ( امور ) الاستاذ اللائق لمكانتك . انت وحدك الذي تعرف ان تعبر عن نفسك . انك تعلّم اسخف العقول قراءة هذه الاشياء العجيبة التي تخطها في العيون بيدك بأحرف الهوى . انك تضع على الشفاه بليغ الكلم ( فيا لبلاغة الحب الغريبة الجديدة ! ) اذ يكون غالباً غامضاً متقطعاً ولكنه يترجم افصح من غيره عن اسرار

الفؤاد ويكون اشد تأثيراً من القول المزين البليغ حتى ان السكوت يتكلم ويتوسل

فليدرس غيري يا ( امور ) مؤلفات سقراط اما انا فسأتعلم فنك من العيون النجل . وستنكسف قصائد فحول الشعراء بجانب سجعاتي الخلوية التي تنقشها يدي الخشنة على لحاء الاشجار

## الفصل الثالث

### تيرسيس — المنشدون

تيرسيس — يالقسوة شنعاء ! وفؤاد ناكر للصنيع ! وامرأة كنود ! بل جنسها بأجمعه ! وانت ايتها الطبيعة ايتها الام المهملة لم لم تزيني المرأة الا بمحاسن ظاهرة ونسيت ان تجملي نفسها ؟ اواه ! (امنت) ايها التعس المنكود ! لا ريب انه قتل نفسه . لم يظهر ابداً . ولقد نقبت عليه في كل مكان في الموضع الذي تركته فيه حتى اني لم اعثر له على اثر. لا ريب انه انتحر واود ان استطلع خبره من هؤلاء الرعاء الذين اراهم هناك . هل رايتم ايها الاخوان ( امنت ) او سمعتم عنه شيئاً

المنشدون — نرى الاضطراب بادياً على وجهك فمن اين جاءك هذا العرق وهذه الكروب ؟ هل ألمت بك فادحة ؟ اطلعنا على امرك

تيرسيس — انني ارتجف لاجل ( امنت ) فهل رأيتموه ؟

المنشدون — لم نشاهده منذ سر تما سوياً . وما الذي تخشاه

تيرسيس — اخشى ان يكون قتل بيده

المنشدون — قتل بيده ! ولم هذا ؟

تيرشيس — من الحقد والحب

المنشدون — هيهات ان يتحد عدوان قويان فتكلم بوضوح

تيرسيس — قد تيمه حب حوراء تمقته

المنشدون — قص لنا هذا الخبر فنحن في مكان يكثر فيه مرور الناس ولربما اتانا احد بخبره ان لم يجيء هو بنفسه

تيرسيس — سأقصه بكل ارتياح . ومن العدل ان كنوداً كهذا يلقى جزاءه الفضيحة والعار . علم (امنت) (وانا المنكود الذى انبأه وقاده فواندمي الساعة) ان (سيلفيا) ستذهب بصحبة (دفنيه) للاستحمام في عين فيممها مرتجفاً متردداً مدفوعاً بالحاحي في الالتماس اكثر مما يدعوه اليه فؤاده . وكثيراً ما اراد ان يرجع من طريقه فكنت انشطه الى اللحاق بها . وبينا نحن على مقربة من العين اذ سمعنا صياح امرأة ثم لمحنا (دفنيه) التى حينما رأتنا انشأت تقلب كفيها صائحة: هلم اليّ فقد اعتدى على (سيلفيا) ! فما سمع صوتها (امنت) المحب حتى انطلق كالفهد فتبعته ورأينا الفتاة كساعة ميلادها وشعرها معقود بشجرة . واصبحت منطقتها الجميلة التي كانت تحرس وتحمي صدرها آلة لهذا الاعتداء . وغلت يديها الى لحاء الشجرة الصلب الخشن حتى ان الشجرة نفسها كونت لها اربطة من افنانها اللدنة وقيدت ساقيها

الضعيفتين . ووجدنا امامها ( ستير ) وقد انتهى من ربطها . قاومت بكل قواها ولكن ماذا تستطيع ان تعمله ؟ فانقض ( امنت ) وبيده حربة على ( الستير ) انقضاض الليث بينا انا اتقي الاحجار لا تسلح بها . مكن الهرب ( الستير ) من ان يلقى نظرة ملؤها الشره الى اعضائها اللطيفة التى تماثل ببياضها اللبن المهتز السائل فوق عيدان الخيزران الميادة . تقدم ( امنت ) بوجه بادي البشر وقال لها بلهجة التواضع والحياء : عفواً لهاتين اليدين الجريئتين ان مستا منك اعضاء يمنع الحياء كشفها فقد استباحت ذلك ضرورة قاسية اذ يجب ان تتخلصي من هذه الاغلال . ولعلك لا تستائين من هذه النعمة التى اتاحها لي الحظ الهنيء

المنشدون — كلام يلين غيظ القلوب . ولكن ماذا اجابت

تيرسيس — لم تجب بشيء بل نكست ناظريها احتقاراً وقد علتها حمرة الخجل وحاولت ان تستر صدرها . فاقترب منها ( امنت ) وابتدأ يحل شعرها قائلا : هذا الجذع الوحشي ليس اهلا لمثل هذه العقد . واي فضل لاسرى الغرام ان اصبحت هذه القيود عامة بينهم مع الاشجار ؟ ايتها الدوحة القاسية ! كيف تدنسين هذه الشعور الجميلة التي طالما شرفتك ؟ » — ثم خلص يدي الراعية وكان في الوقت نفسه متشوقاً لمسها ولكنه لم يجسر على ذلك . ثم انحنى اجلالاً ليفك رجليها ولكن (سيلفيا) لما رأت يديها مطلقتين قالت له بلهجة الاحتقار : « لا تمسني ايها الراعي فاني اخص ( ديان ) واني اعرف كيف اتخلص من هذه القيود »

المنشدون — ايكون كل هذا الكبر بفؤاد حوراء؛ بئس الجزاء على مثل هذه المروءة

تيرسيس — فابتعد عنها باحترام حتى انه لم يرفع عينيه لينظر اليها نظرة اعجاب وحرم نفسه هذه المسرة تجنباً لرفضها . وبعد جهد طويل تخلصت من قيودها وكادت ترى نفسها خالصة حتى هربت كأروية دون ان تودعه . وفضلا عن هذا فانها ما كانت لتخشى شيئاً لانها واثقة من احترام ( امنت )

المنشدون — ولم هربت اذن ؟

تيرسيس — لئلا تكون مدينة بالسلام الا لهربها لا لحب هذا الراعى الوقور

المنشدون — ان ذلك لمن نكران الصنيع ايضاً . ولكن ماذا عمل وبماذا اجاب هذا التعس ؟

تيرسيس — هذا ما اجهله لانني كدت اتميز من الغيظ وعدوت وراءها لامسك بها ولكن بلا جدوى اذ غابت عن نظري . ثم عدت الى العين التي تركت بها ( امنت ) فلم اجده . وان قلبي ليتوقع مكروهاً اذ قد عرفت قبل هذا انه مصمم على الانتحار

المنشدون — هذه هي العادة وكل محب يتفوه بالانتحار ولكن يندر ان ينفذ هذا المشروع

تيرسيس — ان الآلهة تريد ذلك

المنشدون — لن يتم أبداً

تيرسيس — أود أن اذهب الى غار ( ايلبان ) الحكيم فلا ريب انه هناك اذا كان في عداد الاحياء فقد اعتاد أن يبدد هموم حبه عنده بشجي الحان مزماره التي تجذب الاحجار من الشواهق وتسيل اللبن النقي كالعيون الجارية وتجعل الشهد يقطر من جامد لحاء الاشجار

المنظر الثاني

امنت — دفنيه

امنت — لا ريب ان شفقتك كانت قاسية يا (دفنيه) حينما رددت الحربة سيزيد موتي مرارة كلما تأخر . لم تصطحبيني للتريض في جميع هذه الطرق وعلام كل هذه المحادثات ؛ ماذا تخشينه ؛ وماذا انتظر من الحياة ؛ انك تخشين سعادتي

دفنيه — لا تيأس يا (امنت) فاني اعرف جيداً (سيلفيا) . أنها هربت من الخجل لا من القسوة

امنت — وآسفا ! سيكون اليأس لى سلاماً لان الامل هو الذي سبب لي هذا الخسار ويحاول أيضاً ان ينبت في أحشائى لا عيش . فيا لسوء حظي . وأية بلية أعظم من الحياة ليأس منكود مثلي ؟

دفنيه — عش في تعسك واحتمل آلامه تصبح يوماً ما سعيداً ناعم البال . وستكون التي رأيتها فتانة في عريها ( ان كنت تحتفظ بحياتك وأملك) جزاء لأمانيك

امنت – ما كنت لاظهر ( لامور ) والقضاء شقياً لو لم ينكشف امامي ما ضن به عليّ

المنظر الثالث

امنت — دفنيه — نيرين

نيرين – يتحتم على وما أنا الا رسول الفادحات ان أجلب دائماً الاخبار المحزنة . فيالك يا ( مونتان ) من رجل منكود ! ماذا يكون ألمك حينما تعلم ما ألم بابنتك الوحيدة من قضاء مبرم ! أسفي عليك أيها الشيخ المسكين ! لقد حرمت الساعة نعمة الابوة !

دفنيه – انني اسمع صوتاً شاكيا

امنت - -لقد طرق اسم (سيلفيا) آذاني وجناني فمن التي تتكلم عنها؟

دفنيه – انها نيرين هذه الحوراء الفتانة التي تعزها ( ديان ) ومن وهبت عينين نجلاوين ويدين شائقتين وحركات وسكنات رشيقة جذابة

نيرين – أود ان يطلع على الخبر ويجهد نفسه على العثور على بقاياه التعسة ان كان يوجد منها شي . وا (سيلفيا ) يا لحظ قاس يرثي له !

امنت – رباه ! ماذا تقول ؟

نيرين – آه يادفنيه !

دفنيه – ماذا تقولين ؟ ولم تذكرين ( سيلفيا ) وأنت باكية ؟

نيرين – أواه ! يحق لي البكاء على حادث خطير تذوب لهوله القلوب أسى !

امنت — وا أسفاه ! أي حادث تريد ان تنبئنا عنه ؟ انني لأشعر ان فؤادي قد تثلج ولا أستطيع التنفس . اهي عائشة ؟

دفنيه — خبرينا عن هذه الفادحة !

نيرين — رباه ! لم جعلت رسولا ! لا مناص لي من الكلام . وافتني في مغناي ( سيلفيا ) عريانة ولا ريب انك تعلم السبب وما كادت ترتدي الثياب حتى رجت مني ان اصطحبها الى الصيد الذي اختير له حرجة البلوط فقبلت ويممناها سوياً فوجدنا الحور مجتمعات وبعد قليل من الزمن شاهدنا ذئباً عظيم القامة لا أعرف من اي مكان اندفع يقطر من فمه رغاء دام . فصوبت اليه ( سيلفيا ) سهماً من قوس اخذتها مني ورمته رمية أصابت قمة رأسه فولج الذئب الغاب وتبعته الراعية وبيدها حربة

امنت — يالمبتدأ أليم ! اواه ! ماذا يكون المنتهي الذي ستحدثنا عنه !

نيرين — تسلحت بحربة اخرى واقتفيت آثارها على بعد لانني كنت اقل منهم عدواً حتى غابت عن نظري في كثيف الغب فاستمررت في العدو وراءها ووصلت الى مكان اشد وحشة وتكاثفاً من غيره من أركان هاته الحرجة فلمحت هناك حربة ( سيلفيا ) مطروحة على الارض وعلى قيد خطوات منها القناع الابيض الذي جمعت به شعرها بيدي ثم شاهدت سبعة ذئاب تلعق دما سال من اشلاء معراة . ولم ترني الذئاب لحسن حظي اذ كانت لاهية بطعامها فركبت متن الفرار بفؤاد مملوء الرعب والشفقة وهذا كل ما استطيع ان اقوله عن (سيلفيا) وهذا قناعها

امنت — اتظنين اذا انك ما قلت الا القليل ؟ فياللقناع · ويا للدم ! وا (سيلفيا) لقد حل بك الفناء

دفنيه — ياله من تعس منكود ! اشرف على الموت

نيرين — انه ما فتىء يردد انفاسه وما هذا الا اغماء وقتي . ها هو قد عاد الى رشده

امنت — الم يسومني سوء العذاب . الا زلت تضنين بقتلي ؟ ما ابطأك ! ربما تودين ان تكلي هذه العناية الى ذراعي ؟ قد رضيت بان اعهد اليها هذا الامر اذ تأبينه وربما كان لعجز فيك . واأسفاه ! ماذا انتظر ان كان لا ينقصني شيء من الحقيقة ولا من الأحن التي بلغت منتهاها ؟ علام يا ( دفنيه ) ابقيت على لارى هذا الختام المر ؟ لقد كان احلى واجمل لي ان اموت حينما عزمت على الانتحار فلم تسمحي به انت ولا الآله ولا كان موتي يرد عني ما ادخره لي الاله من العذاب والآن وقد افاض عليّ جميع غضبه يسمح بموتي كما تسمحين انت به ايضاً

دفنيه — لا تعجل بالموت قبل ان تنجلي لك الحقيقة

امنت — واأسفاه ماذا تبتغين من انتظاري ، لقد علمت شيئاً كثيرا

نيرين — اواه ليتني التزمت الصمت !

أمنت — اتوسل اليك ايتها الحوراء ان تتكرمي علي بهذا القناع فهو وحده البقية المحزنة من رفاتها ليصحبني في هذا المدى القصير من حياتي

وفي طريقي الباقية وليزيد في استشهادي . وسيكون لي اخف معين على الموت ان احتجت اليه

نيرين — ماذا يجب علي ان اعمله . أأعطيه اياه ام لا ؟ وان السبب الذى تطلبه لاجله ليمنعني ان اعطيكه

أمنت — يا لك من قاسية ! اتأبين على هذه المنحة الحقيرة في الساعات الاخيرة من حياتي ! اما فيء حظي لا يلين ولا يرحم ! فاحتفظي به اذن فقد تركته لك . أما انت فابقي مكانك فسأذهب حيث لا اعود ابدا

دفنيه — قف يا ( امنت ) واسفاه لقد تركنا والغيظ قد بلغ منه منتهاه

نيرين — لقد أسرع في ذهابه ولا يجدي اللحاق به . والاجدر بي ان اتمم طريقي وان لا اخبر ( مونتان ) المسكين

نشيد

لا حاجة للموت افتخارا بقلب شريف بل يكفي الوفاء والحب . وليس الفخر الذي يطمع فيه بصعب النيل للمحب اذ الحب ثمنه ولا يعدم طالب الهوى ان يصادف غالباً فخراً خالداً

## الفصل الرابع

### المنظر الاول

دفنيه — سيليفيا — المنشدون

دفنيه — لعل الريح وهذا الخبر الفاجع الذي دهمك يبددان آلامك الحاضرة والمستقبلة ! والحمد لله على انك عائشة متمتعة بصحتك ! لقد كنت اظنك في عداد الاموات كما أخبرتنا ( نيرين ) ! فيا ليتها بليت وقتئذ بالبكم وغيرها بالصمم !

سيليفيا — حقاً ان خطري كان عظيما ويحق (النيرين) ان تظنني ميتة

دفنيه — ولكن كان من الواجب أن لا تتفوه به . حدثيني اذن عن هذا الخطر وكيف فررت منه

سيليفيا — توغلت في أعماق الغاب حينما طاردت ذئباً فضللت آثاره وبينما أحاول الرجوع اذ لمحته وعرفته بجربة كنت رشقته بها بجانب أذنه وشاهدته بصحبة سرب من الذئاب ملتفة حول رمة حيوان قتل حديثاً ولم أتمكن من تمييز شكله . عرفني الذئب واظنه اتى ليبحث عني وفمه مضرج بالدماء فانتظرته دون مبالاة وحربتي بيدي . وانك تعلمين مهارتي في الرماية وأنني لم أخطىء قط المرمي . ولما رأيته على مقربة مني وأنني أستطيع ان أصيبه رميته بسهم ولكنه اصاب شجرة بدلا من الحيوان ولا أدرى ان كان ذلك راجعاً الى عدم توفر المهارة والحذق

أو من المصادفات . فهجم علي حانقاً فرأيت من العبث ان أركن الى القوس لاقترابه مني ولم يكن معي سلاح غيرها فعمدت الى الفرار ولكنه لم يكف عن مطاردتي . أرأيت اذن ما خبأه لي القدر اذ كنت كورت شعري بقناع لففته به فانحل طرفه وعبثت به الريح حتى اشتبك بغصن فشعرت بشيء يمسك بي وزادني الخوف من الخطر قوة وعزماً ولكن الغصن لم يتخل عن امساكي فتخلصت منه أخيراً بأن تركت القناع مع خصلة من شعرى انتزعت من المقاومة . منحني الفزع نشاطاً فعدوت عدو الظليم فلم يدركني الحيوان وخرجت من الغابة سليمة ناجية . ثم عدت الى ذراي فقابلتك وأنت مضطربة وعجبت من دهشك لرؤيتي

دفنيه — واأسفاه ! انك عائشة دون الآخر

سيلفيا — ماذا تقولين ؟ أتأسفين على حياتي؟ أتبغضينني بهذا المقدار

دفنيه — لقد سررت وتهللت اذ رأيتك عائشة ولكنني أبكي موت فرد اخر

سيلفيا — ومن هو ؟

دفنيه — أمنت

سيلفيا — رباه كيف مات ؟

دفنيه — انني أجهل تفاصيل الخبر حتى انني لا أستطيع الجزم به ولكني واثقة من موته

سيلفيا — ما قولك اذن في موته ؟ ولاي شيء يعزونه ؟

دفنيه — يعزونه اليك

سيلفيا — انني لا افهم لك قولا

دفنيه — ان خبر موتك الفاجع الذى ظنه حقاً اضطر هذا التعس ان يهلك نفسه بحبل أو سلاح أو بأية طريقة أخرى

سيلفيا — لا تقلقي نفسك له ولا لي دون جدوى اذ كل واحد يجتهد في الاحتفاظ بحياته

دفنيه — أتجهلين يا ( سيلفيا ) أم لا تعتقدين بما تستطيع ان تعمله نيران الحب في كل قلب لم يكن قد من حجر صلد كقلبك . ولو كنت وثقت منه لكنت احببت من يهواك اكثر من ناظريه العزيزين وأشد من حياته واني لا اشك في ذلك اذ رايته حينما فررت وكان الواجب عليك ان تضميه بين ذراعيك ولكنك اقسى من النمور الضارية ! ابصرته وقد صوب الى نفسه حربة دون ان يأسف على موته واراد ان يمزق هذا الفؤاد الذي فطرته دون رحمة لو لم ارد ذراعه . واأسفاه ! انه بهذا الجرح الخفيف الذي حدث له وهو دليل على حنقه ويأسه ارشد السلاح الجريء الى طريق سيسلكها بعد كل سهولة

سيلفيا — ! واهالك ماذا تقولين

دفنيه — انني شاهدته حينما جاء خبر نعيك المقوت وقد اغمى

عليه ! من الالم ثم ابتعد مسرعاً حانقا لينتحر ولا ريب انه اقدم على الموت

سيلفيا — هل انت واثقة من ذلك ؟

دفنيه — هذا ما لا اشك فيه ولا ارتاب

سيلفيا — واسفاه هل لحقت به لتمنعيه ؟ واحزناه فلنسرع في طلبه اذ مات لموتي والواجب يقضي على حياتي ان تعيده الى الحياة

دفنيه — لقد تبعته ولكنه كان سريع العدو حتى غاب عن بصري وقد اندفعت خلف آثاره بلا طائل . فاين تريدين ان تنشديه اذا لم تقفي له على اثر ؟

سيلفيا — واسفاه ! سيهلك ان لم نعثر عليه وسيكون قاتل نفسه

دفنيه — ايتها القاسية ! أتأسفين على ان ينتزع منك فخراً بعمل كهذا ؟ اما أردت اذن ان تقتليه بيدك ؟ تعزى فانه مهما تنوعت طريقة موته فانه ما مات الا لاجلك وأنت القاتلة

سيلفيا — وا اسفاه ! ما اعظم ما فجعتني به ! وان ما اشعر به من الالم لشقائه وتعسه ليزيد مريره من تذكار قسوتي التي كنت اسميها شرفاً وانها تستحق هذا الاسم ولكنني كنت قاسية غليظة القلب كما ظهر لي الآن وجعلني ارثي له

دفنيه — وا عجباً ! ماذا اسمع ؟ أترقين ويشعر فؤادك بشيء من

الرحمة ؟ ماذا ارى ؟ اتبكين ايتها العظيمة ؟ يا للعجب ! ما هذه العبرات ؟ اهي من عبرات الحب ؟

سيلفيا — لا بل هي عبرات الرحمة والحنان

دفنيه — الرحمة تنبيء بالحب كما ينبيء البرق بالصاعقة

المنشدون — كثيراً ما تطرد الفضيلة الشديدة القاسية في بادىء الامر الحب عند ما يريد ان يتسرب خفية الى القلوب الخالية ولكنه لا يلبث ان يتزيى بزي الرحمة سلفه ليخدع النفوس الساذجة التي يتمكن منها

دفنيه — ما هذه الدموع الا دموع الهوى لانها تنهمر بغزارة . انك تلتزمين السكوت يا (سيلفيا) فهل تحبين اذن ؟ انك تحبين دون جدوى . يالقدرة (امور) ؟ لقد جازتك جزاءا وفاقاً . (امنت) ايها المنكود ! مثلك كمثل النحلة تترك حياتها في الجرح الذى تحدثه حمتها . لقد ألنت بموتك هذا القلب الذي لا يرق ولا يرحم ولم تستطع ان تلينه وانت حي . ان كنت الساعة كما اظن روحاً ضالاً تجرد من شكله الآدمي . انك طائر حولنا فانظر هذه العبرات وافرح وتهلل . احببت مدى حياتك فأصبحت محبوباً بعد موتك . فاذا كان هـذا هو حظك وان هذة القاسية لم ترد ان تبيعك الهوى الا بهذا الثمن فقد نقدتها الثمن الذي طلبته واشتريت حبك بحياتك

المنشدون — ان هو الا ثمن فادح للمعطي وعديم النفع قاس لمن اخذه

سيلفيا — اواه ! الا استطيع ان ابتاع حياته ثانية بحبي او دمي ان كان مات حقاً !

دفنيه — يا لحكمة متأخرة ! ويا لشفقة اتت بعد اوانها !

المنظر الثاني

دفنيه — سيلفيا — المنشدون — ايرجاست

ايرجاست — لقد فاض فؤادي بالفزع والحنان فلم اعد انظر ولا اسمع ولا اجد هناك حيث تقودني قدماى غير المزعجات والفاجعات

المنشدون — ماذا اتانا به من الانباء هذا الذى يبدو الاضطراب من حالته وكلامه

ايرجاست — جئتكم بنبأ فاجع مؤلم الا وهو موت ( امنت )

سيلفيا — وا اسفاه ! ماذا يقول؟

ايرجاست — لقد هلك اشرف راع في هذه الغابات بل اجمل فتيانها واحبها الى الناس واعزها لدى الحور و ( الموز ) . قضى وهو في في ريعان شبابه بميتة ناهيك بفظاعتها

المنشدون — نتوسل اليك ان لاتخفى عنا شيئاً ليتسنى لنا ان نبكي معك شقاءه وشقاءنا

سيلفيا — واحسرتاه ! ألا استطيع ان اقترب لاسمع مالا مندوحة من سماعه . مم تفزع ايها القلب الجاحد يا من هو اشد من الصخر ؟

حرض بالعكس هذا الراعي على سرد حديث يجسم لك قسوتك — انني لمشاطرة في هذا الالم الذي ستذيعه . بل يخصني ويهمني ان اشعر به اكثر مما تظن وسألاقيه بمثابة جزاء عادل استحقه فحدثني عنه دون ان تترك شيئاً

ايرجاست — انني لا أرتاب في قولك ايتها الحوراء فلقد سمعت اسمك من فم هذا المنكود عند موته

دفنيه — ابدأ اذن بهذا الحديث الاليم

ايرجاست — كنت في منتصف سفح اكمة مددت بها حبالاتي فلمحت على مقربة مني ( أمنت ) سائراً مكفهر الوجه مضطرباً فتأثرته فلحقت به ووقفته فقال لي : «انني انتظر منك خدمة جليلة يا ( ايرجاست ) فتعال معي لتشهد فعلي واريد قبل كل شيء ان تقسم لي انك تبقى بعيداً عني ولا تعقني عما سأعمله» عملت حسبما اراد ( وما كنت لأتصور مثل هذا القصد الغريب وهذا الخلق الاحمق ) وأقسمت بأيمان هائلة فدعوت ( بان وباليس وبرياب وبومون وهيكات ) الليلية . ثم يمم طريقه وقادني الى اكمة قائمة السفح فوجدنا فيها بين الصخور والانقاض الاجراز مهوى ينزل الى الوادي فوقفنا هناك والقيت نظرة الى أسفله فتقهقرت نافراً من الذعر . ولكن ( امنت ) هدأني بابتسام ملؤه الطمأنينة قائلا : « قص على الرعاة والحور ما تشهده » ثم نظر الى اعماق المهلك قائلا : « اود ان اموت بأفواه الذئاب الشرهة وأنيابها الحداد ان استطعت ان

أتصرف فيها كما اتصرف في هذه الصخور . اريد ان تمزق اعضائي كما تمزقت وا اسفاه اعضاؤها اللطيفة . وحيث ان الاله يأبى عليّ ما اتمناه من ملاقاة الضواري بارتياح فاني اسلك طريقاً اخرى للموت وان كان الواجب علي ان لا اسلكها فانها على الاقل اقرب الطرق الى الموت . انى اريد ان اتبعك يا ( سيلفيا ) واتحد معك اذا كنت لا تستنكفين من هذا . سأموت مطمئناً اذا وثقت بأن مجيئي لا يعكر صفوك وانك تركت الاحتقار والازدراء مع حياتك . انني ذاهب اليك يا ( سيلفيا ) وما اتم هذه الكلمات حتى رمى بنفسه في اعماق الهاوية ولبثت متثلجاً من الرعب

دفنيه — يا له من مسكين بائس !

سيليفيا — واأسفاه !

المنشدون — ولم لم تمنعه ؟ هل أعاقتك ايمانك؟

ايرجاست — كلا ! فاني احتقرها في ظروف كهذه اذا كنت أعرف تصميمه المشؤوم وقد اندفعت وراءه ولكن أبى عليه حظه القاسي فامسكت به من منطقته الحريرية ولكنها لم تستطع أن تتحمل مقاومته ولا ثقله فتمزقت وبقي منها قطعة بيدي

المنشدون — وكيف صار جسم هذا المنكود ؟

ايرجاست — هذا ما أجهله لاني كنت في شدة الذعر والشفقة فلم استطع ان أنظر في الهاوية لأشاهد أعضاءه وقد تقطعت ارباً ارباً

المنشدون — يالها من مصيبة غريبة !

سيليفيا — اواه ! لا ريب ان فؤادي قد من صخر لان هذا الخبر لم يقض عليّ . واذا كان الموت المكذوب لمن تمقته قد أودى بحياته فمن العدل ان يقتلني الموت الحقيقي لراع شغفه حبي . واذا لم يستطع الالم ان ينزع مني الحياة فسينزعها على الاقل السلاح أو هذه المنطقة التي لم تلحق بصاحبها اللطيف عند هلاكه والتي بقيت لتنتقم مني لشدتي الكافرة وموته الذي يفتت القلوب . أيتها المنطقة التعسة ومن صاحبك أشد منك تعسا انني لا اهينك ببقائك بين يديّ هاتين المقوتتين. انى ادخرك لأجعلك آلة للانتقام والقصاص . كان ( امنت ) في الحقيقة يريد ان ينالني لاكون له قرينة في الدنيا . وحيث اني لم أقبل منه هذا فسأكون بعونك قرينته في الجحيم

المنشدن — تعزي يا ( سيلفيا ) المسكينة فالحظ هو الجاني لاأنت

سيلفيا — مم تبكون ايها الرعاء ؟ وان كنتم تبكون لألمي فانى لا استحق الرحمة لانني لم استطع ان اعرفها واذا كنتم تنوحون على موت ضحية بريئة فان هذا دليل ضعيف على مصاب عظيم . وانت يا ( دفنيه ) استحلفك بالله ان تكفكفي دموعك ان كنت انا سببها اتوسل اليك رحمة به لابي وهو احق بالرحمة من غيره ان تذهبي معي لنبحث عن بقاياه التعسة لندفنها . وهذا الشاغل وحده هو الذى يبقى عليّ لأحي وان كنت لا استطيع ان اعمل اكثر من ذلك فأنى اود ان أؤدي هذا الواجب جزاء

لحبه لي . وان كانت هـذه اليد القاسية ربما تدنس هذا المكان الطاهر فأني اعلم ان اتمام هـذا العمل سيرضيه ويكون عزيزاً لديه . وان موته لبرهان اكيد على حبه

دفنيه — قد قبلت ان اساعدك على هذا الاهتمام الديني ولكني انكر فكرة الموت بعد ادائه

سيلفيا — انني ما حييت لغاية هذه الساعة الا لي وحدي ولقسوتي والان فأني اريد ان اقضي ما بقي لي من الايام لاجل (امنت) والافيكون ذلك لجثته الباردة الهامدة ولا ابغي ان اعيش في هـذه الدنيا بعد هذا وستكون جنازته خاتمة حياتي . خبرني ايها الراعي اية طريق توصـل الى الوادي الذي توجد به هذه الهاوية ؟

ايرجاست — هذه الموصلة اليها والمسافة بيننا وبينها قصيرة

دفنيه — فلنذهب وسأرشدك اليها لانني اذكر جيـداً هذا المكان

سيلفيا — وداعاً أيها الرعاة . وداعاً ايتها الحراج والانهار .

ايرجاست — من يسمع قولها يظن انها تستعد للرحيل الابدي

المنشدون — تصلح يا (امور) ما يدمره المنون وانك لصديق السلام كما هو صديق الحروب انك تنتصر وتحكم بقوته . انك تجعل الغبراء مماثلة للخضراء حينما تجمع بر باطك روحين جميلين لانك لا تفر ولا تردى مقامه . لا اثر هنا للغضب اذ تلطف الناس وتطرد البغض

من القلوب الطيبة انك تسكن الف غيظ وتقرب بسلطتك العظيمة الاشياء الفانية وتمنحها نظاماً خالدا

## الفصل الخامس

منظر واحد

ايلبان — المنشدون

ايلبان — حقاً ان شرائع ( امور ) التي يفرضها مدى الابد على امته ليست بصارمة ولا ظالمة وكثيراً ما ينكرون عليه بغير حق اعماله المملوءة بالحكمة والاسرار . ليت شعري بأية حيلة أم بأية طريقة خفية يقود الانسان الى وسط السعادة وينقله الى الملذات العلوية حينما يظن نفسه أتعس الناس ها هو ( امنت ) قد صعد من أعماق الهاوية واقتعد ذروة جميع المسرات . انك لسعيد يا (امنت ) فقد منحت من الهناءة بقدر ما قاسيت من البؤس والشقاء ومثالك يسمح لي بأن أؤمل من هذا الجمال القاسي الذي كان يخفى تحت ستار الرحمة الكاذبة قلباً حديداً ان يبرىء بحنو صادق الجراح التي احدثتها بفؤادي رحمتها المائنة

المنشدون — هاهو قد اقبل ( ايلبان ) الحكيم وهو يتحدث عن ( امنت ) ويلقبه بالسعيد كأنه ما زال حياً . وما اشد حال المحبين . يعتقد بلا ريب المحب الذي يموت انه نال السعادة والهناءة ان صادف

موته شيئاً من الرحمة في فؤاد حوارئه وهذا الذى يلقبه بجنة الهوى وهذا ما يتمناه . فياالجزاء حقير يثيب به الاله ذو الجناحين ارقاءه . هل بلغ منك البؤس لحد ان تعتبر موت ( امنت ) الذي يرثى له ضرباً من ضروب السعادة ؛ اتتمنى موتا مثله ؟

ايلبان — كونوا فرحين مستبشرين أيها الخلان فان اشاعة موته كانت كاذبة

المنشدون — واها لك ! ماذا تخبرنا به ؟ ما أعظم ما عزيتنا به ! هل لم يكن اذاً حقاً خبر سقوطه في الهاوية ؟

ايلبان -- بل بالعكس فان هذا هو الحقيقة ولكن سقوطه كان هنيئا ولقد نال الحياة والمسرة تحت صورة الموت الفاجعة . وهو الآن مستريح في أحضان حورائه العزيزة . وقد أصبحت حنوناً شفيقة بقدر ما كانت قبل قاسية الفؤاد تمسح العبرات عن عينيه النجلاوين . وسأذهب في طلب ( مونتان ) والد ( سيلفيا ) وآتى به ليكون بجانبهما اذ لا ينقص اتحاد حظيهما الا قبوله

المنشدون — انهما متساويان في العمر والمحاسن متحدان في الغرض و ( مونتان ) الطيب يتلهف شوقاً لاحفاد يكونون له عوناً على هرمه وسيعمل طبقاً لرغائبهما . ولكن نتوسل اليك يا ( ايلبان ) ان تقول لنا أي اله أم أي حظ موافق حمى ( امنت ) وقت سقوطه

ايلبان — لكم ما سألتم فأصيخوا لي واسمعوا ما رأيته بعيني .

كنت أمام غاري الملاصق للوادي ولجانب الاكمة التي فيه يتقوس منحدرها اتحدث مع (تيرسيس) عن التي غلته بسلاسل الهوى التي ربطت بها بعده وكنت أفضل اسري العذب الهنيء على حريته التي ظفر بها. لفت انظارنا صياح فشاهدنا رجلا اندفع من عل فوقع فوق خميلة. كانت الأكمة مجللة بالكلأ والاشواك والافنان المشتبكة المتلبدة كأنها ابالة عظيمة تغطي الموقع الذي علانا منها. فوقع اولا في هذا المكان ثم كسر ثقل جسمه هاته العقبة وسقط من بين هذه الخمائل الى جوانب الاكمة. تلطف سقوطه بهذا الشكل فلم يكن قاتلا ولكنه كان خطيراً اذ لبث مغشياً عليه اكثر من ساعة. تفطر منا الفؤاد من هول هذا المنظر فلبثنا صامتين من الذهول والتأثر حينما عرفنا (امنت). ولكننا حينما رأيناه ما فتيء يردد انفاسه وقوي املنا في حياته تلطف المنا ثم قص عليَّ (تيرسيس) ما انتاب هذا الراعي المسكين من هموم الهوى. حاولنا انعاشه بكل وسيلة واخبرنا (الفيزيبيه) التي تلقت الطب عن (ابللون) وقتما كان يعلمني التوقيع على الكنارة والمزهر. ولما اقبلت (دفنيه) و (سيلفيا) في طلب هذه الجثة وقد ظننا انه فارق الحياة. ولكن (سيلفيا) لم تكد تعرف (امنت) حتى اصبح لونها شاحباً يزري بجمال لون البنفسج الصافي ورأته مضنى كأنه يوشك ان يسلم الروح فأخذت تصيح مثل (بكنت) وتضرب صدرها وارتمت على جسم (امنت) الممدود ووجهها فوق وجهه وفمها على فمه

المنشدون — ألم يمنعها الخجل وهي هي الشديدة القاسية المستكبرة؟

ايلبان — لا يمنع الخجل غير الحب الضعيف وما هو الا رادع واهن للحب الشديد العنيف. ثم انهمر الدمع من عينيها كماء الينابيع وروت به وجهه المثالج وبلغ من خاصية هذه العبرات ان اعادت اليه الحياة ولما فتح عينيه تنهد تنهداً مراً من اعماق صدره وانبعث من فؤاده برنة تألم وتوجع فقابل تنهد حبيبته ولقفته شفتاها العاطرتان فتلطف فجأة — من ذا الذي يستطيع ان يصف نشوتهما من هذا العناق! وقد كانت (سيلفيا) واثقة من حياة محبها كما كان (امنت) واثقا من حب حوارئه فليحكم هذا الذي يحب بنفسه فان ذلك لا يتأتى التعبير عنه

المنشدون — هل اصبحت حياة (امنت) بعيدة عن الخطر؟

ايلبان — اجل غير انه اصيب وجهه بخدوش خفيفة وجسمه ببعض رضوض ولـكنه لا يعيرها اقل اهتمام. فهو سعيد بأن قدم اعظم برهان للحب وذاق اليوم حلاوة الجزاء. ولقد زادت الهموم والمخاطر قدر هناءته وسعادته هذا واسأل الله ان يرعاكم بعين عنايته. اما انا فسأتمم طريقي واذهب في طلب (مونتان)

نشيد

اني لا ادري اذا كانت مرارة الحب التي تجرعها هذا الراعي وعبراته ويأسه قد تلطف الآن بفرحه. وانما تـكون السعادة اعز واغلى واعذب مذاقاً بعـد الآلام. اني لا أسألك يا (أمور) هذه السعادة العظمى

فأفض على غيري بمثلها وكفاني ان تقبلني حوارئي دون توسلات مستمرة واستعباد طويل وليكن الغضب اللطيف هائجاً لحبنا بدلا من العذاب الشديد القاسي

Giacomo Leopardi

# چاكومو ليبوپاردي

هو فخر شعراء ايطاليا (الكونت جاكومو ليبوپاردي) ولد بمدينة (ريكانتي) سنة ١٧٩٨ وتوفي بناپولي سنة ١٨٣٧ . ولم يقتصر على الشعر بل كان عالماً فاضلا منذ صغره اذ كان وهو في ربيعه السابع عشر متقناً للغات اللاتينية واليونانية والعبرية والفرنسية والاسبانية والانجليزية وكان متبحراً في عدة علوم . احرز كل هذا الفضل دون معلم تقريباً ونشر اول مؤلف له بعنوان (حياة پلانان) سنة ١٨١٤ اي وهو في السادسة عشر من عمره وكذلك حياة (پورفير) وتاريخ الفلك وشروحاً (للالياذة والاوديسيه والأينيد) وهذه المؤلفات دلت على سعة اطلاعه وتعمقه في العلوم . وفي عام ١٨١٨ نشرت له جريدة (السپكتاتور) بميلان عدة قصائد كانت آية في الابداع ووضعته في الصف الاول من كبار الشعراء الوجدانيين

استقر بعد عدة اسفار بمدينة (فلورنسا) ووجد هناك بعضاً من أصدقائه وناله من برهم ما أراح ضميره وكفوه شر العوز وهم الفقر

وفي سنة ١٨٣٣ اصطحبه ( رانييري ) الى ناپولي وقضى فيها سني حياته الاخيرة يقاسي آلام المرض وتشوه شكله عقب احديداب ظهره وصدره

وقد كتب نثراً خلاف شعره بعض كتب في الاخلاق والموضوعات الفلسفية وبحثاً في اوهام العلماء الاقدمين ومجلدين للرسائل وغيرها

قاسى هذا البائس منذ طفولته آلام القسوة والاضطهاد والعوز والمرض وكان ابوه فظا قاسياً يعامله بكل خشونة

ولقد اثرت فيه هذه المتاعب واحدثت عنده هموماً واشجانا مافتئت تساوره وتجالده وتبدو في قريضه . وقد استمر في تحسن مطرد لاتقانه الادبيات القديمة حتى اصبح شعره نموذجاً للأبداع والنقاء والعواطف المتأججة والرقة المتناهية والرشاقة الجذابة وما فتيء يعتبر من كبار النوابغ في الدنيا الذين يعدون على اصابع اليد

## A l' Italie

## مخاطبا ايطاليا

ايها الوطن ! مالي اشاهد منك الجدران والاقواس والعمد والتماثيل والابراج المنفردة مما شاده سلفنا ولكني لا ابصر المجد الرفيع ولا اكاليل الغار والبيض الصفاح التي ازدان بها اباؤنا الاولون . فاصبحت عاطلا عن سلاحك عاري الجبين والصدر

اسفى عليك ايتها الغادة الحسناء وانت ماثلة امامي مجللة بالجراح

شاحبة اللون مخضبة بالدماء بحالة تنفطر منها القلوب القاسية ! اسائل السماء والارض عمن قادها الى هاوية الشقاء ؟ واسوأ منه انها مغلولة اليدين منثورة الشعر غير مختمرة جالسة على الغبراء مهجورة لا معزي لها موارية وجهها بين ركبتيها باكية بكاء مرا . — : نوحي يا ايطاليافقد تغلب عليك كثير من المبكيات . يا من ولدت لتقهري الامم في الهناءة والشقاء

لا يوازي بكاؤك بؤسك وعارك ولو فاقت عيناك في ذرف الدمع عينين نضاختين . انت التي كنت فخر السيدات تصبحين اليوم اشقى الخدم !

من يذكرك او يكتب عنك شيئاً دون ان يقول حينما يجول بخاطره ذكرى ما ضيك المجيد : كانت قبل عظيمة فخمة والآن تعوزها العظمة والمجد . ليت شعرى من جنى عليها ؟

اين قوتك السالفة والنصال والشأن والعزم والثبات ؟ من جردك من حسامك ومن خانك ؟ اية مكيدة ام اية قوة عظيمة ام اية سلطة قاهرة نزعت منك حلة وتاجا ذهبيا

كيف كبوت ومتى ومن اية ذروة هويت الى هذا الحضيض ؟ هلا زاد ذو مروءة عن حوضك ؟ هل خذلك اهلوك ؟

اسعدوني بعدة الكفاح فسأقاتل واخوض غمار المنية وحدي ! اللهم استجب نذري واجعل دمي وسيلة لإشعال قلوب الايطاليين بنار الهمم القعساء

اين بنوك ؟ انني اسمع صليل البيض والمران وجلبة العجلات واصوات الطبول : ان ابناءك هؤلاءهم الذين يقاتلون في البلاد الاجنبية . اصيخي الي فانني لم انته بعد من قولي . انني انظر لججاً من الخيل والرجل والدخان والقتام تلمع خلالها المهندة كوميض البرق في الضباب الحالك . فهلا شدت ازرك هاته الجيوش وزادتك سطوة وبأسا ؟

اتسرحين طرفا حائرا صوب هاته المعارك القصية ؟ اتدرين لم تشن الشبيبة الايطالية هذه الغارة الشعواء ؟ اللهم ان هذه السيوف الايطالية لم تفارق اغمادها وتشتبك بغيرها الا لمواطن اجنبية ! تعسا لمن يقتل في الوغي لا لوطنه المحبوب اوعقيلته التقية واولاده الاعزاء بل من ضربات الاعداء لاجل امة اخرى ولا يقدر ان يقول عندما يفارق الدنيا : هاك حياتي ايها الوطن العزيز اردها اليك كما منحتنيها

هنيئا للاعمار الغابرة العزيزة المباركة التي كانت فيها تقتحم الامم هول المنون صفا صفا حبا في الوطن

خلد الله شرفك ومجدك يا مضايق تساليا التي كانت فيها الفرس المنكودون اضعف من فئة قليله من الارواح الحرة الكريمة ويخيل ان الشجر والمدر واللجج واطوادك تقول للمارة بصوت خفي : كيف افترشت هذه الكتيبة بجثثها واشلائها هذا المضيق وما كانت هذه النفوس الا مكرسة لبلاد الروم

ثم ولى ( خشايرشاه ) الادبار عن طريق ( ايلاسبون ) وهو بحالته

القبيحة الوحشية فجعل ابناء اخواننا يسخرون منه وصعد ( سيمونيد ) اكمة ( انتيلا ) وبها خلد ذكر من قتل من الجند وطفق يردد ناظريه في السماء والبر والبحر وهو مبلل الخدين بدمعه المدرار يلهث صدره ولا تكاد تحمله ساقاه . ثم تناول كنارته وانشد : يا لكم من سعداء يامن تلقيتم طعنات اسنة اعدائكم بصدور رحيبة حباً في وطن منَّ عليكم بنعيم الحياة فاصبحت بلاد الروم تشرفكم وتمجدكم والورى يفتخر ويعجب بكم . كم تجشمت نفوسكم من مضض الالآم التي انتابتكم من النصال والمخاطر والمهالك فاي حب اعمى قادكم الى هذا الحظ المنكود

ايها الابناء ! كيف ظهرت امام اعينكم ساعة الموت سارة شائقة فهرولتم باسمين مستبشرين الى هذا الممر الوعر المميت؟ يظن من رآكم انكم ذاهبون الى مراقص الولائم الفاخرة لا الى الموت الزؤام . فتربص بكم الدوائر واغتالكم هذا التتري الغليظ القلب وجنده السفاحون فوردتم حياض الحمام دون ان تلتف حولكم حلائلكم وابناؤكم ليودعوكم بقبلهم الحارة ودمعهم الهتان

اصابكم ما اصابكم بعد ان ابليتم في الفرس بلاء حسناً وكنتم كضيغم انقض على قطيع من الثيران فتارة يعلو هذا ويشق ظهره بانيابه الحداد وطورا ينهش جنب الآخر او فخذه حتى تميز اعداؤكم من الغيظ وعرفوا قدر قلوب اليونان

كنت ترى خيلا وفرساناً مجندلة وعجلات مقلوبة مقوضة كانت

عقبات امام من ركبوا متن الفرار والظالم الغشوم يعدو في طليعتهم شاحب الوجه منفوش الشعر والكل مضرج بالدماء . وقد سبب فرسان الروم لافرس كروبا يفوتها الحصر وما لبثوا ان قهرتهم جراحهم ووقع بعضهم فوق بعض

ايها الشجعان السعداء ! سيخلد مجدكم وشرفكم ما دامت الدنيا . وستقلع النجوم وتهوى في اليم ويسمع لانطفائها نشيش في هذه المهاوي السحيقة قبل ان تفني شهرتكم او تضعف . ان قبركم لمحراب تؤمه الامهات مع اطفالهن ليظهرن لكم آثار دمائكم الشريفة . بل انا نفسي اركع على هذا الثرى ايها الابطال المباركون والثم هذه الاحجار والاعشاب التي سيدوم صيتها بين الخافقين . ليتني كنت رفيقكم في هذا الرمس وارتوت من دمي هذه الارض المبجلة الممجدة ! فان خط القلم في لوح القضاء غير ما ابغي ولم يسعدني الحظ بان اقتل في الوغى واغمض عيني المائتتين لاجل بلاد اليونان فأنعمي ايتها الالهة على الشاعر بخلود صيته النقي ما دامت شهرتك ذائعة بين نسلنا في العصور القادمة

## Le Chant Nocturne d'un Pasteur Nomade de l'Asie

## النشيد الليلي لراع أسيوي متنقل (١)

ماذا تعمل أيها القمر في السماء ؟ انبئني بعملك أيها البدر الصامت ؟ تبزغ ليلا وتسير مشاهداً البوادي ثم تأفل . أما تعبت من مرورك دوماً في السبل الخالدة ؟ ألم تشعر بملل ام لا زلت ترغب في رؤية هاته الوديان . ما أشبه حياة الراعي بحياتك ! اذ يستيقظ في تباشير السحر ويقود ماشيته الى الحقول فيرى أمامه قطعاناً وعيوناً ومروجاً ثم يحل به النصب من موالاة طوافه طول النهار فينام في المساء دون أن يؤمل شيئاً آخر . خبرني اذن ايها القمر ماذا ينفع عيش الراعي وأية فائدة في حياتك ؟ ليت شعري ما الغرض من عبوري السريع ومسيرك المتواصل الدائم ؟

شيخ همّ مسكين ذو عاهة لا يكاد يستر ثوبه الخلق نصف جسمه حافي القدمين يحمل عبأ ثقيلا لا يفارقه أنى سار ، فطوراً يمشي على الصخور المدببة وتارة على الرمال العميقة ، يخترق الخمائل المتلبدة وتؤمه الرياح وتقتفيه العواصف ، يقاسي القر والهجير مداوم جربه لا يقفه الا سيل يخوضه او جبل يصعده ، يكبو وينهض فيسرع سيره دون ان يقف او يستريح حتى يتمزق جسمه وتضرجه الدماء الى ان يبلغ نهاية

---

(١) كثير من هؤلاء الرعاة يقضون ليلهم جالسين فوق صخرة ناظرين الى القمر مترنمين بأناشيد مشجية محزنة يرتجلونها ونغمات لا تقل تأثيراً (كما ورد فى رحلة ميندورف من اورنبورج لبخارى سنة ١٨٢٠)

طريقه التي حددها له الاعياء والنصب وهنالك يجد في انتظاره هاوية فظيعة سحيقة فيهوي اليها وينسى كل ما تجشمه وقاساه . هذا مثل الحياة الفانية أيها القمر المنير

يولد الانسان بعناء ثم يكون عرضة للموت . يشعر اولا بالألم والعذاب فيشرع أبواه في تعزيته عن ميلاده مذ يوجد في المهد ، وحينما يترعرع يدأبان على مساعدته الى ان يكبر ثم يبذلان جهدهما في تثبيت فؤاده بالفعال والاقوال وسلوانه علي ان اصبح رجلا حمال اعباء : والأهل لا يصنعون أحسن الجميل وأجل الصنيع لاولادهم . فلمَ يولد ويقاد الى الحياة من سيعزى عنها ؟ وان كان الوجود شقاء فلم تقوي دعائمه ؟ هذه حال الناس الفانين أيها البدر الساطع . ولكنك لست عرضة للموت فلذلك لا تحفل ولا تتأثر مما بحت به اليك

أيها المنفرد الجوّاب الخالد ! ربما تعلم سر الحياة الدنيا وآلامنا وزفراتنا وكنه الموت و شدة شحوب الوجه عند ما نودع الارض وذاك الحزن وقت مفارقة خلان أمناء محبين اوفياء . انك لتعلم علة الاشياء وترى فائدة الصباح والمساء ومسير الزمن الصامت الذي لا نهاية له . أنت الذي تعرف لاي حب لطيف يبسم الربيع ولمن ينفع الفصل المحرق ولأي غرض الشتاء القارس أنت الذى تعلم آلافاً من الاشياء وتكتشف فيها آلافاً غيرها لا تخطر على قلب الراعي الساذج . وفي اغلب الاوقات حينما اراك صامتاً محلقاً فوق السهول المقفرة التي تتاخم أرجاؤها المترامية

السماء او تتبعني خطوة بخطوة وانا قائد ماشيتي ! وعند ما انظر الكواكب متلألئة في السماء اقول وانا غارق في التفكر : لمَ هذا الضوء الجم ؟ وماذا يفيد الاثير والجو اللذان لا نهاية لهما ؟ ما معنى هذه الوحدة العظيمة ؟ ومن انا ؟ هذا ما جال فيه فكري ، اما هذا المقام العظيم الذي لا تقاس مدته وتلك الكائنات التي تمددت انواعها وفصائلها وذاك النشاط والحركات العديدة الصادرة من الاجرام السماوية والاجسام الارضية التي تدور وتسير دون انقطاع لتعود دائماً الى مصدرها فاني لا استطيع ان افهم لها اى غرض او اية فائدة . ولكنك ايها الخالد المختال بشبابه لا تجهل شيئاً ما . وجل ما اعلمه واشعر به ان هذا الدوران الدائم ووجودي الواهي ربما كان فيهما خير او أرضاء لآخر ولكني ارى في حياتي شقاء وشراً

ما أسعدك يا ماشيتي المستريحة ! لانك لا تعرفين بؤسك بيد أني لا اجهله : طالما نظرت اليك بعين الحسد لانك لست عرضة للهموم بل لكونك سرعان ما تنسين كل نصب وشقاء وفزع لا سيما انك لا تشعرين بأي ضجر وملل . حينما تضطجعين في الظلال على العشب تكونين مطمئنة مسرورة وبهذه الحال تقضين معظم العام خلية البال . اني اضطجع مثلك على الكلأ تحت الافياء ولكني لا ألبث ان يساور الضيق نفسي ويخيل اليّ ان ابراً تخزني حتى اتصور وانا ممتد على تلك الحال اني ابعد كثيراً عن الدعة والراحة . وفضلا عن هذا فاني لا اتمنى

شيأ وخلي من المحزنات المبكيات. اذن ما هو فرحك وبهجته ، هذا مالا اقدر ان افوه به وما انت الا سعيدة على كل حال . ولكني قليل السرور يا شاتي وليس هذا وحده ما اشكو منه . ولو كنت تستطيعين النطق لعرضت عليك هذا السؤال : حدثيني لم تستريح كل بهيمة كيفما تريد في حالة السكون ، هل هي مطمئنة بينا يهاجمني الضيق والسأم ان ركنت الى الراحة ؟

ربما لو كان لي جناحان فأطير فوق الغمام واعد الكواكب نجما نجما أو أضل كالرعد فأطوف من ذروة لاخرى لأصبحت اسعد حظاً يا غنمي، وربما كنت انعم بالا ايها القمر الزاهر . واظن اني لو نظرت في حظوظ الكائنات لضل مني الحجى . واخال ان يوم الميلاد يوم مشؤوم لكل مولود من المخلوقات مهما كان نوعها الذي تنسب اليه والحالة التي توجد عليها سواء اكانت في المهود او في الزروب

La Vie Solitaire

حياة العزلة

في الصباح حينما ترفرف الدجاجة بجناحيها وتطفر متهللة في مأواها بينا القروي مطل من طنف ترسل اليه الشمس اشعتها المختلجة خلال قطرات الوابل المنهمر — ايقظني نقر المطر اللطيف على كوخي فنهضت

وباركت للسحب الصغيرة وتغريد الطير والنسيم العليل والضفاف المونقة الباسمة

طالما ابصرتك وعرفتك ياجدران المدينة المشؤومة التي تضم بينها البغض والألم . عشت بين الهموم ونكد الحياة وسأموت قريبا على تلك الحال ؛ تظهر لي الطبيعة في هذه المواطن بعض الرحمة ولو انه قليل لكنه طالما غمرتني فيما سلف بوافر الحنان والعطف

تغضين طرفك ايتها الطبيعة عن البائسين وتحتقرين الشقاء والبؤس واصبحت رقيقة للسعادة . ولم يبق في السماء ولا في الارض صديق او ملجأ لمن خانهم الحظ الا السلاح القاتل

كنت اجلس تارة في مكان منعزل فوق ربوة قامت على حافة بحيرة احدقت بها نباتات ساكنة . وهناك حينما تتوسط الغزالة كبد السماء فتنعكس صورتها الساكنة فلا ترى اعشاباً ولا اوراقاً تتحرك او تموجا يجعد وجه الماء او جندبا يصر او طيرا يدف بجناحيه تحت الغصون او فراشا يهمس ولا يرى او يسمع عن قرب او بعد اي صوت او حركة وخيم سكون عظيم على هذه الضفاف فلذلك كنت اجلس دون حركة وانسى الدنيا ونفسي ويخيل اليّ ان جوارحي ملقاة متفرقة ليس بها اقل رمق من الحياة او عاطفة وان راحتها اختلطت بسكون هاته الاماكن

ايها الحب ! لقد طرت بعيداً عن قلبي وكان قبل ملتهبا شدت عليه

بقوة يد المصائب الممقوتة فاصبح كأنه قد من ثلج وهو في زهرة شبابه. اني لأذكر الآونة التي تسربت فيها الى احشائي في الايام الرغدة التي لااطمع في عودها وكان ينفتح فيها مسرح هاته الدنيا المنحوسة امام اعين الشبان ويبسم لهم كخيال من الجنان

تخفق الاماني والآمال فى قلب الفتى ويتأهب هذا الشقي الذى كتب عليه الموت لأعمال الحياة تأهبه للرقص واللعب . ما لاقيتك ايها الحب الا بعد ان سحق حظى حياتي ولازمت العبرات عيني . غير اني تارة في الضفاف الاريضة عند طلوع الفجر الصامت او وقتما تضيء الشمس سقوف المنازل والآكام والخلوات اصادف فتاة مشرقة المحيا فاقف . بينا انا سائر اتنزه في ليلة من ليالي الصيف حفتها الدعة في انحاء المدينة حيث تقودني قدماي اشاهد الخلاء المقفر لأسمع غناء شجياً لطفلة يرن ترنمها في جوانب غرفة منفردة وهي مشتغلة بعمل يدوي فحينئذ يخفق قلبي ولكن واأسفاه لا يلبث ان يعود الى خموده البشع اذ اصبحت كل التأثرات الحلوة غريبة امام النفس

ايها القمر العزيز ! ترقص الارانب في آجامها مستنيرة بسناك فيشكو الصائد في الصباح من اختلاط آثار اقدامها واشتباكها الذى يحيره وتبعده التعرجات عن جحورها . فسلام عليك ايها البار ملك الليالي ! حينما ينفذ ضوءك الى خمائل العوسج والصخور والدور المتهدمة يضايق اللص شاحب اللون وينم على سلاح يبرق في نورك يحمله وهو منصت

متربص لجلبة العجلات والخيل او وقع الاقدام فوق الطريق الصامتة . هنالك تتثلج جوارح المسافر من الفزع والرعب حينما يسمع على غرة منه قعقة سلاح قاطع الطريق وصوته المزعج ثم ينقض عليه ويسلبه ويتركه ملقى على الحجارة كالميت من الهول . سناك الناصع ممقوت عند الفاسق حينما يصادفه في الطريق وهو مسرع في سيره يتمسح بالجدران ليتوارى في ظلها فيقفه من الخوف ضوء المصابيح والشرفات . نورك يسمُ النفوس الشريرة ولكني احب ان اشاهده فوق هاته الضفاف حيث تظهر امام ناظري الآكام السارة والسهول الفسيحة غير اني اعتقدت ولا تثريب عليّ ان اتهمت شعاعك الجميل حينما ينم عليّ للعابر ويعرض امام باصرتي وجوها آدمية

لأداومن على الثناء عليك منذ اليوم سواء ارأيتك خيالا في الغمام او مشرقا في سماء رائقة ومجللا السهل الأنيق بنورك ناظرا الى مقام الانسان الذي يرثى له ويستثير الرحمة والحنان . وستبصرني في اغلب الاحيان منفردا صامتا ضالا في الحراج والشواطيء المخضرة الزاهرة جالسا على الكلأ مسروراً ان بقى لى قلب ونسيم للتنفس ؟

## Le Dernier Chant de Sapho

## غناء سافو الاخير

ليل هادىء وبدر طاهر السنا انشأ يغرب . وانت يا رسول النهار

يا من يطلع في الغاب الصامت وفوق الصخور . ايتها المناظر التي كانت تشوقني قبل ان اعرف القضاء والقدر والآن لا يبسم خيالك اللطيف لهوى فارقه الأمل . ما فقدناه من الفرح يتجدد ويزدهي حينما تنشر الجنوب في الهواء الرائق سحبا من العجاج وتضطرب الخلوات وترعد فوق رؤوسنا عجلة ( المشترى ) فتمزق السماء المكفهرة . تبتهج نفوسنا ونحن بين الصخور والجلامد والوديان العميقة منغمسون في العذاب او من رؤية قطعان جافلة هاربة او سمع هياج نهر عميق ترتطم امواجه في شاطيء لايكاد يظهر وان نسرح الطرف في غضب لجه الظافرة

ما افخم رداءك ايتها السماء المقدسة وما اجملك ايتها الارض المخضلة بقطر الندى ! لم تمنح الالهة ولا الحظ الكافر ( سافو ) المنكودة قسطا من هذا الجمال الذي لا يحد . انها لأحدى المهينات المقوتات من ساكني ممالكك الفخمة واصبحت معشوقة محتقرة . فلا تطمعي ايتها الطبيعة ان يلفتني بهاؤك ومحاسنك فأوجه ناظري وقلبي صوبك متوسلة ضارعة . لست ممن تبسم اليهن شواطيء انارتها ذكاء او نور الصباح ينفذ من باب طلي ولا ممن تحييهم طيور تجلببت بثياب مفوفة متباينة الالوان او حفيف اشجار الزان . ولو ولجت في ظلال الصفصاف ذي الغصون المائلة يجري تحتها غدير فرات بلوري ، فلا اكاد اضع قدمي على حافته الا وتنفر مني امواجه استنكافا فتختفي وتضغط من الغيظ على حوافه الشذية وهي مدبرة

ليت شعري اي خطأ ام اي جرم فاضح دنسني قبل ظهوري في

عالم الوجود ؟ هل ولدت لتكشر لي السماء و الجد عن انياب حداد ؟ ترى ماذا اقترفته في سن الطفولة الذي لا يظن فيه اقل سوء حتى تحل خيوط لحمة حياتي المتينة بمغزل ربات الأجل التي لا ترق ولا تشفق قبل التمتع بالشباب وزهرته ؟ لقد لفظت شفتاي اقوالا لم يك لها التبصر رائداً: اذ برأس مقصد غامض الحادثات التي تدخرها لنا الاقدار . كل شيء تغشاه سحب من الاسرار الا الأم . فوا أسفا لجنس مهمل لم يولد الا للعبرات ولا يدري السبب الا الآلهة . فيا لأماني وآمال في السنين الزاهرة ! قد اكسب الخالق المناظر الفتانة سلطة خالدة في الدنيا فلا تستطيع القوى العظيمة أو الكنارة ولا اشجى الغناء وابلغه أن يشهر الفضيلة ويظهر بهاءها ان توارت في حجاب عاطل من الزخارف

سنموت وترد اجسامنا الكريهة الى الارض وتلجأ ارواحنا الى الجحيم لتصلح خطأ عنيفاً ارتكبه الحظ الاعمى موزع الامور والحادثات. وانت يا من شغفت بك بلا طائل وحفظت امانتك وعهدك زمنا طويلا وثملت من نشوة رغائب لا يهدأ ثائرها ولا تجدي نفعا . احي سعيداً ان عاش قبلك مخلوق مات ونعم بدنياه . قتر عليّ ( المشتري ) شرابه الحلو بعد ما ذهب غرور طفولتي وأمانيها . تمر ألذ وأسعد أيام الحياة قبل غيرها ثم يعقبها السقم والكبر وظل المنية المثلج . ولم يبق لي من الفخر المؤمل وأماني الغرور المبهجة الا الموت . وقد نذرت فطنتي الوقادة لربة السعير وليل سقر الأليل وشاطئ نهرها الصامت

## Silvia

### سيلفيا

أتذكرين ياسيلفيا أيامك الفانية حينما كان الجمال يتلألأ في عينيك الساحرتين المفعمتين ببروق خفية وقد سلكت باب الشباب متهللة مفكرة

كان صدى غنائك الشجي المستمر يرن في مأواك الذي خيمت عليه الدعة والسكون والطرق المحدقة به وأنت جالسة تشتغلين بعملك اليدوي ناعمة البال مستبشرة بمستقبل زاهر باسم تشبع فكرك منه . وكان وقتئذ شهرايار الشذي الذي اعتدت أن تقضي فيه نهارك على تلك الحال

كنت أترك دراستي اللطيفة وصحفاً اخضلت بعرقي وانهكت فيها ريعان شبابي لأنصت من طنف دار والدي لألحانك الشجية وصوت يدك الماهرة وهي تطرز وتوشي بتعب . فكنت أشاهد السماء الرائقة والسبل النيرة والحدائق الغناء وبناحيةٍ البحرُ البعيد وبأخرى الجبل . وما كان للغة من لغات العالم الفانية ان تستطيع تعبير ما أشعر به

ما أحلى فكراً وآمالاً احيت أفئدتنا يا سيلفيا وناهيك باعجابنا وقتئذ بحياة الانسان وحظه الدنيوي . كنت حينما تعاودني ذكرى آمالي العظيمة أحس بوطأة شجون عظيمة أئن منها وأتلهف على شقائي

أيتها الطبيعة ! لِمَ لا تستمر لك حال هنيئة ان مننت بها يوماً ؟ على م تخدعين اولادك بهذا الشكل ؟

وأنت أيتها الفتاة ذات الشباب الغض ! قد فاجأك ألم خفي فقهرك وذهب بك قبل ان يجفف الشتاء المروج دون أن تنظري زهرة أيامك وابتهج فؤادك لجميل المديح والثناء على شعرك الفاحم ونظرك الذي يفيض منه حب مصون مكنون . فكانت رفيقاتك لا يجترئن حينما تجمعك واياهن الاعياد ان يكاشفنك الهوى

رأيت آمالي الحلوة وقد قضى عليها وضنت على الاقدار بالشباب . أسفي عليك ذهبت مبكرة يا من كانت قرينة صباي وذهبت معك آمالي واماني ! أهكذا تكون الدنيا ؟ أهذا مصير المسرات والحب والاعمال والنجاح الذي طالما تحدثنا عنها سوياً ؟ اما وقد أسفرت الحقيقة على عجل وقضيت نحبك أيتها الفتاة المسكينة : مشيرة بيدك الى موت ممقوت ورمس عار عن الزخارف

John Milton

# چون ميلتون

نابغة من فحول شعراء الانجليز ولد بلندره سنة ١٦٠٨ ومات بها سنة ١٦٧٤ . ولقد عهد والده الى ( توماس يونج ) القاسي تربيته الاولى ثم ادخل مدرسه ( كريست ) بكامبردج ومكث فيها من سنة ١٦٢٥ الى سنة ١٦٣٢ فكان من أوائل المدرسة الذين يشار اليهم بالبنان . واقد

نظم اثناء الدراسة في هذا المعهد بعض قصائد باللاتينية والانجليزية نالت استحساناً واعجاباً . وبعد خروجه من المدرسة بقليل ابتدأ ينظم قصائده الفلسفية مثل ( لاأليجرو ) و ( المفكر ) ونشر كوميدية ( اركاد وكاموس ) سنة ١٦٣٤ والكوميديا الخلوية ( ليسيداس ) سنة ١٦٣٧

فارق انجلترا سنة ١٦٣٨ وسافر الى باريس ثم ذهب الى ايطاليا وزار مدنها الشهيرة . وبينما هو يتأهب ليبحر الى اليونان اذ جاءته انباء اضطرابات بلاده السياسية والدينيـة فسافر الى وطنه وحارب دعاة الانقلاب الديني بأن نشر بضعة مؤلفات شديدة الواحد تلو الآخر

وفي سنة ١٦٤٣ تزوج فتاة تسمى ( ماري پوويل ) وكانت ساذجة لا تفهم أعمال زوجها فلم تلبث معه غير شهر واحد ثم عادت الى بيت أبيها وكان ذلك داعية لان يكتب ملتون كتابه ( مذهب الطلاق وتهذيبه ) فهاج ضده كثيراً من النقاد فرد عليهم بكتاب ( اريوپاجيتيكا ) سنة ١٦٤٤ ثم بمجلدين آخرين ( تترا كوردون ) و ( كالاستيريون ) سنة ١٦٤٥ . ثم اصطلح الزوجان ولم يصب صفاءهما أي مكدر الى أن ماتت زوجته سنة ١٦٥٢

لم يتدخل مطلقاً ملتون في الثورة والحرب الاهليـة التي انتهت بقتل ( شارل الاول ) . وقد عين سكرتيراً لاتينياً ( لكرومويل ) وفي اثناء هذه الوظيفـة كف بصره واصبح ارملا ذا ثلاث بنات فتزوج ثانية سنة ١٦٥٦ ( كاترين وودكوك ) وعاشت معه عامين ثم توفيت .

وقد تزوج سنة ١٦٦٣ بثالثة تدعى (اليزابت مينشول) وكانت قديرة مقتصدة وكفته شر العوز بدخل حقير

شرع في تحرير (الفردوس الضائع) وهي فخره ومجده فأملاها لبناته ونشر منها عشرة أناشيد سنة ١٦٦٧ ثم أتم الاثنين الباقيين ونشرها كاملة سنة ١٦٧٤ وهذا المؤلف الخالد قد جمع بين سمو الخيال ومنتهى البلاغة ودقة الوصف وعظمة الاشخاص حتى الشيطان وأعوانه أهل جهنم. وقد نفح الشاعر بفكرة (الفردوس الضائع) من رؤيته حينما كان فتى وساح في ايطاليا مسرحاً يمثل رواية عجيبة تسمى (آدم) من وضع اندريني

وللشاعر عدة مؤلفات في السياسة والاجتماع وكتاب تاريخ لبريطانيا وغيرها

Le Paradis perdu

## الفردوس الضائع

نبذه من النشيد الرابع

حديث ابليس

انت التي توجت بمجد يحق كل فخر، أنت التي تشاهدين هذا الكون الجديد من علا مملكتك المنفردة، أنت التي تجبرين الكواكب

على أن تستر رؤوسها الصغيرة ، أنت التي ادعوك بلهجة ليست بمحبوبة ولا الفظ اسمك أيتها الشمس الا لأنبئك بشدة بغضي لأشعتك المضيئة وانك لتذكرينني بالمقام الذي سقطت منه وانني طالما علوت على كرتك ظافراً مفتخراً

دهورني الكبر والطمع اذ شهرت في السماء حرباً على هذا الملك القادر الذي لم يكن له كفواً أحد ! ليت شعري لم ذاك كله ؟ أكان ينتظر مني هذا الانقلاب وهو الذي برأني وأوجدني في أعلى مقام ازدهيت فيه ولم يمن عليّ قط بنعمه ؟ ما فرضه عليّ لم يكن بالعسير ، فهلا كنت أستطيع على الاقل ان أحمده ؟ وما أسهل التمجيد والتعظيم ! اذ الشكر واجب محتم له ! والآن ولم تنتج طيبته فيّ الا السوء الذي لم يلد سوى الخبث

ارتقيت منزلة لا يعلى عليها فخجلت من أن يكون لي سيد وفكرت بأنني لو علوت درجة واحدة لاصبحت عديم النظير ولبرئت من دين عظيم وهو الشكر الدائم . ما أثقل ديناً يتخلص منه دون انقطاع فيستمر صاحبه مفلساً وما أتعسه ! ولقد نسيت انني أرزق دوماً ولم أفهم ان قلباً مفعماً بالشكر مديناً أو بريئاً من الدين يؤدي دائماً دينه يكون مديناً وخالصاً في الوقت نفسه

فهل كان هذا حملاً ثقيلاً ؟ لِمَ لم تخلقني المشيئة من عامة الملائكة ! فكنت أنعم في الهناءة ولا تقف آمالي عند حد ولم يجد الطمع اليّ سبيلا . لِمَ لم يتطلع أحد من عظام الشأن والسلطان الى العرش الأعلى ولو وجدوا

لقادوني الى حزبهم مهما بلغ مني الضعف ، ولكن هؤلاء الكبار نظائري لم يسقطوا ولم يزعزعهم تسويل أو اغراء ولبثوا مسلحين باطناً وظاهراً . ألست حر الأرادة قوي الشوكة لتثبت مثلهم غير مقهور ؟ انك لحائز لهذه الصفات . فمم تشكو اذن ؟ تتهم من غير الشغف بالمعالي وهو من هبات الخالق وملتهب في جميع الافئدة ؟

لعنت اذن أيهذا الشغف اذ تساوى عندي الحب والبغض اللذان جرا عليّ الشقاء الدائم . فأولى لك اذن أن تلعن نفسك اذ تجردت بمحض ارادتك على الله واخترت ما سبب لك ندمك الحق ! فما أتعسني ! اية طريق اسلكها لأتوارى من الغضب الدائم واليأس المستمر ؟ وما من منهج أهرب منه الا يوصل الى الجحيم ! وما جهنم الا أنا نفسي ! مهاويها سحيقة ولكن في باطني مهوى أعمق منها فاغرا فوهته يهددني دوماً بافتراسي ، ويخيل اليّ ان لظى التي أخشاها أشبه بالسماء بجانب هاته الحفرة !

ألم يبق مكان للتوبة والرحمة فتخفف من ضرباتك ؟ لا سبيل الى ذلك دون الخضوع ويا لها من كلمة حظرتها عليّ الكبرياء والخوف من الخزي أمام أعين من تركتهم من الارواح في أعمق المواطن والذين فتنتهم بوعود أخرى دون الخضوع وتبجحت بأنني أتسلط على القادر (عز وجل) وا أسفاه ! ان هؤلاء الارواح لا يعلمون انني اشتريت كبريائي وجرأتي بثمن فادح . فيا لعذاب باطن يفترسني بينما هم يعبدونني

وانا على عرشي الجهنمي ! ما علوت بالتاج والصولجان الى أعلا عليين الا لأسقط أسفل سافلين ، ولست برئيسهم الا في البؤس والشقاء . وهذا ما يجنيه الطمع من المسرات . ولكن حينما تتيسر لي التوبة وأنال الغفران وأصعد ببهائي الاول لا يلبث علو الشأن ان يولد الفكر العالية . فسرعان ما أحنث في يمين الخضوع ! وان تخفيف المصائب لمما يدعو الى جحود نذور صدرت قهراً واقسم بها عند الشدائد . وهيهات أن ينشأ الصلح الصادق هنا في المضغة التي غارت فيها جراح الكره المميت . وبقدر هذه الخيانة العظمى هويت الى غور أفظع منها

ولو كنت اشتريت هدنة قصيرة بازدياد العذاب لأصبحت مغبوناً . ويعلم ذلك من يعذبني وهو بعيد عن أن يمنحني السلم كبعدي عن سؤاله . قد خاب كل أمل ! وقد خلق الله الانسان ومسراته الجديدة وأعطاه هذه الدنيا بدلاً عنا نحن المنفيين المطرودين

قد تم ما تم فوداعاً أيها الامل ووداعاً للخوف وتعزير الضمير . وحيث ضاعت مني كل النعم والطيبات فكن نعيمي أيها السوء اذ بك على الاقل أبسط يدي على الملك المقسم بيني وبين ملك السموات وربما استطعت بك ان احكم على اكثر من نصف العالم وسيعلم ذلك قريباً انسان هذه الدنيا الجديدة

## نبذة من النشيد الخامس

### حديث آدم

يصعب على الانسان أن يعرف كيف ابتدأت حياته اذ من يستطيع أن يعلم منشأه حق العلم ؟ ولكن رغبتي في اطالة الحديث معك تحرضني على الكلام

كأني وقد استيقظت من سبات عميق فوجدتني ممتداً بكسل على الكلأ المزهر مغطى ببلل شذي وما لبث ان جف جسمي من أشعة الشمس فوجهت ناظري شطر السماء دهشاً ومكثت هنيهة مسرحاً الطرف وقد أخذني الذهول في متسع القبة اللازوردية فوقفت فجأة بدافع الهامي وطفرت بجميع عزمي لاصل اليها فرأيتني واقفاً على قدمي . رأيت حولي آكاماً وحراجاً معتمة ووديانا ومروجاً تتلألأ في أشعة الغزالة وغدراناً تخر ، وبهذه المواطن تعيش وتسرح مخلوقات فمنها مايمشي ومنها مايطير وطيور تغرد على الافنان والكل باش باسم : فسبح قلبي في الفرح والأرج

طفقت انظر الى بدني واختبره عضواً عضواً فتارة أمشي وطوراً أعدو بمفاصل لدنة حسبما ينعشني ويقتادني عزم الحياة ونشاطها . فمن أنا ؟ وأين أنا ؟ ولِمَ وجدت ؟ هذا ما أجهله . حاولت التكلم فتكلمت فجأة وطاوعني لساني وأنشأ يسمي بسهولة كل شيء أنظره . ثم صحت قائلاً « أيتها الشمس والارض المنيرة الرطبة الضاحكة والجبال والوديان

والأنهار والأدغال والمروج أنت التي أرى فيك الحركة والحياة، خبريني أيتها المخلوقات الجميلة ان كنت تعلمين كيف نشأت ؟ وكيف وجدت هنا ؟ انني لم أوجد من نفسي ولا بد من خالق ذرأني عظيم الطيبة جليل القدرة . أنبئيني كيف أعرف وأعبد من منَّ عليَّ بالحركة والحياة وهذه الهناءة العميمة التي أشعر بها اكثر مما أعرفها ؟

وبينما أتكلم اذ ضل فكري فلم أدر أين ذهبت بعيداً عن المكان الذي استنشقت فيه الهواء وأبصرت هذا الضياء المدهش فلم يجبني أحد جلست مفكراً على مرتفع جللته الخضرة ورصعته الازهار وخيمت عليه الافياء . فهناك للمرة الاولى تغلب عليَّ النعاس اللطيف بوطأته الحلوة نخدر حواسي دون أن يحدث لها اضطراباً وخيل اليَّ أني عدت الى فقد الأحساس الذي خرجت منه وغبت في الحال

ما لبث ان جال في رأسي حلم بمظهر شائق اقنع بلطف مني التصور بأني ما زلت حياً وكأني وقد شاهدت طلعة علوية تقول لي : « مقامك يطلبك يا آدم فانهض يا أول رجل قدر عليه أن يكون أباً لأناس عديدين . دعوتني فأقبلت اليك لأرشدك الى روض المسرات الذي أعد لك داراً »

وما أتم حديثه الا أخذ بيدي وطيرني بلين فوق الخلوات والمياه وصرت انحدر في الهواء دون سير الى أن اهبطني على جبل ظليل استوت ذروته وكونت سهلا أحدقت به أشجار نخمة شائقة وبه خمائل جميلة ومتنزهات أريضة

قارنت بين هذا المكان وبين ما رأيته فيما سلف على الأرض فكاد يظهر لي محبوباً ، وكل شجرة مثقلة بثمرها العجيب مما لفت نظري وأيقظ مني الرغبة في اقتطافه واكله

صحوت فوجدت ماصوره لي الحلم بأجمل منظر حقيقاً امام عيني ، ولو لم تظهر الحضرة الربانية التي كانت لي دليلا ومرشداً في هذا الطود لاستأنفت سيري المجهول !

كنت متهللا فرحاً فوقفت باحترام يخالطه الخوف تحت قدميه مؤدياً فروض العبودية فأنهضني قائلاً لي بلطف : انا الذي تبحث عنه وموجد جميع ما رأيته فوقك وتحتك وحولك . أعطيك هذا الفردوس . واعلم انه لك لتزرعه وتحفظه وتأكل ثمره . أبحت لك ان تأكل من أية شجرة تنبت في هذه الجنة كما تهوى دون ان تخشى الجدب ، وان الشجرة التي تمكن من معرفة الخير والشر وهي على مقربة من شجرة الحياة وسط الجنة لهي الدليل على طاعتك وأمانتك ( فاذكر دوماً تحذيري ولا تنسه ) واياك ان تمسها واجتنب عاقبتها المرة واعلم انك يوم تذوقها وتخالف ما نهيتك عنه تموت وتعد من الميتين من ذاك اليوم وتجرد من سعادتك وتطرد الى عالم الشقاء والبؤس

وهذا التحريم الصادر بلهجة قاسية كانت له رنة رهيبة في أذني ولو كنت حراً قادراً على ان لا أخالفه ، ثم عاودته بشاشته واستتبع حديثه المحبوب « لم أخصك بهذه الحظيرة وحدها بل جميع الارض لك ولنسلك

فامتلكوها مع عامة ماينفع الحياة على الارض والبحر والهواء والحيوانات والأسماك والطيور ، ولتكون على يقين من الامر سأعرض أمامك جميع المخلوقات بأنواعها لتتلقن منك أسماءها وتقدم لك واجب التمجيد بخضوع تام ، وكذلك الأسماك وان كانت غير حاضرة لعدم استطاعتها ان تبارح مأواها الرطب أو تستبدل غذاءها بهواء رقيق جداً يمنعها من التنفس »

و بينا هو يتكلم اذ اجتمعت الحيوانات أزواجاً أزواجاً راكعات بمسكنة تشوبها الملاطفة واقتربت مني الطيور منحنية ترفرف رفرفة جميلة فكنت اسميها وهي مارة وأميز أنواعها فما أعظم الفطنة الثاقبة التي رزقنيها الخالق

لم أجد بين هاتيك الخلائق ما يخيل الي انه ينقصني فاجترأت وخاطبت الحضرة القدسية : « ما اسمك يا من علوت جميع الخلائق والانسان ومن بفضله ومن تملكت على جميع ما استطعت تسميته ، كيف أعبدك يا موجد العالم وما يحرزه فيه الانسان ؟ لقد جدت بجميع هذه الأشياء التي يفوتها الحصر اتماماً لسعادته ، ولكني لا أرى مخلوقاً آخر يشاطرني هذه الهناءة ! أفي الوحدة سعادة ؟ ومن ينعم وحده ؟ وان تمتع بكل شيء فماذا تكون مسرته ؟ » وبينا أتكلم والشكوك تخالجني اذ زاد التبسم أنوار الطلعة الربانية فأجابتني

« كيف تذكر وحدتك ؟ أليست الارض معمورة بمختلف الخلائق الحية ؟ أليس الجو مفعماً منها ؟ أما هي جمعاء خاضعة طائعة لامرك وتأتيك ان أردت سراعاً لتسرح وتلعب امامك ؟ الا تعرف لغتها وطباعها ؟

ان لها من الذكاء والعقل ما لا يحتقر ، فاستخدمها لملاهيك وتحكم فيها فمملكتك واسعة الارجاء . » هذا ما نطق به آله العالمين ويظهر لي انها أوامر قدسية

## IL Penseroso

## المفكر

بعداً يامسرات الغرور التي لاطائل فيها ، ما أنت الا بنات الجنون ولدت لغير أب ، قلما تنفعين أو تشغلين خلي البال بلعبك العديدة : أولى لك تخيمي بدماغ ضعيف وتسعديه بخيالات سخيفة باهرة الشكل غزيرة العدد كالهباء احتل شعاعاً من الشمس اوكأضغاث الأحلام المقيمة بقصر ( مورفيه )

سلام أيتها الربة الطاهرة الحكيمة ، سلام ايتها الهموم المقدسة التي يتلألأ محياها المنير بالتقى فيكل منه الطرف ولذلك حالت بينك وبين نظرنا الضعيف بحجاب اسود — وانه للون الحكمة التامة ، اسود ولكنه هو اللون الذي كانت تعجب به أخت الامير ( ممنون ) أو ملكة الحبشة الحمقاء التي سولت لها نفسها ان تجعل جمالها فوق جمال حور البحار وأهانت سلطانهم ، انك البنت التي رزقتها ڤيستا الحسناء من زحل الفرد . . .

تعالي أيتها التقية الشجية الورعة الطاهرة القنوع الامينة المزدانة بالجد مرتدية طيلسانك الاسود ذا الذيل الفخم المنسحب وخمارك المعتم

المجلوب من بلاد السمرو والذي يجلل كتفيك الطاهرتين

تعالي حافظة شكلك المعتاد وخطواتك المنتظمة ومشيتك الرزينة ونظرك الشاخص الى السماء ونفسك الذاهلة المرتسمة في ناظريك ، وارفعي باصرتيك شطر آلامك المقدسة وتحولي الى مرمر ثم وجهيهما صوب الارض بنظرة حزينة كاسفة ليصحبك السلم بدعته وسكونه والطمأنينة والصوم النحيل الذي يقاسم الآلهة غذاءهم ، واسمعي ( الموز ) يغنين حول محراب ( المشتري ) وأضيفي اليها الراحة التي تجد لذتها في الخروج الى الحدائق الغناء ، ولكن قبل كل شيء يلزمك ان تصحبي من تطير بجناحين من نضار قائدة مركبة عجالها من نار كأنها ملك الا وهي المشاهدة ، وادعي الصمت الأخرس اللهم الا ان تفضل العندليب وغني لنا لحناً من أناشيده اللطيفة الشجية التي تزيل الغضون من جبهة الليل المقطبة بينا ارطميس ممسكة بلطف بزمام تنانينها كعادتها على مقربة من شجرة البلوط

أيها الطير الجميل الذى يخشى جلبة الجنون ذو الصوت الموسيقي الشجي ! أحب سماع غنائك الليلي في الغابات وحينما تكون غائباعنها اتنزه على العشب الجاف القصير دون أن يراني أحد لأشاهد البدر التائه الذي يقترب بأعلا وجوهه كمثل ضال في طرق السماء التي لم تطرق فيخضع القمر غالباً كأنه يطأطىء رأسه بين السحب المنتفخة كالعهن المنفوش

## Joseph Addison

# چوزيف ادزون

كاتب وشاعر انجليزي ولد ( بميلستون ) سنة ١٦٧٢ وتوفي ( بكينسنجتون ) سنة ١٧١٩ . وأول عمل اشتهر به قصيدة في نصر ( بلينهيم ) دلت على علو شأنه وقد تقلب في بعض وظائف الى أن تربع في دست الوزارة سنة ١٧١٧

ومنذ عام ١٧٠٩ طفق ينشد هو والكاتب ( ستيل ) في جرائد ( البايار ) و ( السپكتاتور ) و ( التوتور ) مقالات شائقة برقتها ونقاء انشائها وصائب نقدها . وكان له الفضل في تمجيد ميلتون واظهار نبوغه لان أمته لم تقدر هذا النابغة حق قدره . ولقد حازت مأساته ( كاتون ) سنة ١٧١٣ اعجاباً عظيما وساعدتها الظروف السياسية . وكتب كوميدية ( الطبل ) سنة ١٧١٥ وهي حافلة بالنكات الرقيقة

لم يتغير انشاؤه بل لبث من نوع ( الكلاسيك ) أي النوع القديم المقيد وشعره مشهور بالظرف والرشاقة

وأما نثره فينقصه الخيال العميق ولكنه ماهر في قنص المضحكات ورقيق الذوق

## La Vision de Mirza

## خيال ميرزا

وفيما كنت بالقاهرة العظيمة جمعت بين يدي عدة كتب مما ادخرته من خط الشرقيين فوجدت احدهما المسمى خيالات ميرزا وكنت قرأته عن آخره بطرب شديد. وقد عزمت ان اتحف به القراء حيثما لا اوفق لشيء افحمهم به وسأبدأ بالخيال الاول الذى ترجمته وها هو بنصه وفصه:

اعتدت ان اتبع سنن آبائي في الاحتفاء بخامس يوم للقمر كأنه من الايام المقدسة فبعد ان توضأت وصليت الصبح صعدت الى آكام بغداد لأقضي بقية اليوم في التفكير والعبادة ، فبينا انا واقف على قمتها اتنزه واستنشق النسيم العليل اذ غرقت في يم النظر العميق مفكراً في حياة باطلة لا تجدي نفعاً ، فتنقلت من فكرة لاخرى فجاشت الي النفس: ما الانسان الا خيال وما الحياة الا منام. وبينا انا تائه في تصوراتي اذ وقع نظرى على رأس صخرة كانت على مقربة مني فلمحت عليها شخصاً اشبه براع وبيده آلة صغيرة موسيقية

وبينا انا ناظر اليه اذ وضعها على شفتيه وانشأ يعزف بصوت شجي انبعثت منه انغام متباينة تولد منها لحن يسترق المهج لا يبلغه الوصف ويخالف ما سمعته لغاية الآن ، وذكرني بالألحان السماوية التي تغني للارواح المنزوعة من الابرار لتمحو آثار ما قاسته من آلام الاحتضار

ولتؤهلها الى مسرات دار النعيم . فذاب قلبي من نشوة الطرب والشوق

طالما سمعت ان هذه الصفاة التي انظرها مقر لجني وان كثيراً من الناس افتتنوا من الموسيقى الصادرة منها دون ان يروا العازف . وحينما سمعت الحانه الشجية زادت رغبتي في محادثته، وبينا انا محدق اليه بدهش غريب اذ اشار بيده ان اقترب من الصخرة فيممته باحترام واجلال يليقان بعظيم الجاه . وقد اسرت قلبي نغماته التي سمعتها منه فوقعت على قدميه اغسلهما بوابل العبرات، فابتسم لي الجني ونظر الي نظرة ملؤها الشفقة والملاطفة وادنته من ادراكي واذهبت عني ما استولى عليَّ من الخوف والفزع عند ما اقتربت منه، فأنهضني وامسك بيدي قائلا :

« قد سمعت تفكيرك باميرزا فاتبعني ! »

ثم قادني الى قمة الصفاة وقال : وجه ناظريك صوب الشرق وخبرني عما تراه - أُبصر واديا كبيراً ونهراً يجري وسطها - ان الوادي الذي رأيته لوادي البؤس والشقاء واما النهر فهو جزء من نهر الخلود العظيم - لِمَ ارى النهر يرتفع بضباب كثيف من طرف ولا يلبث ان ينعدم في ضباب مربد من الطرف الآخر؟ - ان ما ابصرته لجزء من الخلود يسمى الزمن يقاس بالشمس ويمتد من اول الدنيا الى آخرها . اختبر الآن هذه البحيرة التي تحد الظلمة طرفيها وانبئني عما تكتشفه فيها - ارى قنطرة وسط اللجج - هذه القنطرة هي حياة الانسان فأنعم النظر فيها فلما امعنت فيها الفكر وجدتها مشتملة على سبعين عينا وان اضفنا اليها

العدد العظيم المهشم لبلغت المائة تقريباً . وبينا انا مشتغل بعدها اذ انبأني انها كانت مركبة من الف عين فأغار عليها غرق عظيم اكتسح ما ينقصها كما رأيت . « حدثني عما تجد فوقها - اري زمراً تمر وسحاباً معتماً يميل على طرفيها » ولما انعمت النظر القيت افواجا من العابرين يسقطون في الماء الجاري تحتها وبأطالة التفكير وجدت عدة اشراك خفية في القنطرة لا تكاد ارجل المارين تمسها الا تنفتح فتهوي بهم الى البحيرة ويغيبون في الماء . كانت هذه الفخاخ المستترة غزيرة في مدخل القنطرة حتى كانت افواج الناس لا يكادون يخرجون من السحب الا يهوون الى المهلك . . وبوسط القنطرة قليل من الفخاخ ثم تزيد شيأفشيأ الى ان تكثر في نهاية العيون التامة البناء

وكان اناس قليلون يمشون وثبا على العيون المتهدمة ثم يقع الواحد تلو الآخر من النصب والأعياء من طول المسير . قضيت آونة في اختبار هذا البناء الغريب وحقائق الاشياء التي تظهر منه فامتلأ فؤادي شجناً لما ابصرته من سقوط الناس على غرة منهم بينما هم يمرحون ويفرحون ، ثم يتعلقون بكل ما يحيط بهم لينجوا بانفسهم ، والبعض شاخصة ابصارهم الى السماء تساورهم الهموم والأشجان ، وبينا هم غارقون في تفكيرهم اذ زلت اقدامهم ووقعوا بعيدا عن الأنظار . وكانت افواج مشتغلين باقتفاء فقاقيع تبرق وترقص امام اعينهم وحينما يظنون انهم بالغوها لا يشعرون الا وهم سقوط

وقد لاحظت في هذا المرج رجالا بأيديهم سيوف يعدون فوق القنطرة من مبدأها الى منتهاها يدفعون الناس الى الأشراك التي لا تظهر لهم في طريقهم وربما نجوا منها ان لم يقهروا بدافع قوي

رأى الجني اني أطلت النظر الى هذا المنظر المحزن فقال لي: قد تركتك تشاهده طويلاً فحول عينيك عن القنطرة وانبئني ان كنت لا تفهم شيئاً مما تراه ؟ » أجل رأيت . « فخبرني ما معنى هـذه الأسراب من الطير المحلق دوماً فوق القنطرة ويحط عليها من وقت لآخر ؟ وأبصر عقباناً وغرباناً والفا غيرها من الطير وبينها طيور صغيرة كثيرة تحط فوق عيون القنطرة الوسطى — فقال الجني هي الحسد والبخل والوساوس الباطلة واليأس والحب مصحوبة بالهموم المقابلة لها التي تكدر حياة الانسان »

تنفست الصعداء وقلت : « أسفا لانسان خلق عبثاً وترك الى البؤس والمنون ! يعذب في حياته ثم يتلعه الموت ! فتأثر الجني وعاهدني أن أنسى هـذا المنظر المحزن وقال لي : « لا تنظر الى الانسان في أول تمرينه في الحياة واستعداده للخلود بل سرح الطرف في الضباب الكثيف الذي يحمل اليه البحر عدداً عديداً من الذين كتب عليهم الحمام وسقطوا في اليم . » — ثم وجهت ناظري صوب الجهة التي أرادها ( ولا أدري ان كان الجني هو الذي منح عيني قوة عظيمة أو قدرة سامية فوق الطبيعة أم بدد الضباب المكفهر ليخترقه نظري ؟ ) فأبصرت الوادي مفتوحاً

من الطرف الآخر ثم يتسع على بعد حتى يصير قاموساً ، وبوسطه قطعة ضخمة من الماس منقسمة الى شطرين متساويين ركزت السحب على أحدهما فلم أستطع أن اكتشف فيه شيئاً ، وظهر الآخر امام عيني كأنه محيط عظيم افترشته جزر يفوتها الحصر وقد اكتست بيانع الثمر وبديع الزهر وأحدقت بها آلاف من البحيرات الصغيرة ، تلمع وتجري حولها كأنها نسيج من لجين

رأيت أناساً مرتدين حللا فاخرة تزين رؤوسهم اكاليل الزهر يمرون بين الدوح ما بين راقد على حافة المنابع ومضطجع على سرر الازهار ، وقد تمكنت من سماع الحان الطير المختلف وخرير الماء وغناء الانسان وعزف آلات الموسيقى ، فعاودني البشر والطرب لرؤية هـذا المنظر الشائق ووددت لو أعارني نسر جناحيه لأطير الى هذا المقام السعيد ولـكن الجني أنبأني ان لا سبيل اليه الا بولوج ابواب الموت التي تنفتح كل لحظة على القنطرة ثم قال لي : « ان الجزر الخضر الغناء التي رأيتها منتثرة على سطح القاموس ولا يدرك البصر آخرها لأكثر عدداً من رمال الغبراء ، ويوجد آلاف من الجزر وراء ما رأيتها لا يبلغها نظرك ولا يصورها خيالك ، وانها لمقام المتقين الابرار بعد الموت ، يحفها السرور بصنوفه ويقتسمونها بنسبة أعمالهم الصالحة ، وكل جزيرة تكون فردوساً لأهلها المبجلين . ! افلا يستحق اذن هذا المقام يا ميرزا ان يناضل لنيله أتكون الحياة بؤساً وشقاء وهي الوسيلة لأحراز هذا الجزاء الفخم البهي ؟

ايهاب ُ الموت ان كان موصلا لأسعد وجود ؟ فلا تظن ان الانسان خلق عبثاً اذا كان في انتظاره مثل ذاك الخلود ! »

طفقت أشاهد هذه الجزر السعيدة بطرب لا يوصف ثم قلت له في النهاية : « أتوسل اليك ان تطلعني على الاسرار المخيمة خلف الغمام المعتم الذي يواري الجهة الاخرى لصخرة الماس

لم يجبني الجني فالتفت اليه لاكرر التماسي فلم أجده وأردت ان أولي وجهي شطر الخيال الذي شاهدته طويلاً ، ولكني استبدلت اللجج الهائجة والقنطرة ذات العيون وجزر النعيم بوادي بغداد العميق وثيرانه وشائه وابله السائمة على الشواطىء

Percy Bysshe Shelley

## پرسي بيش شيلي

فحل من فحول شعراء الانجليز ولد ( بهورشام ) سنة ١٧٩٢ وغرق في خليج سپتزيا بايطاليا سنة ١٨٢٢ . ولقد اشتغل منذ طفولته بعلوم الادب وما بلغ العشرين حتى أصبح خصما عنيداً لأمته في السياسة والادب واضطر لان يهرب من مطاردة الحكومة له فسافر الى ايطاليا ومكث بها عشر سنين الى ان مات . وقد كان كتابه (حاجتنا الى الكفر) داعية لفصله من جامعة ( اوكسفورد ) سنة ١٨١١ وكان مدرساً بها .

تزوج ( هاريت ويستبروك ) التي اختطفها وهي في السادسة عشرة ثم انفصلا بعد شقاق عنيف وسافرت زوجته الى اوروبا مع (ميري جودوين) ابنة صديقه والتي اقترن بها بعد وفاة زوجته سنة ١٨١٦ ؛ وفي هذه الاثناء كتب قصيدته المحزنة الكبيرة ( الاستور او شيطان العزلة ) . وقد ارتبط مع ( كلير كليرمون ) خليلة ( بيرون ) الشاعر المشهور وبعد قليل من الزمن ولدت بنتاً لبيرون تدعى ( الايجرا ) وسلمها لابيها بايطاليا بعد قليل . وبينا هو يعبر ذات يوم وهو في سفينته خليج ( سبتزيا ) اذ هب اعصار شديد فغرق . وقد أحرقت جثته بواسطة صديقيه ( بيرون ) و ( ليج هنت ) كعادة القدماء : مات هذا الشاعر النابغة ولم يتجاوز العقد الثالث وترك من شعره ثلاثة مجلدات ضخمة خلاف مؤلفاته النثرية. ولقد أجمع اغلب علماء الادب الفرنسيون بأنه امير شعراء العصر في بلاد الانجليز بما فيهم ( بيرون )

ومن مميزات شعره الوجداني شخصيته التي تفرد بها ومتانة الأسلوب وكرم قلبه وعواطفه التي تهز الافئدة تأثراً وسمو الخيال ورقي الفكر

ومن صفوة نظمه (الملكة ماب) و ( الاستور ) و ( هياج الاسلام ) و ( ابيبسيكيديون ) و ( الشينشى ) مأساة و ( تحرير بروميثيه ) درام يمثل الانسانية السعيدة الحرة وغيرها

## Une Vision de la Mer

## مشاهدة في البحر

أرأيت هول العاصفة اذ تطير قطع الشراع الممزق كأشرطة تتلاعب بها الرياح العنيفة . والامطار المعتمة تنهمر بشدة من ظلمات الحرة السحب الكثيفة . وحينما يتساقط البرق من السماء كالوابل المدرار ينير عمد الماء السوداء التي تحدثها وتديرها الزوابع ثم تنحنى كأن السماء انقضت عليها وهي التى يخيل انها تمسك الزرقاء بجرمها العظيم المترامي الاطراف . ثم تنزل الى قبورها في الهاوية مزعزعة الارض بجلبتها الهائلة كأن القاموس يغيب تحتها . سكنت الامواج والرعود حولها حتى سمعت اصداء الرياح واصبحت السفينة تارة يجرها التيار الدوار وتعذبها اللجج العنيفة وطوراً تختفي تحت سجوف السحب المرعدة واحياناً تجتاحها لجة شقها الهواء فتغوص في حفرة المهلك الذي لبثت جدران واديه السائل معلقة في في الاعماق وهي في سكون مزعج وفي مأمن من فتكات الانواء تلمع حول السفينة كأنها مرايا الخراب المعتمة بينما ترجع على اعقابها الأمواج المصطدمة كأنها فراغ رصع بالكواكب أو لهب قاتل أو نوافير من حديد يسيل ذوبها فتحف السفينة السوداء بالبهاء والهول كأنها قطع من كبريت يقذفها بركان صافي اللهب فتفور وتفع متحدرة على جوانبه وأخذت اهرام الامواج تلمع في سنا البرق المتألق أطرافها المدببة لحة الما وتثقب الخضراء وهي على صفحات الدأماء

فكأن السفينة العظيمة تتشقق ! اذ فرقعت كشجرة قصفت الزلازل أصولها قبل ان يمر عليها الاعصار ويجردها من أغصانها. حطمت قنابل الرعد المزمجرة المنهمرة من السماء ساريتها فلبثت واقفة وهي سوداء مشققة وابتلعت شقوقها البقايا الصغيرة المتخلفة وقت تهشمها. طفق هيكل السفينة الثقيل الميت يدور فوق الخضم الحي كأنها جرم عديم الحياة أو جيفة ممتدة فوق الثرى ظمئة لان تنشر حولها العفن والنتن. فاض الماء من قاع السفينة فسحق طرفاً من ظهرها فتحطم تحطم الثلوج في بحيرات الصحراء حينما تهب عليها الرياح المذيبة

من الجالسون على الطرف الآخر ؟ هل هم الملاحون وهم ممتدون مكدسون يواري بعضهم بعضاً كأنهم رموس أو أموات مرصوصة في حفرة حول السارية الأمامية ؟ أم النمران التوأمان اللذان كسرا أغلالهما في قاع السفينة من ألم الهول حينما تسرب اليها الماء ( وما لبث ان هاجهما مقرهما بعد ان كان يستأنسهما منذ هنيهة ) — فهما مضطجعان بجانب بعضهما منشبان اظفارهما كالكلاليب في ألواح السفينة المهتزة — أهذا كل ما تظنه ؟

مرت على هذه السفينة العظيمة تسعة أسابيع وهي مضطجعة فوق سطح الماء محرومة من نسيم هذا السهل السائل الذي تصب الشمس فوقه الموت الاحمر دون أن ترمي أقل ظل في الظهيرة. وكأن القمر يتطاير اللهب من أشعته حينما ينبعث الضباب بلونه الرصاصي من أعماق

الهاوية ويهب بسرعة الوباء الفتاك . نزل الموت كما تنزل آفة القمح على سنابل حقل كثيف ففتك في هذه السفينة الآهلة

يتعاقب الجديدان والملاحون شاخصة أبصارهم من الذعر وهم رقود كأنهم رمم هامدة في أسرتهم الممدودة التي أصبحت لهم نعوشاً يقذفون في هذا المهلك جثث رفاقهم فينطبق عليها وتمزق كلاب البحر ثياباً لم يكن لهم غيرها من اكفان ثم تلتهمهم كما كانت بنو اسرائيل تلتهم ما يمطرهم الله من المن في الصحراء

هلك الملاحون الواحد تلو الآخر ولم يبق منهم في مساء اليوم الذي تجمعت فيه العواصف في محفل سحبها غير سبعة ثم فتكت الصاعقة بستة منهم فظلوا ممددين سوداً كالجثث المحنطة التي كتب عليها الزمن آيات ازدرائه بالمحنطين . واخترمت السابع شظية من الالواح فلبث معلقاً في الأنواء وهو بقية فوق حطام

أهذا كل ما تظنه ؟ وكانت امرأة جالسة بجانب سكان السفينة ( أي الدفة ) تنشر شعرها المضفور وهي أجمل وأبهى من المساء وقتما تغيب الشمس فوق البر والبحر تاركة وراءها شائق الشفق المزدان بأبهى الالوان تضم طفلا يخجل البدر جالساً على ركبتيها المضمومتين يضحك لامه في سنا البرق ويسخر من الرعد الذي اختلط بالهواء والبحر يشير برغبة شديدة وتعجب الى النمرين ليقوما ويقتربا منه اذ أراد ان يلعب بهذه العيون التي صيرها الهول والفزع أشد لمعاناً من

الظواهر الجوية . ثار فؤاده وقويت دقاته وتوقد ناظراه من نار السرور المتأججة في قلبه وبقيت عينا أمه كدراوين فقالت له : « لا تتبسم يا بني بل نم نوماً عميقاً مطمئناً لتبيد ما ينتظرنا من هموم وكروب مهما كانت . وقد زادت هولاً وفظاعة مذ وجب عليك أن تشاطرنيها ؟ نم وتمتع بلذيذ أحلامك ! ألا يستطيع يا بني هذا الصدر الشاحب الذي هو مهدك وسريرك ان يؤرجحك ؟ انه ليضطرب من الذعر والهول ! أسفاه ! ليت شعري ما الحياة وما الموت ومن نحن ؟ هل وجدنا لنهلك بغرق سفينة كيف لا أراك ولا أستنشق شذاك ! اترجع بعد الحياة الى ما كنا عليه قبلها ! فأحرم من مس هاتين اليدين اللطيفتين ومن رؤية هاتين العينين النجلاوين والشفتين القانئتين والشعور العسجدية وكل مايخفيه ابتسامك وهو موجود فيك الآن أيها الروح اللطيف أنت الذي طالما دعوتك من يوم لآخر بولدي والآن ستغيب عني كما يغيب قوس قزح بينما أتبع أنا الوابل المنهمر ! »

أنظر الى السفينة وقد وقفت ثم أخذت تنغرس حتى بلغ الماء نوافذها فوثب النمران حينما شعرا بوصول الماء الملح اليهما أصبعاً فأصبعاً وتشنجت معرفتهما وآذانهما وأطرافهما وشخصت عيونهما من الهول . دوى صياح طويل أبح منبعث من اعماق امعائهما بشكل مخوف هائل ورن صداه في انحاء وديان اللجج وطفق يثب متنقلاً كالرعد من الصخور الى الكهوف مختلطاً بصوت الوابل العنيف بعد مادهوره الأعصار الشديد

هب الأعصار من الغرب وذهب من باب شمس تحاكي الشمس الشرقية بحرارتها وشدتها قاطعاً تيار العاصفة كثعبان انطلق انطلاق السهم وراء فيل واندفع خلال عوسج الصحراء . مر هذا الأعصار وهو اسود حالك كغراب البحر مزمجراً بين المحيط والسماء كأنه قاموس آخر الى أن بلع سحب أطراف الدنيا المرتكزة على البحر والمشتبكة بجوانب السماء والتي أحاطت بقبة العاصفة وحملتها كأسوار وأعمدة فشقها شطرين كما يجتاح السيل ما يصادفه من الصخور . وكانت السحب كأحجار هيكل قبل أن تقوضه الزلازل فلما انهار أطارت الزوبعة ترابه المهيل وطوحت به في كل فج عميق تبدد الغيم تبدد الزبد صادفه السيل. فهناك حيث يهب نسيم الصبح العليل خلال الهاوية والشمس المشرقة تبعث دون عائق أشعة ثاقبة من بلور ونضار كجيوش مصطفة من نور وهواء تتقابل في باب ثم يتخلل بعضها بعضاً

أخذت تتسع فرجة الزوبعة وطفق ضوء النهار يمزق تجاويف الغيوم ووقعت الرياح العاتية بعد ما أعيت وكلت أجنحتها فأرجحت بحركات البحر وخريره الذي يجلب النعاس . وأصبحت بقايا الزوبعـة طائرة في العلى المجيد الذي يهول الناظر كأنها أبخرة من ذهب تحترق وتغيب في الشمس الشارقة . وحينما رأت اللجج المكومة سكون السماء الزرقاء تمددت فوق بعضها وانسابت وهي تضطرب بلطف

انتشرت لجج العالم البحري العظيم وأخذت تزخر وتجري من

جبال ( الأند ) الى جبال الاطلس لخفت الاطواد والجزر وطيور البحر وحطامه وانعكس ابتسام السماء الصافية في اليم فافترشته ببساطه اللازوردي

أين السفينة ؟ بينا هي مضطجعة فوق اللجج اذ التحم نمر مع ثعبان بحري واشتد بينهما الجلاد العنيف فكان الزبد والابخرة المتصاعدة من فمهما وقت الهجوم تشوب الهواء الرائق وتحدث فيه أشبه بقوس قزح. ظل صوت الصدام والعظام المهشمة التي سحقها الثعبان البحري ذو الجسم البراق المزري بالماس بقوته التي لا تنفذ ودوي الدم الحار الذي يتفجر ثم يسقط كالمطر حينما تمزق مخالب النمر أوداج الثعبان التي نفخها الحنق والعنف والأجهاد والزوبعة الدائرة وهي أشبه ببعض الآلات المقوتة التي تحطم ماتلقفه بتروسها الفولاذية فيسمع لها صوت كالرعد اذ تبطش باللجج الرخوة والنسمات العليلة وتنثرها قطعاً قطعاً وتزمجر النمر وصفير الثعبان — تزحف بسرعة فوق سطح القاموس المستوي . وبجانب هذه الوغي كلب مائي أزرق كلون البحر معلق فوقه بمثابة قبر ذي أجنحة ينتظر الظافر ولما شاهد النمر الآخر حظ أخيه المنكود فتح طريقاً لحظه بسرعة تفوق سرعة اليأس

أنظر ! فهذه سفينة مقبلة بها اثنا عشر مجدفاً تندفع اندفاع الفكر المخرت الماء وتركته مزبداً . وفي مؤخرها ثلاثة رجال مصوبون بنادقهم الى النمر ثم رموه برصاص ملتهب اخترم صدره حينما كان يبحث في ظلمات عن ملجأه وهلاكه . بقيت قطعة من السفينة الغارقة على سطح

الماء وهي توشك أن تغيب في البحر والمرأة قابضة عليها بيسراها بقوة ويمناها حاضنة طفلها الجميل . تشاكل الامر بين الموت والذعر والحب والجمال فاختلطت في هذا الجو المضطرب المحترق من القيظ والهول المحدق بعينيها الشاخصيتين البراقتين ويدها الزهراء ووجهها المشرق فأصبحت تلمع كالبرق فوق الماء . وما فتىء ولدها يبسم ويلعب ويتمتم كما كانت تبسم هذه الهاوية المخادعة قبل العاصفة وطفق الخضم والطفل يبتسمان لبعضهما ابتسام الاخ لاخيه بيننا ....................

## Adonals

## ادونيس (١)

نظم هـذه الدرة اليتيمة ( شيلي ) زعيم شعراء انجلترا في القرن التاسع عشر يرثي بها صديقه ( جون كيتس ) الشاعر الانجليزي المشهور

(١) في الميتولوجيا اليونانية أن شاباً يونانياً يسمى أدونيس وهب جمالاً فتاناً ورشاقة جذابة وكان مولعاً بالصيد في جبل لبنان فافتتنت به الزهرة ربة الجمال لحسنه الذي كان يفوق أهل زمانه فغار منه ( مارس ) فحرض عليه ( ديان ) ربة الصيد فسلطت عليه خنزيراً برياً فقطعه إرباً إرباً ثم حولته الزهرة الى زهرة ( انيمون ) ولما ذهب أدونيس الى الجحيم هامت به ( پروسيپرين ) ربة جهنم . ثم ألحت ( الزهرة ) على ( المشترى ) رب الارباب أن يرد الحياة الى ( ادونيس ) . فلما أجاب التماسها رفضت ربة الجحيم أن تترك الفتى فقضى رب الارباب أن يمضي ( ادونيس ) مع ربة الجحيم ستة شهور من السنة ومع الزهرة الستة الاخرى وقد سار مثلا للجمال والرشاقة في الرجال وعبر الشاعر عن ( كيتس ) باسم أدونيس لأنه كان فتياً مثله

حينما نظم المبكي قصيدته الشهيرة ( إينديميون ) انتقده أحد الكتاب انتقاداً وحشياً ونشره في مجلة ( كوارترلي ريڤيو ) فصوّب الى الفتى الشاعر سهماً غمسه في سم الافتراء والذم والسباب أصمى فؤاده فذبلت زهرته في اكمامها قبل ان تتفتح وتتمتع بنور الشمس ، وذوي غصن شبابه الغض وتوارى هلاله قبل التم ولم ينجع فيه بلسم تقاريظ فحول الشعراء مثل ( شيلي ) و ( هوبت لنج ) وغيرهما

أصابه عقب هذا الانتقاد المرغم شديد ، فانفجر عرق في صدره وأخذ يستمر بسرعة في الضمور والنحول الى ان وافاه أجله المحتوم وهو في رومية ودفن بها وهو في ربيعة الرابع والعشرين

تفطر قلب ( شيلي ) رحمة وحنانا على صديق قتل غدراً ومات في شرخ شبابه ودلت باكورة شعره على مستقبل مجيد يؤهله لأن يكون في زمرة عظماء الشعراء الانجليز فنظم فيه هذه المرثية التي سارت بذكرها الركبان وكانت صدى لأنين فؤاده الكليم

— ١ —

يا عين جودي بدمعك الهتان فقد مات ( أدونيس ) أواه ! أسعدوني بالبكاء والنحيب ! وان كانت عبراتنا لا تستطيع أن تذيب ثلوجاً غلت رأساً عزيزاً ! وأنت أيتها الساعة الحزينة التي اخترتِ من جميع الاعوام لتبكي من فقدناه . أيقظي صاحباتك المكفهرات وعلميهنّ أن يشاطرنك همومك . قولي لهن : « قد مات ( أدونيس ) ! وسيكون

حظه وشهرته صدى رناناً ونوراً لامعاً أبد الآباد الى أن يتجرأ المستقبل على نسيان الماضي ! »

— ٢ —

أين كنت أيتها الأم القديرة حينما أصمى ابنك هذا السهم الطائر في الظلمات فمدده على الثرى ؟ أين كانت ( أورانية [١] ) الوحيدة حينما مات ( أدونيس ) ؟ كانت جالسة في فردوسها بين الاصداء الصاغية لا تكاد تبصر كأن غشاوة غشيت نظرها بيناً أحد الاصداء ينعش ويقوى بنفحاته اللطيفة التي تشف عن الهوى ما خفت وصمت من الالحان التي بها زين وأخفى اقتراب شبح الموت كما تسخر الازهار من الجثة التي تجللها

— ٣ —

أواه قد مات ( أدونيس ) فلنبكه ! أحيي لياليك بالبكاء أيتها الأم الثكلى ! ليت شعري لِمَ تخمدين دمعاً حاراً في مجراه المتأجج ؟ مالي أرى فؤادك مفعما بالشكوى ملازماً السكون والصمت كفؤاد ولدك ؟ ألأنه ذهب حيث ينزل كل عاقل جميل . لا تؤملي ان الموت الذي فتن به يرجعه الى نسيم الحياة إذ هو يتغذى بصوته الصامت ويضحك من أحزاننا وهمومنا

---

(١) أورانية في الميتولوجيا ربة علمي الفلك والهندسة

— ٤ —

يا من هي أحسن النائحات صوتاً وأشجاهن ندباً ! لا تنقطعي عن بث الشكوى وذرف العبرات !

داهم المنون يا ( أورانيـة ) أبا النشيد الخالد [١] وهو يرسف في أغلال العمى والشيخوخة والوحدة بينا ينتصر عليه ويسخر منه القسيس والرقيق والظالم بحفلات عديدة ممقوتة من الفسق وسفك الدماء مع أنه كان فخر بلاده . وقد نزل الى حفرة الموت دون فزع وما فتىء نبوغه النوراني يضيء المشرقين وهو ثالث القمرين

— ٥ —

استمري في النحيب يا من هي أحسن النائحات صوتاً وأشجاهن ندباً ؛ إذ لم يستطع غيره أن يقتعد هذه الذروة الشامخة من المجد الأثيل . وان الذين عرفوا سعادتهم لأحسن حظاً من هؤلاء إذ ما انفك نبراسهم يضيء حنادس غابت شموسها ! ونرى غيرهم أفضل منهم وأعلى كعباً في المجد ذهبوا فريسة لغضب أججه حسد الانسان أو القضاء المبرم فسقطوا وقد انطفأ نورهم وهم في زهاء فجرهم الساطع . وعاش البعض من هؤلاء فسلكوا طريقاً وعرة شائكة تحفها المتاعب والأحقاد وتوصلهم الى مقام الشهرة الهنيّ البهيّ

(١) يريد ( ميلتون ) الشاعر الشهير مؤلف الفردوس الضائع

— ٦ —

هلك اليوم أعز أبنائك وأصغرهم رضيع ترملك الذي شب كزهرة عزيزة لدى عذراء حزينة سقتها بماء عبرات الحب الصحيح بمثابة الندى البليل

أديمي البكاء أيتها النادبة ذات الصوت الرخيم المطرب ! ذهب أملك الأخير وخاتمة الأعزاء وزهرة قرضت أطرافها قبل ان تتفتح وكانت تبشر بثمرها فعراها الذبول . هبت الأعاصير على الزنبق الشائق وطرحته على الثرى

— ٧ —

ذهب الى المقام الأعلى حيث يسيطر الموت المعظم على حاشيته الشاحبة في عالم الجمال والدمار . وقد نال هناك رمساً بين الخالدين بثمن أعطر الأنفاس . عجلي بالذهاب بينما تظل قبره سماء ايطاليا الرائقة بعرشها الشائق ! وهو غارق مطمئن في نومه اللطيف فلا توقظيه ! ولا ريب أنه شبع واستكفى من راحته التامة الهنيئة ونسي كل ألم ومصاب

— ٨ —

هيهات هيهات أن يستيقظ من رقدته ! ولقد أتى على عجل ظل الموت الطاهر وتمدد في غرفته المعتمة وببابها ينتظره العفن الخفي ليخط له الطريق الاخيرة لاقامه المظلم . والسغب الخالد جالس متأهب ولكن الحنان والاحترام لطفا وجه الشاحب الكالح فلا يجرأ على تشويه هذه

الفريسة الجميلة حتى تسدل الظلمات وسنة التحول على منامه ستار المنون

— ٩ —

اذرفي أيتها الشؤون دمعك المدرار على (أدونيس)! لا تضل أمانيه السريعة التي هي لأهوائه كنسور محلقة أو أنعام كان يرعاها حول ضفاف الغدران المونقة لعقله الراجح ويعلمها الحب وهو موسيقاه — لاتتيه من مخ ملتهب لآخر ولكنها تضيء في محلها الذي طارت منه وتبكي سوء حظها حول فؤاد متثلج . ولا تستطيع بعد عنائها اللطيف المذب أن تسترد قوتها أو تجد لها ملجأ

— ١٠ —

ضغطت إحدى هاته الأماني بيديها المرتجفتين على رأسه المتثلج، مروحة عليه بجناحها الابيض صائحة: «لم يفن منا الهوى والأمل والهموم! أنظر الى أهداب عينيه المغمضتين المزرية بخمل الديباج وقد لمعت فوقهما عبرة فصلتها عن مخه بعض أمانيه كما يلمع الندى فوق زهرة ذابلة» لم تدر تلك الأمنية أن هذه دمعته التي سالت من عينه فاختفت من حضرته وغابت عن العيون غير تاركة أثراً كما يبكي الغمام ثم ينقشع

فيا له من ملك ضل عن فردوس حاق به الدمار

— ١١ —

أفاضت أخرى في إنائها الشفاف على أطرافه الزاهرة ندى بليلا لامعاً يكون له مطهراً ومحنطاً . جزت غيرها حلقات شعرها ووصلتها

ببعضها ثم وضعتها عليه كتاج من الأزهار مزدان بمتجمد قطرات عبرات كأنهن درٌّ منظوم

سحقت غيرها قوسها وسهامها المريشة عند ما تملكها الحزن الدائم لتكظم آلامها من فقد الجليل بفقد الحقير وأنشأت تبرد بخده المتثلج ما تأجج فيها من نيران غم وألم

— ١٢ —

هناك بهاء آخر يطير حول فمه الذي اعتاد أن يلفظ منه فصيح الكلم وبليغه ما ينفذ الى العقول التي لا يؤثر فيها شيء ولا تحيد عن مبادئها وأفكارها وتدخل في القلوب الرقيقة النور والموسيقى . أخمد الموت هذه الملاطفة التي كانت تحوم حول شفتيه المتثلجتين كما يلون برق ضئيل بوميضه سلسلة من بخار السحاب يضيئها قمر يحفه ليل قارس . وما لبث أن أضاء هذا البهاء أطرافه الشاحبة لحظة حتى حاق به المحاق

— ١٣ —

أقبلت أماني أخرى . . . رغائب وأهواء عنيفة ، خيالات ذات أجنحة وأقدار محتجبة ، بهاء وظلمات ومظاهر في أضواء الآمال والخوف لا تكاد تلمع وزخارف غامضة وحزن تصحبه التأوهات أقاربه ومسرة أعمتها العبرات وقادها لمعان ابتسامها المضيء فكان لها بمثابة العيون ، أتى كل ذلك في موكب يسير الهوينا وهو في حركته اشبه بموكب من الضباب سار فوق تيار رياح الخريف

— ١٤ —

كل ما كان يحبه وجميع ما حوله الى فكر من شكل ولون وشذى وصوت جميل يبكي (أدونيس)

عاد الصباح الى برجه الذي يرصد منه الشرق وهو مسدول الشعور مبللها من دمع كان يستطيع أن يضحك به ثغر الارض وقد ضرب بغشاوة على عين الهواء التي تضيء النهار. وعلى بعد الرعد الشجيّ يشكو بثه. والمحيط بوجهه الشاحب نائم نوماً مضطرباً والرياح العنيفة محلقة حوله تتنفس الصعداء وهي ترتطم ببعضها

— ١٥ —

جلس الصدى الضائع وسط الاطواد صامتاً مسعداً أحزانه وأشجانه بما تمليه عليه الذاكرة من أغاني الفقيد وقد أبى أن يردد أصوات الرياح والينابيع والطيور المحبة وقد حطت فوق جديد الافنان الخضراء وبوق الراعي والنواقيس عند انصرام النهار مذ وجد نفسه غير قادر على تقليد شفتين أعز عليه من هاته الشفاه التي يبكي من ازدرائها إياه لصمته بعد ما كان يردد جميع الاصوات — ولم يسمع سكان الغاب غير انين وتمتمة تفتت الاكباد تتخلل ما ينبعث منها من الانغام والألحان

— ١٦ —

صير الأسى الربيع الجميل ذا الشباب النضر وحشياً فأخذت ازراره الجديدة تسقط كما تسقط الأوراق الذابلة في الخريف مذ اختفى من

كان له سعادة وهناءة . فلمن ينعش العالم الحزين ويوقظه من سباته . لم يكن ( لياسنت [١] ) من العزة بفؤاد ( فيبوس [٢] ) ولا ( انرسيس [٣] ) المفتون بجماله من العزة عند نفسه بقدر ما تملكته من فؤادهما يا ( أدونيس )

لبث هؤلاء شاحبي الوجوه كالغصون الذابلة وسط رفاق من الأتراب حلّ بهم الضنى فتحول نداهم الى عبرات و نفحاتهم الزكية الى تأوهات

— ١٧ —

لم تبك أنثى البلبل الوحيدة وهي أخت حجاك إلفها بصوت مثير للاحزان أشجى مما بكتك به . يستطيع النسر مثلك أن يخترق السماء وينعش شبابه الفتي وقوته العظيمة بنور الصباح في اقطار الشمس . وحينما يحلق حول وكنه الخالي ويصيح لايسمع منه صراخ شديد كالذي ينبعث من ( البيون [٤] ) عليك . لقد صبت لعنات قابيل على رأس من

---

( ١ ) بطل في الميتولوجيا كان يحبه ( ابللون ) وبينما هما يلعبان لعبة الاقراص المعدنيه التي يصيبون بها الهدف اصابته واحدة فقتلته وسالت نقطة من دمه على الارض فنبتت مكانه الزهرة الجميلة المسماة بهذا الاسم

( ٢ ) مرادف لاسم ( ابللون ) آله الطب والشعر والنهار والشمس

( ٣ ) شاب جميل فتن بنفسه حينما نظر وجهه في ماء الينبوع الساكن فألقى بنفسه في الماء وغرق واستحال الى الزهرة المعروفة باسمه وهي النرجس

( ٤ ) مرادف لانجلترا ويستعمل الشعراء هذا الاسم

أصمى صدراً بريئاً واضطر روحاً من أرواح الملائكة الى الهرب فزعاً بعد ما كانت له ضيفاً دنيوياً !

— ١٨ —

يا لشقائي وتعسي ! اقبل الشتاء ورجع الأسى مع العام المولود. جدد الهواء وتيار الماء موسيقاهما وظهر النمل والنحل والخطاف وزينت الاوراق والأزهار الفصل الميت وتزاوجت الطيور العاشقة في كل خميلة وبنت أوكارها في رياض الخلنج واستيقظ الضب الأخضر والاسود الذهبي من سباتهما العميق وخمودهما الطويل كشعل النيران تنطلق كما تشاء

— ١٩ —

تنبعث من بطون الأرض خلال الغابات والمياه والحقول والأطواد والحياة حياة ملئت نشاطاً وقوة. تلك سنة جرى عليها الزمان من القدم مع تغيرات وحركات مختلفة وهذا من عهد أول يوم أنار الله فيه الكون. تتلألأ مصابيح السماء وهي محفوفة بأبخرتها بأنوار ساطعة بهجة يتضوع أريجها

كل من في الوجود من حقير الاشياء عطشان من ظمأ الحياة المقدس إذ ينتشر في ملذات الحب والجمال والفرح لقوتهم المنتعشة المتجددة

— ٢٠ —

وحينما تصيب هذه الروح اللطيفة الجثة البرصاء ينبعث منها عرف شذي تتضوّع منه الارجاء وتكتسي بأزهار تماثل النجوم في بهائها عما

لها من الاريج المنعش . أصبحت تلمع فوق هذا الموت وتزينه وهي تسخر من دود متهلل يعيش تحتها

لا يهلك شيء مما نعلم من الكائنات فكيف للعقل وهو الذي أوتي قوة العلم والعرفان أن يهلك قبل الجسم بقدرة خفية كما تحرق الصاعقة السيف قبل غمده ؟ تلمع الذرة المضيئة زمناً ثم يطفئها الموت (١)

— ٢١ —

أسفاه أيذهب كل ما أحببناه منه ما خلا حزننا كأنه لم يك شيئاً مذكوراً . وهل يحيق الفناء بالحزن نفسه ! يا لحظي المنكود ! من أين

(١) شبه الشاعر الارض بأوروبا في فصل الشتاء بالجثة البرصاء لانها تكون هامدة جرداء مغطاة بالجليد كبقع البرص فحذف المشبه وهو الارض وشبه فصل الربيع بالروح اللطيفة وحذف المشبه أيضاً لان الربيع حينما يقبل يذيب الجليد ويكسو الارض بثياب النباتات الزمردية وأزهارها البديعة ويحلل الاشجار بأوراقها الخضراء وهذه حياة جديدة للارض وقد مثل أزهار الربيع بالنجوم وساواها بها في الميزة لان الازهار اعتاضت عن عظم الكواكب بعرفها الشذي وأصبحت هذه الازهار لا تعبأ بالدود المتهلل الذي يعيش تحتها ويقرض من أفنانها دون أن تتأثر من عمله بما أوتيته من قوة الأنبات

يقول الشاعر انه من المفهوم من النظرية الطبيعية « لا شيء يفني ولا شيء يخلق » بل جميع المخلوقات يحصل لها تحول في شكلها دون أن تفنى فكيف بالعقل وهو منبع العلم والمعرفة أن يهلك كما تنقض الصاعقة على السيف فتحرقه قبل غمده لان الصاعقة لا تؤثر في الجلد أما الذرة فيريد بها الشاعر روح الانسان

أتينا ولِمَ وجدنا ؟ ليت شعري أنحن من الممثلين أم من المشاهدين ؟ يتلاقى العظيم والحقير ويختلطان اختلاط الحابل بالنابل عند الموت الذي يقرض الحياة ما لا بد لها من اقتراضه منه . وما دامت السماء صاحية رافلة في حللها اللازوردية والحقول مختالة في برودها القشيبة الزمردية فلا بد للمساء أن يكون طليعة الليل والليل يسوق النهار والشهر يتبع الشهر مصطحباً الرزايا والعام يوقظ العام ليأخذ قسطه من الشجون والاحزان

— ٢٢ —

هيهات هيهات أن يستيقظ من رقدته ! ولقد صاح البؤس قائلا « استيقظي أيتها الثكلى واطفئي بماء العبرات والتأوهات جرحاً يلتهب في أعماق فؤادك أشد وأقسى من جرحه »

نادت الأماني الساهرة في عيني ( أورانية ) هي والاصداء التي واصلت أختهم أغانيها بصمت مقدس : « انهض أيها البهاء » فوثب وهو مضنى من مأوى راحته الهنيئة بأسرع من الفكرة لدغها أفعوان الذاكرة

— ٢٣ —

نهض كليلة من الخريف هبت من ارجاء الشرق متوحشة معتمة تخلفت النهار العسجدي وكانت كخيال فارق تابوته فتركت الأرض كجثة هامدة

ساور الحزن والخوف ( أورانية ) وأيقظاها من منامها واقتاداها

والتفا حولها وقد تملكهما الأسى كضباب صحبه أعصار ثم دفعاها الى مضجع فاجع تمدد فيه (أدونيس)

— ٢٤ —

فارقت فردوسها الخفي وهرولت خلال معسكرات ومدن وعرة افترشتها حجارة مدببة ونصال بل قلوب انسانية لم ترد ان تفسح مكاناً لقدمها اللطيفة وجرحت رجليها الليّنتين أينما وضعتهما

مزّقت الألسنة الحداد والأفكار الثاقبة شكلا شذياً لم تستطع رده فتقاطر دمه المقدس كندى الربيع وافترش الطريق بأزهار خالدة لا تستحقها

— ٢٥ —

احمر الموت خجلاً حتى فني لحظة حينما وجد نفسه في حضرة هذه القدرة الحية فهبت نفحات الحياة ترفرف فوق هاتين الشفتين ولمع ثانية ضوء الحياة الضئيل فأنار هذه الأعضاء التي كانت له منذ هنيهة أعز هناءة وأعظم نعيم

ثم نادته أورانية: « لا تتركني فريسة الذهل والكآبة دون معين كما يترك البرق الصامت السماء بغير دراري »

أيقظ يأسها الموت فنهض باسما وصادف منها تلك الملاطفة التي لا تجدي

— ٢٦ —

ابق قليلاً وخاطبني مرة أخرى وقبلني طويلاً وحسبي أن نستطيع البقاء قبلة واحدة وتعمر هذه الكلمة بل هذه القبلة بعد غيرها من الفكر في صدري الذي أصبح بلا فؤاد ومخي الملتهب ولا تغذى إلا بأفجع ذكرى وتكون الآن بعد موتك بمثابة بضعة منك. نفسي فداؤك فخل مكاني لأحل مكانك ! فوا أسفاه إنني مقيدة بالزمن ولا أستطيع ان أنفصل عنه

— ٢٧ —

ما أجملك في الحياة والممات أيها الغلام الفتان ! لِمَ تركت قبل الأوان دروباً خطتها الرجال وتحرشت لقتال التنين الجائع وهو في كهفه بيدين ضعيفتين وان كنت قويّ القلب رابط الجأش ؟ ما احوجك وقتئذ الى الدفاع ! أين كانت يومئذ الحكمة هذا المجن والمرآة ، أين الاحتقار تلك القناة ؟ لو كنت انتظرت هذا الانقلاب العظيم لهابتك سباع مفاوز الحياة وفرت من وجهك فرار الأيل

— ٢٨ —

ما أعظم فرار أسراب الذئاب التي لا تجترىء إلا وقت المطاردة والغربان الفاضحة التي تنعق فوق الموتى والعقبان المحالفة لعلم الظافر الفاتح والتي تقتات ببقايا الدمار وتقطر العدوى من أجنحتها حينما تمثل

( بيثيان ) هذا القرن ( بابللون ) وقوسه الذهبية ورمى سهمه ثم ابتسم[١] فلم يحاول قطاع الطرق أن يعيدوا الكرة وكانوا اكلاباً راكمة أمام قدمين عظيمتين احتقرتاهما وهي جاثية صاغرة

— ٢٩ —

تتكاثر آلاف الزواحف عند ما تشرق الشمس وحينما تتوارى تخيم ظلمة الفناء التي لا ينبلج لها فجر على الحشرات القصيرة الحياة وتستيقظ النجوم الخالدة من سباتها ثانية ، وكذلك تجد بين الناس الاحياء أن العقل النادر المثال كمثل رب من الارباب يرتفع ويحلق فتراه وهو في نشوته يكشف مكنونات الغبراء ويحجب ما ظهر من الزرقاء . وان ألم به العدم وجدت الجموع التي كانت تحاول أن تطفىء نوره أو تقاسمه راجعة الى أخوته من المصابيح الطيبة لتترك لها ليل العقل الأليل المزعج

— ٣٠ —

ثم التزمت ( أورانية ) الصمت وأقبل رعاة الجبل[٢] وعقود أزهارهم ذابلة وعباآتهم السحرية ممزقة وجاء حاج الأبدية[٣] من انحنت كالسماء على رأسه الحي شهرته التي كانت أثراً سابقاً لأوانه ولكنها ستخلد مدى الدهور ، وقد حجب الحزن بروق نشيده . وأرسلت ( ايرن[٤] ) من

---

(١) رمز لبيرون الشاعر المشهور ونقده المسمى ( النقاد السكوتلانديون والشعراء الانجليز )

(٢) الشعراء (٣) بيرون (٤) اسم ايرلانده القديم

شواطئها الموحشة أرق شاعر [١] لفاجعاتها وقد علم الحب الأسى ان يخرج من شفتيه ما يزري برنات المثالث والمثاني

— ٣١ —

اقبل بين آخرين اقل شهرة شكل [٢] ضعيف هش بل خيال بين الرجال لم يصحبه احد من الرفاق يحكي اواخر غمام لأعصار محتضر تنعيه نواقيس الرعود . وأظن ان هذا الرجل قد شاهد مثل ( اكتيون [٣] ) جمال الطبيعة وهي عارية فركن الى الفرار بخطوات ضعيفات في بيداء الغبراء وفكره تقتفيه طول هذه السبل الوعرة ككلاب محتدة تعدو وراء أبيها وفريستها

— ٣٢ —

عقل يحاكي الفهد جمالاً وسرعة وحب حجبه الأسى بلثامه وقدرة طوقها الضعف . يكاد لا يستطيع ان يقل وطأة الساعة التي اثقلت كاهله . إن هو الا مصباح تضاءل سناه حتى اوشك ان ينطفىء او وابل هطل وما لبث ان انقطع أو لجة تحطمت تحطم الهشيم

تبسم الشمس المميتة ابتساماً ساطعاً على الزهرة التي فارقتها نضارتها

(١) توماس مور الشاعر الارلاندي الشهير (٢) شيلي الشاعر ناظم «ادونيس»

(٣) صائد فاجأ ( ديان ) ربة الصيد وهي تستحم فاغتاظت منه وحولته الى أيل وما لبث بعد تحوله ان افترسته كلاب ( ديان )

وأمال الذبول عنقها كما ان الحيـاة تتلألأ بدمها القانىء المترقرق فوق الخدين حتى في وقت تفتت الفؤاد

— ٣٣ —

كان رأسه متوجاً بأزهار من (البنسيه) وبنفسج ذابلة ما بين بيضاء ومفوفة وزرقاء، يهز قناة تعلوها ثمرة من السرو وتجلل عاملها الخشن ضفائر أغصان حبل المساكين وهو يقطر من ندى جنوبي الغاب بينا قلبه الخفاق يدفع اليد الضعيفة التي أمسكت به

اقبل آخر الناس وحيداً منفرداً كظبي تركه سربه حينما اصابه نبل الصائد!

— ٣٤ —

وقف الكل على كثب يبكون وكان يخالط عبراتهم ابتسام بينا هو مستمر في انينه المغرض. كان هذا الجمع النبيل يعرف حق المعرفة من يبكي حظه في بكائه لحظ غيره. وبينا ينشد اشجانه بلهجة غريبة كانت (اورانية) محدقة بوجه هذا الأجنبي تحاول معرفته. ثم تمتمت اليـه: «من انت؟» فلم يجب وعلى حين غفلة رفع يده التي كانت تجلل جبينا موسوماً دامياً يماثل جبين قابيل او المسيح — وحبذا لو كان ذاك

— ٣٥ —

ما أرخم وأشجى هـذا الصوت الصادح على الميت! أي جبين يحتجب في هذه العباءة السوداء؟ من هـذا الشكل الراكع بحزن على

سرير الميت الابيض كأنه نُصُبٌ فاجعٌ ومن يثور فؤاده المثقل بالآلام دون أنين وشكوى ؟ فان كان هو (١) أحب الحكماء من هذب ولاطف وأحب ومجد من ظمن فاني لا أرغب ان اعكر بلفظ انيني شجو صمت ضحية يقبلها هذا القلب

— ٣٦ —

تجرع (أدونيس) السم الزعاف ، يا له من قاتل أصم ينفث السم استطاع أن يبكر في الاجهاز على حياته بمثل هذا الشراب الأليم ! وقد أرادت الآن هذه الهامة العديمة الاسم أن تنكر فعلتها وتتبرأ منها

آنس من نفسه هذه الموسيقى الساحرة وكان في استطاعته أن يواريها اذ أثارت فاتحتها الحسد والحقد والظلم ولكنها كانت تزمجر في هذا الصدر الفريد

لقد أمسك لسانه وهو ينتظر نغم الأناشيد فداهمه المنون فأثلج يده وأرخى أوتار كنارته اللجينية

— ٣٧ —

عشت ونعشت يا من لا يستطيع ان ينشىء له مجداً من عاره ! عش ولا تخش مني جزاء وفاقاً ، أنت يا من هو نكتة لا تكاد ترى فوق اسم سيخلد أبد الآباد في الذاكرات ، كن أنت نفسك واعرف ان تكونه ! وافرغ في أوقات سم أنيابك حينما تطفح به ، وسيعلق بك

(١) يقصد به ليج هنت الشاعر

وحدك زجرك لسريرتك واحتقارك لنفسك ، وسيأكل الخجل المحرق جبينك في الخفاء ، وسترتعد ككلب مضروب — مثلما ترتعد الآن

— ٣٨ —

اننا لا نبكي لان من كان يحدث لنا ملذاتنا هرب بعيداً عن هذه العقبان الجارحة التي تصيح في هذا المقام السفلي ، انه ينام أو يسهر مع الموت الصابر . انك لاتستطيع أن تحلق هناك في المقام الذي يسكنه الآن التراب للتراب ! ولكن الروح الطاهر يرجع الى المنبع المتوقد الذي خرج منه ليرفرف فوقه اذ هو من نور الله الذي وجب عليه أن يضيء خلال الزمان والتقلبات دون ان ينطفيء أو يتغير لألاؤه بينا رفاتك الباردة تخمد مهد الخجل القذر

— ٣٩ —

ليهدأ بالكم وليطمئن فؤادكم فانه لم يمت ولم تأخذه سنة من النوم ! لقد استيقظ من أحلام الحياة . بل نحن الذين ضلوا في مشاهدات وهمية فاتنة هائجة وحاربنا خيالات دون جدوى ، ولما تملكنا جنون البحران أخذنا نضرب بخنجر حجانا أشياء حقيرة لا تجرح . نحن الذين يحصدهم العطب والعفن فنسقط كما تتردى الرمم في الحفر . يشنجنا الخوف والهموم وتنهب أجسامنا يوماً فيوماً ، وتنمو وتتكاثر الآمال الباردة تكاثر الديدان في صلصالنا الحي

— ٤٠ —

لقد حلق فيما وراء ظلمة ليلنا واصبح الحسد والافتراء والبغض والألم وهذه الحيرة التي يسميها الناس مسرة لا تستطيع أن تؤثر فيه او تعذبه من الآن . انه في حمى من الذبول البطيء الذي يحدثه عدوى هاته الدنيا فلا يقدر الآن ان يشكو دون طائل من قلب اصبح بارداً اورأس أضحى ثملا ولا حينما ينقطع ذات الروح عن الاحتراق وَمَلْء اناء لم يُبْكَ برماد دون شرر

— ٤١ —

انه عائش مستيقظ ، انه لم يمت وما هلك غير المنون فلا تبكوا ( أدونيس ) . وأنت ايها الفجر المحتال بشبابه حوّل جميع نداك الى بهاء لأن الحجى الذي تبكيه لم يرتحل ! وأنت أيتها الكهوف والحراج والأزهار الذابلة والينابيع ، كفي الأنين ! وأنت أيها الهواء ، يا من طرحت وشاحك على الأرض المهجورة كقناع الحزينة، دعها عارية امام الكواكب المتهللة الباسمة من يأسها

— ٤٢ —

ان هو والطبيعة الا فرد واحد ، يُسمع صوته في جميع موسيقاها من أنين الرعد لغناء طير الليل اللطيف ، يحس بوجوده ويعلم في الحنادس والأنوار كما يعلم في الأعشاب والاحجار ، تمتد قدرته التي أخفت ذاته في ذاتها الى حيث تستطيع أن تعمل ، وهذه القدرة التي تحكم الدنيا مع

الحب الذي لا يفنى أبداً تؤيده في مبادئه وتهيج عواطفه من العلا

— ٤٣ —

انه بضعة من الجمال ولقد ساعد في اتقانه وابداعه . وحينما تجول قوة الفكر المخيلة خلال الدنيا الساكنة الكثيفة يكون له نصيب منها اذ يشاركها فيما يفرضه من الاشكال التي تلبس كل مايتعاقب من جديد الظاهرات . انه يرغم الخبث الذي يعيق طيرانه على التشبه بصورته حسبما تستطيع كل فلزة منه تتكيف بنصيب من شكله ليتجلى جماله وقوته في الأشجار والدواب والناس ونور السماء

---

لقد اكتفينا بهذا القدر من هذه المرثية التي لم ينسج على منوالها أحد من جميع شعراء العالم والباقي منها وهو اثنى عشرة فقرة لا يعادل في القوة هذا القدر فى الابداع

وينبغي للقارىء ان يتمعن جيداً في معانى هذه القصيدة العصماء ويقرأها على مهل لانها عويصة جداً وعميقة الخيال والأفكار وبعيدة المرمى وقصية المغزى

Lord George Gordon Byron

# اللورد جورج جوردون بيرون

عظيم من كبار شعراء الانجليز ولد بلندرة سنة ١٧٨٨ ومات (بميسولونجي) باليونان سنة ١٨٢٤ . ولقد القت أمه حبله على غاربه وقت تربية الطفولة لأن زوجها تركها . ولما ترعرع أرسل الى (هاروو) ثم الى كامبردج)

وفي سنة ١٨٠٧ نشر أول مؤلف له وهو (ساعات الفراغ) فانتقدته (مجلة ايدمبورج) انتقاداً مراً فرد عليه بكتاب هجائي سماه (الشعراء الانكليز والنقاد السكوتلانديون) وكان لشهرته دوي عظيم في أنحاء البلاد الانكليزية وقد دل على تخلصه فجأة من تقليد الشاعر السكوتلاندي (اوسيان) ووقع على رؤوس خصومه كالصاعقة وأثبت لمؤلفه شخصية نادرة

تضايق شاعرنا من بلده ولم يجد له شأناً فيها يناسب نبوغه فعزم على السياحة وسافر في ٢ يوليو سنة ١٨٠٩ الى البرتغال ثم تنقل بين اسبانيا وايطاليا واليونان وتركيا . ثم عرج على طروادة والياذة هوميروس بيده . ولقد جدد وقائع (ليياندر) ، اذ كان يعبر (ايلليسبون) سباحة مثله

وقد استغرقت هذه السياحة ثلاثة أعوام كتب في اثنائها النشيدين الاولين (لتشايلد هارولد) وكانت سبباً في رقيه اذ أصبح مذكراً عظيما

للماضي ومصوراً ماهراً للطبيعة ومفكراً عميقاً شائقاً في الجمال والمجد والاستقلال

ولقد تزوج بعد الحاح اصدقائه (مس ايزابلاميلبانك) سنة ١٨١٥ وبعد عام ولدت له بنتاً ثم تركته وذهبت الى أهلها موطدة العزم ان لا ترى وجهه ثانية . ويقال ان الزوج سلك سبيلا شائناً مع زوجته حتى راعها وراع أهلها . وقد اتهمه كثير من الناس بجميع أنواع تهم الزنا والكبائر الفظيعة اذ يقال انه ما كانت المحارم لتقف امام فجوره . وكان مستهتراً مهذاراً متهللا سكيراً مداعباً كثير المغازلة للنساء وكان يقود دباً ويجاوب من يسأله عنه بأنه سيجعله من حملة شهادة (الاجر يجاسيون)

وقد أسس حزباً سماه (حزب الجمجمة) وكان رئيسه وغاية هذا الحزب السكر والعربدة وكان يرتدى في هذا الاجتماع جبة راهب ويشرب الخمر في جمجمة انسان ركبت لها عروة من الفضة ويجبر النساء الحاضرات ان يشربن فيها معه وهو مرتد لباس الراهب وان هذا المثال لم يحصل مثله حتى في عهد الرومان الذين كانوا يتفننون في أنواع البذخ والفجور

ومن الغريب ان حزباً من النساء تكوّن في عصره لمحاربة فجوره خدمة للاخلاق والدين فلم يطق أن يستمر في المقام ببلاده فودعها الوداع الأخير

ولقد أعد له الحظ خاتمة مجيدة تنسى ماضيه وعزم على السفر الى اليونان وكانت في حرب مع تركيا تريد به استقلالها وجهز سفينة على

نفقته في أوائل اغسطس سنة ١٨٢٣ وابحر الى (سيفالونيا) ثم ذهب منها الى (ميسولونجي) وعين قائداً للجند السائرين لمهاجمة (ليبانت) ولسوء حظه لم ينجح في مشروعه. وفي ذات يوم كان ممتطياً جواده ويتريض في الخلاء ففاجأه مطر مدرار فبلل ثيابه وكان الجو بارداً فرجع الى داره وهو يرتعد ووعكته الحمى وكان ضعيف الجسم و بعد بضعة ايام توفي وكان ذلك في ١٩ ابريل سنة ١٨٢٤ وله من العمر ستة وثلاثون عاماً

وصفوة مؤلفاته (دون جوبان) و (تشايلد هارولد) وله كثير من الروايات القصصية والتمثيلية والقصص والحكايات وغيرها

وللشاعر المترجم كثير من العيوب ولو ان لغته لا تطاوعه على اجهاد نفسه للوصول الى المثل الاعلى ولكنه يصادف الابداع في الغالب دون ان يسعى اليه . واذا كانت فكرته ليست دائماً جديدة وشخصية فانه يكسبها هذه الصفة بما يكسوها من العواطف المتأججة التي يعبر بها واذا كانت اشخاصه ينقصها التنويع فان الطرق التي يعامل بها البعض ويجعل البعض الآخر يتكلم بها لا نهاية لتنويعها وتغييرها . وان عزيمة نفسه وقدرة خياله يتجليان في جميع ما كتب . ورغماً عن هذه العيوب فانه يعد من كبار شعراء القرن التاسع عشر

**Manfred**

## مانفريد

### نبذة من المنظر الاول من الفصل الاول

( مانفريد وحده على جبل چونفرو وقت الصباح )

مانفريد — هجرتني ارواح حضرتها وخدعني سحر درسته وعذبني دواء حسن فيه ظني فلن اعتمد عوض على معونة فوق قوة الانسان ووسعه اذ ليس لها سلطة على الماضي ، أما المستقبل فبعيد عن ادراكي الى ان يوارى الماضي في الغياهب

أيتها الارض من هي أمي ! والنهار المولود والشواهق كيف حزت هذا البهاء والجمال ؟ لا اقدر ان أحبك ايتها الكائنات الفخمة ، وانت يا عين العالم المتلألئة التي تشرف على كل شيء وتراه فأصبحت لهواً ومسرة لجميع الناس ، هيهات ان يصل نورك الى قلبي . وانت ايتها الصخور المنحدرة التي وقفت على ذروتها انظر على حافة السيل اشجار الصنوبر العظيمة وهي في مهوى سحيق يرتد منه الطرف كليلا فيخيل الى انها بلا نظام لبعد الغور: هل من وثبة او حركة أو ريح تهوى بجسمي الى سريره الصخرى فيرقد فيه أبد الآباد : لم هذا التردد ؟ اني لأشعر بدافع يحثني — مع اني لا أندفع اذ ابصر الهلاك — ولا أتقهقر واراني متردداً — وفضلا عن هذا فان قدمي ثابتة لا تتزعزع ، وأجد قوة فوق

قدرتي ، تمنعني وتقضي على ان أحيى وبئست الحياة ان كنت لا اجني منهـا الا خمود القريحة وان اكون رمساً لروحي اذ كففت عن تبرير اعمالي امام نفسي وهذا آخر آفات السوء

( يوجه خطابه الى نسر طائر )

أيها الرئيس ذو الجناحين الذي يشق السحب ، يا من بطيرانك السعيد بلغت أوج العلا ، انك لقادر ان تنقض عليّ فاكون لك غنيمة ترد عن فراخك غائلة السغب . لقد علوت حيث لا تصل اليك الأنظار ولـكن طرفك الحاد يخترق هذه الاعماق وما واجهك وعلاك

ما أجمل هذا الـكون المشاهد المجيد في نفسه وعمله ! ونحن أمراءه من جمعنا بين ضعف الموتى وقوة الآلهة عاجزون عن أن نسحق قوانا أو ننشطها بل أوجدنا تنافراً بين العناصر امتزج بجوهرنا واستنشقنا نسيم الـكبرياء وما يحط بالقـدر ، فنكافح بين سفاسف الحاجات والرغائب العالية الى ان يغلبنا الموت . والناس اما غير واثقين بانفسهم واما لا يثق بعضهم ببعض . صغيا فاني اسمع نغمات . . . ( يسمع من بعد صوت مزمار الراعي ) الموسيقى الطبعية المتخذة من قصب الجبل ، وهنا لا تنحصر ايام البطارقة في قصص الرعاة : بل هي مزمامير تعزف في الهواء الطلق مختلطة برنة الجلاجل المعلقة في جياد الماشية الطامرة ، وان نفسي لتواقة لارتشاف هاته الاصداء . ليتني كنت هذه النغمة المحبوبة المحتجبة او صوتا حياً او الحانا منسجمة تأخذ بمجامع القلوب او

ملذة بغير جسم اولد واموت مع النغمة المباركه التي توجدني

( يقبل فى الحضيض صائد الأروى )

الصائد — قد وثبت الأروية في هذا الاتجاه وعطلتني ارجلها الخفيفة الحركة ، ويكاد كسب اليوم يجزىء عملي المهلك

من هذا الرجل الذي يظهر لي انه ليس من ذوي مهنتنا وقد وصل الى هذا العلا الذي لا يبلغه احد من الجبليين غير المهرة من الصائدين انه لمنتظم الهندام مهيب الطلعة ويخيل الي من هذا البعد انه اشمح انفا من قروي ولد حرا . واود ان اقترب منه

ما نفريد — ( لم يلمح الصائد بعد ) اشتعل الرأس شيبا من الهموم مثل اشجار التنوب هذه وقد تعرت من لحائها وتجردت من أفنانها وتهشمت جذوعها وهي قائمة على اصول خبيثة لا تصلح الا لأحياء ما جعده كر الغداة ومر العشي — وستدوم الحال على هذا المنوال ولا آمل ان احوز ارقى منه بعد ان كنت عظيم الشأن ! وسأكون من اليوم مجعداً تختط فيّ الآونات اسرتها قبل السنين والساعات — وان ساعات عشتها لتوازي عذاب قرن — وانت يا صخور الثلج التى تكفيك هبة من الريح لتهوي بك الى الحضيض فتسحقين الطود، اسقطي عليّ لتسويني بالارض . انني اسمع صوت تزعزعك فوق راسى وتحت قدمي من صدماتك المتوالية ، ولكنك تمرين ولا تنهادين الا على الاشياء التي ترغب في الحياه : اذ تنقضين على غابة غلباء او دار فيحاء او قروي وديع

الصائد – أنشأ الضباب يصعد من الوادي وأريد ان أنصحه بالنزول والا ضل السبيل أو هلك

مانفريد – يفور الضباب حول جبال الجليد ويصعد اليّ الغيم ملتفاً ما بين أبيض وأصفر كزبد المحيط الزاخر في اعماق الجحيم ، وكل لجة منه مكتظة بأهل السعير تتكسر على شاطىء مزدحم بالخلائق تكسّر الماء على الحصى . قد أصابني دوار

الصائد – يلزمني أن اقترب منه باحتراس والا أزعجه وقع قدمي على غرة منه وزلت رجله التي لا تكاد تحمله

مانفريد – انقضت شواهق فشقت السحب وزعزعت بصدمتها اخوتها من جبال ( الألب ) وملأت وديانا خصبة نضرة بأنقاضها وسدت الغدران بصدمة مفاجئة تركت الماء مرغياً مزبداً وأجبرت منابعه ان تبحث لها عن مجرى آخر . . . كما انهار جبل ( روزانبير ) لما طال عليه الأبد . . . فلمَ لم أكن أسفله ؟

الصائد – حذار أيها الصديق ! فان خطوت خطوة واحدة أردتك في الهاوية . ناشدتك من خلقك ان لا تقترب من هذه الحافة

مانفريد – ( دون ان يسمع قول الصائد ) لو تم الأمر لكان جدثاً ملائماً واستراحت عظامي في غوره فلم تنتثر على الصفا فتتلاعب بها الرياح ، وسيتم ذلك الآن في هذه الهاوية

وداعاً أيتها السماء المتلبدة بغيمها ولا تنظري اليّ نظرة العاتب فما

أعددتِ لي ! تناولي أيتها الأرض هذه الذرات !

( بينا مانفريد على وشك ان يلقى بنفسه في المهوى السحيق اذ امسك به الصائد على حين غفلة ورده )

الصائد — مكانك ايها الأحمق ! ومهما أضنتك متاعب الحياة فلا تدنس أوديتنا النقية بدمك الأثيم ، هيا معي فما أنا بتاركك

مانفريد — لقد أصمت فؤادي الآلام . . . قذرني فقـد زدت وهناً على وهن . . . تدور الجبال حولي . . . لم أعد أنظر فيهـا شيئاً . من أنت ؟

الصائد — سأجاوبك حالاً . هيابنا فقد جعل الغيم يتكاثف . . . هناك . . والآن فتوكأ عليّ وضع هنا قدمك — خذ هذه العصا واستند لحظة الى هذه الخميلة — ناولني الآن يدك وأمسك بمنطقتي . . . على رسلك . . . سنبلغ الدار في ساعـة وسنجد أرضاً آمنة أشبه بالدروب كنستها سيول الشتاء الأخير ، تعال فما أنت الا شجاع ... ولو تدربت الصيد لعددت من المهرة . اقتف مني الأثر

( ينزلان بصعوبة من الصخور ويسدل الستار وينتهي الفصل الاول )

## Aujourd'hui, j'ai Complété ma trente Sixieme année

## اليوم أتممت ربيعي السادس والثلاثين

لقد حان أن اكتم هذه الحماسة التي تفترسني ، فلنكف عن مضايقة فؤاد مغلق ، كلا ! بل ينبغي لنا أن نخضع للقدر والحظ وان نحب ولو كنا مبغضين

لقد ذبلت ورقة أيامي قبل الأوان واضحى الحب لا ينفحني بأكاليل الزهر ، وفارقتني الملذات من أمد بعيد ولم احتفظ الا بآلامها

طفقت النار تتأجج في هذا القلب المكلوم الآنَ وماهو الا بركان في احشائي يفوق لهب مشاعل الموتى يؤلمني ويضنيني

وداعاً لهياج الغيرة والوجل والأمل والضحايا التي نغصت وفتنت العالم . ولقد نزع مني الحب أطهر ملذاته وما زلت ارسف في اغلاله

فلتطرد هذه الفكر التي تعذبني بأثقالها . وهنا يلاقي المجد البطل ، فان مات بكاه فوق قبره وان عاش قدم له اكاليل الغار الخالد

أهذا مقام المعارك والاستصراخ ولا أرى هنا الا البيض المهندة والأعلام الخفاقة ولقد قضى هنا في غابر الزمن ( الاسبرطي ) فوق سلاحه ولم يك متمتعاً بالحرية مثلي

لقد هبت اليونان فاستيقظي أيتها النفس وان يحمر الوجه من

آبائي خجلا على ابنهم وارث دمهم وشرفهم القديم الذي يلهبني حماسة ويقول لي : النصر أو الموت

ساطأ سلطة العواطف بقدمي اذ أصبحت عيناي جامدتين لا تذرفان عبرة واحدة للجمال . الآن وقد صرت هادىء البال أقتحم ابتسامه وشدته دون خشيه

فان كانت حياتك فقدت محاسنها الفتانة فما الذي يلزمك بحمل هذه الاعباء الثقيلة المؤلمة ؟ هناك ميدان الشرف فابحث لك وسط المعارك عن رمس مجيد

فكر في موت الجندي في هذه المواطن . اذهنا يؤخذ ويعطى الموت دون وجل . فانظر واختر لك مكاناً تضطجع فيه رفاتك ثم استرح من عنائك وآلامك

---

روي عن ( الكونت جامبا ) ان اللورد بيرون خرج في صباح ٢٢ يناير سنة ١٨٢٤ من مخدعه ودخل في مسكن ( الكولونيل ستانهوپ ) وكان معه بعض الاصحاب فقال لهم وهو يبتسم . « انكم كنتم تشكون في ذاك اليوم من اني لم انظم شيئاً من مدة من الزمن واليوم يوم ميلادي وقد نظمت قصيدة أظن انها أحسن ما كتبت » ثم تلا عليهم هذه القصيدة العصماء

وقال الشاعر الأرلندي المشهور ( توماس مور ) : اذا اعتبرنا جميع المحاسن التي اشتملت عليها هذه الدرة اليتيمة ومطامح النفس الرقيقه الصادرة من قلب محب والاخلاص لقضية شريفة عبر عنها بنبل والشعور باقتراب الموت فاننا لا نجد في جميع الشعر شيئاً يعادلها في البلاغة والرقة وصدق الشعور المؤثر — ولقد مات الشاعر بعد هذه القصيدة بشهرين تقريباً وصدق تنبؤه وهي آخر قريضه

# التقاريظ

ان هذا السفر كنز جامع غاليَ الدر وحر الذهبِ
وكفاه من فخار ان حوى معجز الغرب وآي العربِ

خليل مطران

## ﴿ اللواء ﴾

### ٢٠ ابريل سنة ١٩٠٩

للاستاذ العلامة والفيلسوف الفهامة الشيخ طنطاوي جوهري

ايه يا ( كامل ) قرأت كتابك بلاغة الغرب فازددت بصيرة في قدرتك ومعرفة باستعدادك وقد علمتك من قبل مغرماً بالفنون الجميلة هائماً بالشعر مولعاً بالموسيقى والتصوير ولم أكد أتناوله وأنعم فيه النظر حتى حملني على أجنحة الخيال من ضوضاء المدينة وجلبة السكان وسجن الحجرات الى سكون الخلوات ونعيم الحياة ومحيا الرياض النضرة و بواسم ثغور الأزهار الزاهرة ولا زال ينتقل بي من روضة فيحاء الى غابة غلباء ومن شاطىء نهر عذب فرات الى عباب بحر ملح أجاج فجبل يناطح الجوزاء فسحاب يحجب سناء ذكاء وتارة أجوب الصحاري والبطاح ولينات الرمال أقاسم ( فيكتور هوجو ) أشجانه وأشاطره الامه وهو يصف غريقها يبتلعه المستنقع ابتلاعاً حتى اذا توارى شعره المسدول وسويت به الارض دلفت معه الى البحر وهو يصف الغريق بكل لفظ أنيق ومعنى دقيق ثم طفت أنفى عن نفسي الهم من آثار تلك المناظر المحزنة فغدوت أجوب معه الآفاق ونحن نمر على الادغال ونستمع بدائع النغمات وأحاسن الالحان الطبيعية ورناتها المشجية وأغصان أشجارها تترنح ترنح النشوان وتميل ميل الولهان فأخذ يشرح ما شاهدناه وينظم مافيه من النظائر والاشباه في طرفه الموسيقية فكأنني

نشطت من عقال وصعدت كما صعد الى جبال ( انسبروك ) لنري منظرها البهيج ونسمع نغمات مزاهر رياضها والحان أعواد أشجارها ومن عجب اني أطوي معه الفيافي غدوا وعشياً في بياض النهار وظلمات الليل وأصعد أعالي الافلاك وأنزل الى أسراب الاسماك وأنا لم أبرح مكاني حتى خيل الي أنه سحر مستمر

وطوراً أرى ( دولامارتين ) يداعب كلبه و يمني النفس أن يطير معه على جناح الحب من العالم الفاني الى حيث يجتمع الرفاق ويحشر الاصحاب وود لو يبعث الحيوان والنبات يوم يبعثون

خيال بارق غربي من شاعر فرنسي قد ارتآه من قبله القطب الشيرازي أحد علماء الشرق فمشى ومشيت الى أن علا جبال ( الألب ) يصف هواءها الطلق و يغبط سكان الاكواخ على عيشهم الوارف الهنيء تحت ظلال الأشجار ونعيم الحرية والتمتع بجمال الطبيعة والمناظر البهجة السارة والحقول الخضراء النضرة والروح والريحان وسعادة الروح واشراق النفس بما ترى من الانوار وما يرد على اسماعها من الصرير والخرير والهدير والتغريد بين الغصون الموائس ثم ودع الحياة وهو يصف الخريف اذ تأهبت الدنيا ان تخلع ملابسها السندسية بعد ان اهتزت وربت وأخذت زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم طفق يصف العزلة ويتعالى عن المادة في ساحات الخيال ويعرج على عالم النور والبهاء ومستوى لا تراه اليوم الا الظنون فمثله كمثل ( اندريه شينييه ) اذ يصف الفتاة الاسيرة وكيف احتال بسحره الحلال ووصفه الشائق حتى اطلق طائر تلك البائسة من قفص سجن الهموم وارسلها في جو الآمال على متن براق الخيال وكواكب السعود متلألئة في مدلهمات الدهور حتى ان الفتاة المسجونة منحت سعادة لم يعقها حراس السجن وأبوابه الموصدة وكأنى بها تقول

عجبت لمسراها وانى تخلصت  الي وباب السجن دوني مغلق

ولم تزايلها السعادة مزايلة من تولت عنه وأعرضت وهو يقول

ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق

وآونة أجالس ( الفريد دوموسيه ) والغرام يضنيه وحمدت معه تلك الفرس الوحشية اذ ماتت ظمأى في القفر شهيدة الحرية

كبرت نفسها وعلت همتها أن تتدلى الى الحضيض تحت أقدام الرق والحبس وأبت كعنترة أن تسقى ماء الحياة والذلة واستعذبت طعم الحنظل مع العز وأيقنت ان الحياة في المدن والضفاف المونقة مع الرق جهنم وسعير فشربت كاس المنون مطمئنة قريرة العين تحسب انها في جنة ونعيم

ولطالما سمعت ( دوفيني ) وهو يعاتب الطبيعة على كبريائها ويلومها على عظمتها وهي تولي عنه مستكبرة وتنظر اليه والى الناس شزراً واستصغاراً وتحقر الامم والدول والملوك والممالك وتتجاهل وجودهم وتتجافى عنهم وتغمض عن ولعهم بها وحبهم لها وغير ذلك من روائع الوصف وبالجملة فهذا الكتاب عالم مختصر وهدى ونور لأولي الابصار

الوجود كله كتاب مسطور في رق منشور طوت سجله الغياهب واسدلت عليه الغيوب الحجب فان لمع بارق من سناه أو أضاء في الآفاق منه شارق فسناه في قلوب العقلاء وضوؤه في عقول الأدباء والدنيا خاتم آثار نقشه في النفوس وخزائن اقتسمتها الأرواح البشرية بقوانين سنتها الحكمة الالهية وسطرتها الفطر الانسانية وعنوانها ( قد علم كل أناس مشربهم ) ولقد كنت يا ( كامل ) ممن اصطفتهم تلك العناية ليترجم للناس ما أعجمته الطبائع الخفية وليتلو عليهم من آيات جمالها المنقوشة على قلوب الادباء ما كانوا عنه غافلين كأني بك (وقد نثرت كتابك على مصر نثر الدنانير على العروس ) فعلوت بالابناء الى مستوى يسمعون

فيه صرير أقلام الحرية ويبصرون نعيم السعادة والمدنية عسى أن يولعوا بالادب كما ولعت ويعوا الحكمة كما وعيت

هيج العواطف الكامنة وأيقظ النفوس النائمة وأثر العقول الهاجعة وأتبع الكتاب الكتاب فكأين من أناس لهم أعين في غطاء وآذان فيها وقر وقلوب غلف أقرئهم كتابك حتى يروا ما سطرته يراعة هذا العالم على صفحات قلوب رجال تحت سماء غير سمائهم ونبئهم أن المواهب العقلية قسمة بينهم وقد أثبت البرهان بأوثق القضايا ان الذكاء يمنح للامم على مقدار حاجاتها ولن يهلك الله أمة حتى ينيموا عزائمهم ويميتوا بصائرهم ويدفنوا في قبور الجهالة استعدادهم ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) وخبرهم ان لا حياة الا بالشرف ولا شرف الا بالعمل ولا عمل الا بالعزم ولا عزم الا بالعلم ولا علم الا بالفكر والنظر ولن يجدي النظر لاسطر سوداء خطتها الايدي البشرية قبل السطور الخضر التي نقشتها يد الحكمة الالهية في الحقول والمزارع والغابات فمعارف الاولى ظاهرية قشرية ومعارف الاخرى حقيقية الهية وانى تستوي الضلالة والهدى أم هل يستوى الطبع والتطبع

ان أعيننا كالمصورة الشمسية ( الفوتوغرافيا ) تستقبل صور المرئيات فتطبعها طبعاً وتخزنها القوة المخيلة فيدبرها العقل فيترجمها اللسان فيخطها البنان فالعلم في الكتاب منسوخ تنزل عن مبدئه المنظور اربع مرات العيان والذهن واللسان والبنان . فمن قصرت اذهانهم على الكتاب الاسود البشري اسودت العلوم في نظرهم وأحجمت عن عقولهم وأظلمت حياتهم واضحوا أسرى للأوهام وقادهم في أعمال حياتهم من هم أسد منهم نظراً وأعلى كعباً وأحد فكراً في العالم المشاهد . فمن تولى من الاذكياء بعد ذلك فله عذاب الخزي في هذه الحياة ولعذاب الاخرة أخزى

ألا لا يقعدنك يا ( كامل ) عن العمل تقاعد الهمم فلو لا الضلالة ما كان الهدى ولولا الحاجة ما كان الجدى

( المؤيد )

٢٠ ابريل سنة ١٩٠٩

للاستاذ الفاضل والكاتب القدير السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

أعجب ما أعرف من أمر نفسي اني أحب الجمال خيالاً أكثر مما أحبه حقيقة فيعجبني وصف الروض أكثر مما يعجبني مرآه ولا أطرب لمنظر الفتيات الجميلات . طربي لمنظر القصائد الغزليات . وأحب ان أسمع وصف المدن الجميلة وان أقرأ ما يكتبه الكاتبون عن رياضها ومنازهها وقصورها ودورها وسهولها وبطاحها وأنهارها وجداولها وميادينها وتماثيلها وأنديتها ومجامعها ولا احب أن أراها كأني أريد ان أستديم لنفسي تلك اللذة الخيالية وأخاف ان تحول الحقيقة بيني وبينها

وأحسب انى لو كنت عاشقاً لأصبحت اضحوكة العاشقين . وأعجوبة الهازئين والساخرين . وكان يكون مثلي مثل ذلك الرجل الذي احب امرأة فاستزارها فمانعته حيناً ثم زارته فلما رآها تركها وذهب لينام فعجبت لشأنه وسألته ما باله فقال لها أريد ان أنام عاني أرى طيفك في المنام

جاء يوم شم النسيم فخرج الناس اليه يستقبلونه استقبال الجيش المدجج . للملك المتوج . ويرحبون به ترحيب العشاق . بيوم التلاق . بعد طول الفراق . ويبسمون له ابتسام الرياض الزاهره . للسحب الماطره . وقد ذهبوا في شأنه المذاهب فمن صاعد الى رؤوس الجبال . وسارب في سهول الرمال . وواقف موقف الاعجاب والاجلال بين جمال الانوار وأنوار الجمال . ومقلب طرفه بين حسن الزهرات . وحسن الفتيات . لا يعلم أتشبه القامات الغصون أم الغصون القامات

ذهب الناس في ذلك اليوم تلك المذاهب وما كان لي ان أذهب مذهبهم لاني لا أعجب بما يعجبون . ولا أسر بما يسرون . فقبعت في كسر بيتي أبحث عن ضالة خيال أجد فيها من السعادة والهناء ما لا يجده اللائمون بين ثغر الحسناء وثغر الصهباء . فلمحت بجانبي كتاب ( بلاغة الغرب ) وهو الكتاب الذي ترجمه حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي كامل حجاج وجمع فيه نفائس اللغة الفرنساوية وزبدة ما جادت به قرائح كتابها وشعرائها فقلت حسبي من الرياض هذه الزهرات . ومن النسائم تلك النفحات

خطوت الخطوات الاولى من سياحتي في هذا الكتاب فرأيتني واقفاً تحت نافذة قصر اللوفر في باريس ورأيت الناس وقوفاً في ذلك الميدان الفسيح وقد ماج بعضهم في بعض . حتى ضاقت بهم رقعة الارض . ورأيتهم يمدون أعناقهم الى تلك النافذة و ينظرون اليها نظر المنجم في الاسطرلاب . و يرقبون منها ما يرقب الروض من غادية السحاب

وانهم لكذلك واذا بنابليون الاول قد اطل من نافذة قصره كما يطل البدر من وراء الافق يحمل بين يديه طفله الصغير كما يسميه الناس وملك رومة كما يسميه أبوه فضج الناس لمطلعه ضجيجاً ملأ مسمع الخافقين . وابتسموا لمرآه ابتساماً أضاء ما بين المشرقين والمغربين وهنا سمعت الشاعر الكبير يخاطب ذلك الملك العظيم بصوت يشبه صوت البحر الزاخر قائلاً له

رويداً أيها الرجل المغرور بالتاج والسرير . والملك الكبير . والجيش الخاضع والشعب الطائع . أنت تقدر لطفلك في مستقبل الايام ملكاً كملكك . ومجداً كمجدك . وعزاً وسلطاناً كعزك وسلطانك . غير عالم بما تكتمه ضمائر الايام . من الحوادث العظام . والخطوب الجسام . هل اخذت عن الايام عهداً لنفسك فتأخذه لولدك وهل وثقت بما في يدك فتثق بما في يد غيرك

أيها الملك المغرور انك ستفارق عما قليل هـذا القصر الكبير. الى ذلك الكوخ الحقير. وسيحيط بك الجند في منفاك احاطة الاخضاع والاذلال. لا احاطة الاعظام والاجلال. وسيموت ولدك محروماً من هـذا العرش الذى هيأته له بل محروماً من بضعة أشبار من تربة فرنسا يضطجع فيها ضجعة الموت

أيها الملك المغرور لا تقل ان المستقبل لي فانما المستقبل لله

تركت هذا الموقف الفخم الجليل وقد امتلأت نفسي عبرة بمصائر الايام. ومصارع الكرام. وتقلبات الدهور بين رفع وخفض. وابرام ونقض. ومشيت حتى وصلت الى برية جرداء. ودوية قفراء. لا يطرقها الانسان. ولا تعزف به الجنان. فلمحت على البعد رجلا يمشي على شاطىء بحر فوق أرض رملية يخدع ظاهرها. ويقتل باطنها. ويتمشى الماء في أعصابها تمشى الصهباء. في الاعضاء. ويكمن في صدرها كمون الاسرار في صدور الاقدار. فما هي الا بضع خطوات حتى رأيت الرجل المسكين وقد غاصت قدماه في الرمل فحاول نزعهما فغاص الى ركبتيه فتململ فغاص الى صدره وما زال يساعد على نفسه بمنازعته وتململه حتى لم يبق له فوق ظهر الارض غير فم يصرخ بالنداء وعين تذرف بالبكاء ثم ما لبث أن غطاهما الرمل فرفع يديه بالدعاء. فلم يجد من رحمة في الارض ولا في السماء

وقفت بين يدي هذا المشهد المؤثر المحزن وقفـة أرسلت فيها قطرات من الدموع على هذا البائس المسكين وقلت اني قد عجزت عن اسعاده في نكبته. ومعونته في شدته. فلا أقل من أن أسعده بقليل من الزفرات. ورذاذ من العبرات

ثم فارقته ومشيت حتى بلغت منزل الشاعر لامارتين فرأيته جالساً في غرفته وليس معه في منزله من يؤنسه غير كلبه فسمعته يخاطبه ويقول له

أيها الكلب الامين. قد هجرني الناس و بقيت بجانبي وخانني الاصدقاء ووفيت لي فأنت في نظري أوفى الاوفياء. وأصدق الاصدقاء. لولا انك كريم

الاخلاق متواضع تأبى، الا ان تعرف اسيدك منزلته من السيادة عليك وتحفظ له يده من المعروف عندك لأ كبرت جلستك عند عتبة الباب ولاجلستك بجانبي لانك صديقي ومؤنسي ولانك أحق بالا كرام من كثير من هؤلاء الذين يفترشون الطنافس و يتوسدون الوسائد

حسبي منك نظراتك التي تنظر الى بهـا بود واخلاص وكأني أشعر حينما تنظر الى أنك تفتش عن سر يرتي في أسرتي وتقرأ في صفحة وجهي ما غاب عنك من دخيلة امري وكأني أسمعك تقول ما باله وما شأنه وما الذي يحزنه وما الذي يبكيه

حسبي منك ذلك وهل يجد الانسان من أوفى أصدقائه اكثر مما أجده في لفتاتك وألمحه في نظراتك من الاهتمام بأمري والعنـاية بشأني والحزن لحزني والبكاء لبكائي

سمعت لامارتين يناجي كابه بهذا النجاء الرقيق فانسلت وذهبت لشأني وأنا أقول في نفسي اذا كان لامارتين وهو أشعر شاعر في فرنسا وفرنسا مهبط وحي الشعر لم يجد له صديقاً وفياً غير كابه المقعي على عتبة غرفته فأين يذهب الشعراء . ومتي يجدون الاصدقاء

تركت منزل لامارتين وذهبت الى منزل دوموسيه فرأيته معتزلا في غرفة من غرف منزله يبكي بكاء مراً و يزفر زفيراً تكاد تتقطع له احشاؤه فقلت ليت شعري ما أبكاه وما الذي دهاه فسمعته يترنم بقصيدة من قصائده يشرح فيها تاريخ وجده وهواه شرحاً مؤثراً مؤلماً حتى خيل لي ان كل بيت من أبياتهـا جذوة نار ملتهبة وسمعته يشكو فيها من خيانة حبيبته ( جورج صاند ) ويعالج نفسه على ان يسلوها ويتناسى عهدها وذمامها فلا يجد الى ذلك سبيلا وما هو الا أن أتم قصيدته حتى تغير لونه وشخص بصره واضطرب اضطراب الاغصان

اليابسة بين يدي الرياح العاصفة ثم أخذ يهذي هذيان المحموم ويخلط في كلامه خلطاً شديداً فعلمت ان الرجل قد جن وان العالم الشعري قد فجع فيه . فمضيت لسبيلي وأنا أسأل الله العافية وأقول ان جمال المرأة أحقر من ان يقتل أوفر عقل وأضعف من ان يطفىء أكبر قريحة

ولكنها الاقدار تجرى بحكمها علينا وأمر الغيب سر محجب

تركت منزل دوموسيه ومشيت في شارع من شوارع باربس فرأيت شيخاً رث الثياب قذر الهيئة يمشي مشية هادئة مطمئنة ويجر في رجليه نعلا بالياً قد أطلت أصابعه من خروقه كما تطل الحيات من اجحارها فاتبعته نظري فرأيته لا يرفع طرفه سكوناً واطراقاً ولا يحرك عضواً من أعضائه رزانة ووقاراً فقلت في نفسي ان لهذا الرجل شأناً فمشيت وراءه حتى رأيته وقف على باب حانوت اسكاف فلم يجد صاحب الحانوت في حانوته فجلس على الارض ينتظره حتى يعود فيرقع نعله فسألت بعض المارة عنه فقال هذا كورنيي شاعر فرنسا فأخذتني الدهشة وملكني العجب حتى كاد يحول بيني و بين عقلي فقلت له ويح لكم معشر الناس اتضنون بقطعة من الجلد الاسمر . على رجل يقلد أعناقكم الدر والجوهر . أعجزتم ان تجمعوا امركم على ان تمسحوا هذه الغضون عن تلك الجبهة التي تجود عليكم كل يوم بما يفرج كربتكم وينعش نفوسكم

ثم رجعت أدراجي وانا اقول كأن قضاء حتما على الدهر ان لا ينيل هؤلاء الادباء من دهرهم ما يريدون ولا يمنحهم من العيش ما يشتهون

ان في جلسة لامارتين منفرداً في منزله لا مؤنس له غير كآبه وفي عزلة دوموسيه في غرفته وخلوته ببكائه ونحيبه وفي ضجعة كورنيي امام حانوت الاسكاف لآية المتفكرين . وعبرة للمعتبرين

الآن عدت من سياحتي في ذلك الكتاب أشكر للكاتب ما كتب

وللمترجم ما ترجم وأقول من لي كل يوم بسياحة مثل هذه السياحة في كتاب مثل هذا الكتاب

( العلم )

١٠ اغسطس سنة ١٩١٠

للعلامة الفاضل والكاتب الشهير الدكتور طه حسين

نتقدم في اول هذه الرسالة الى قرائنا بالتحيات الطيبات ونرجو منهم ان يقرؤوا معنا هذه الرسالة التي بعث بها الينا الكاتب الاديب صاحب ( بلاغة الغرب ) ولهم بعد ذلك ان يلومونا أو يلتمسوا لنا المعذرة من تلك السفسطة التي سفطناها كارهين وهذه هي الرسالة :

« سيدي الفاضل »

السلام عليكم ورحمة الله ( وبعد ) فقد تسرعت ولم تدع في جعبتك سهماً من سهام الذم والتشنيع الا صوبته الي ولولا أني براء مما اتهمتني به براءة الذئب من دم ابن يعقوب لقضى عليّ سهم واحد منها

ولا أدري من خدعك أصديقك أم ذاكرتك حتى نالني منك ما نالني ظلماً اذ ليس في كتابي قصيدة لفيكتور هوجو في وصف غرناطة ولا قصيدة يخاطب بها ابنته بل لم ترد في جميع كتابي لفظة ( غرناطة )

وليتك اكتفيت بما رميتني به من السخف وغيره ولم تعقبها بكونك تريد اثبات قولك بالدليل ان كان الكتاب بين يديك اذ لا جدال ولا تفنيد

وأظن ان صاحب النظرات لم يرد بقوله « ليس في هذه الرسالة شيء منقول بلفظه من كتاب بلاغة الغرب وانما هي ملخصات فهم الكاتب معناها وأنشأ لفظها » الا ان يبرىء نفسه مما اتهمه به بعضهم بأنه نقل أغلب الفاظ نظرته هذه من كتاب بلاغة الغرب وعبارته هذه واضحة صريحة لا تقبل تأويلاً آخر

واني مرسل اليك نسخة من كتابي لتتحقق بنفسك خلوه من هاتين القصيدتين وذلك لا يستغرق اكثر من ساعة واحدة لان جميع ما ترجمته عن فيكتور هوجو لا يتجاوز اثنتين وعشرين صحيفة متوالية من صدر الكتاب

وأملي فيك انك حينما تسفر لك الحقيقة ان تبرئني مما وصمتني به ملبياً ما يطالبك به الضمير من المروءة والانصاف والسلام

٤ اغسطس سنة ١٩١٠ محمد كامل حجاج

قرأت هذه الرسالة الرفيعة فأخذت مني الدهشة مأخذها و بلغت من قلبي مبلغاً عظيماً وأسفت أشد الاسف لاني أسأت خطأ الى غير وازر وأدليت بالشر الى من لم يسبق الي منه سوء وقدحت في كتاب لم اقرأ قبل اليوم منه قليلا ولا كثيراً . أجل قد بلغت الموجدة مني على ذلك الكتاب الذي خدعت فيه وزعمته بلاغة الغرب مبلغاً أنكر فيّ معه جلامي وان لم اكن قد ألحت على نفسي باللوم لانى انسان أخطىء وأصيب

ولقد يزعم ابو تمام ان اسم الانسان مشتق من النسيان في بعض شعره وان كنت لا أرى رأيه في ذلك ولكنها علة الملتجىء ومعذرة المضطر فليقبل صاحب ( بلاغة الغرب ) معذرتي وليعفني من الأطالة عليه في ذلك فانها قلما تجدي نفعاً

قرأت اليوم من هذا الكتاب صفحات فعذرت الكاتب . . . في تقريظه لانه بالتقريظ خليق ، بل انا أؤكد للقراء أن عبارة هذا الكتاب التي كره الكاتب . . . ان يأخذ منها شيئاً أرق وألطف من عبارة النظرات في تقريظه وما على القارىء الا ان يقرأ قصيدة ( نابليون الثانى ) ليستبين صدق ما نقول

الآن وقد فرغت من الاعتذار الى هذا الكاتب لا يسعنى الا ان أشكر له أدبه وسعة صدره وأثني عليه الثناء الجميل . وان لي من هذه النسخة التي بعث بها الي من كتابه لتسلية تحملني على شكره والثناء عليه كما بعثت في قلبي من النعيم والراحة ما أنا في حاجة اليه حيث انا الآن

## ﴿ اللواء ﴾

٥ ابريل سنة ١٩٠٩

### كتاب جليل

ترتقي فنون الادب في الامم بمقدار عناية المشتغلين بها باقتباس محاسن الآداب الاجنبية واختيار معانيها الراقية وأساليبها الجميلة ولقد كان من النادر ان ترى من المشتغلين باحياء الآداب العربية من درس آداب الافرنج ووقف على دقيق صناعتهم الكتابية ثم امكنه أن يصوغها في قالب عربي ليزيد في رأس مال الآداب العربية — ولقد هدى الله حضرة الاديب الفاضل محمد افندي كامل حجاج الى سد هذا النقص فقام بأجل خدمة للغة العربية فأخرج للناس كتاباً جمع فيه تاريخ بعض كبار الشعراء والكتاب الفرنسيين ونبذا من أبلغ منظومهم ومنثورهم . يذكر الشاعر الشهير مثل فيكتور هوجو او لامارتين أو اندريه شينيه فيأتى على اجمال وأف من تاريخه في الادب وطريقته في الشعر أو النثر وتأثير كتاباته في الاداب الفرنسية ثم يصور وجدان الشاعر او الكاتب الذي يتكلم عنه فيقف قارىء كتابه الجليل على صورة عامة لتاريخ الآداب في فرنسا ودرجة ارتقائها ثم انه بما اختاره من ثمرات افكار الشعراء وآيات بيان الكتاب ليقف القاريء العربى على اساليب جديدة في الشعر والنثر و يحمل اليه خطراتهم الراقية التي اختصوا بها وامتازت بها كتاباتهم — لذلك لا نكون مبالغين ان قلنا انه كتاب لو قدره المشتغلون منا بالادب حق قدره لأحدث ارتقاء محسوساً في الاداب العربية بما حواه من المعانى والاساليب الجديدة

والى القراء نموذج من مختارات هذا الكتاب الجليل ثم نشر عقب ذلك العزلة ( للامارتين )

## ﴿ اللواء ﴾

### ١٤ ابريل سنة ١٩٠٩

كتاب جمع من منثور ومنظوم كتاب الفرنسيين واحتوى على نبذ من سيرهم ومذاهبهم في الأدب فأصبح صورة جامعة لأفكار أمراء الكلام جديرة بأن يجيد النظر فيها كتابنا وشعراؤنا وان يستفتحوا بها دنيا جديدة من المعاني والاساليب فيضمونها الى ما في لغتنا من المحاسن وآيات السحر

ولا يجدن أحد في ذلك من غضاضة وتأخذه العزة قبل أن يتبين خلوص النصح من عدمه فان الآداب اللغوية تختلف باختلاف منابتها ولا يعزب عن النظر أن الكائنات المحيطة بالانسان تصوغ نفسه وفكره صياغة مناسبة لها ولما كانت طبيعة البلاد الغربية وأحوالها مخالفة للشرق وأحواله كان بديهياً ان تتخالف مناهج الافهام ومسالك الاقلام ومسابح الخيالات وطرائق الاحلام

من أجل ذلك يتعين على الأديب العربي ( والعربية شرقيــة ) أن يمعن النظر في آثار أدباء الغرب ليقتبس مما ابتدعوه في عصر نهضتهم وليقيس على مخترعات قرائحهم فيزداد أدباً على أدب وقدرة على قدرة —

وذلك فيما نظن هو الذي حدا بحضرة محمد افندي كامل حجاج الى تعريب مقتطفات من كتاب الفرنسيين وشعرائهم فجزاه الله عن الأدب وأهله خيراً

ولقد رأينا ان نعرض على القراء طرفاً من محاسنها غير الذي عرضناه في عدد مضى ثم نشر ( ان للرمال للمينا خائنا كاين النساء ) لفكتور هوجو

## ﴿ النظام ﴾

### ١٩ ابريل سنة ١٩٠٩

للكاتب الاديب احمد افندي رفعت

كانت مصر الى هذه الأيام الأخيرة في أشد الحاجة الى كتاب بارعين ينقلون الينا من آداب الغرب وأساليب بلاغته ما لو ادخل ما يوافق الذوق الشرقي منه الى اللسان العربي لتقدم به هذا اللسان المبين خطوات واسعة ولبز سائر لغات العالم حسناً وصقالاً وتصوراً

ولقد كتبت في هذا الصدد مقالات شتى في جرائد ومجلات مختلفة استحث فيها الكتاب على طرق هذا الباب الا أن كتابنا كانوا منصرفين الى تقليد الأوائل في كافة أساليبهم غير حافلين بالتيار الفكري الحديث الذي يتغلب بقوة تدفعه على كل ما أمامه فكنت أحزن لهذا الجمود لعلمي بأن لغتنا الشريفة اذا ظلت على عهدها القديم عدت من اللغات الميتة وسحب عليها ذلك التيار القوي ذيول فيضه

وفيما أنا أضرب في أودية الأسى وأندب حظ هذه اللغة التي رماها الغربيون بوصمة العقم وشنوا عليها الغارة الشعواء : اذا بكاتب أديب ، والادباء الحقيقيون في هذا البلد قلائل ، هب من هجعة الجمود وابرز لأبناء وطنه كتاباً جليلا يعتبر حجراً في أساس النهضة الأدبية المصرية الا وهو كتاب « بلاغة الغرب »

تصفحت كتاب الأديب كامل حجاج افندي بشوق زائد لأرى كيف ينقل المصري مدهشات الغرب الى أساليب العرب ، ولأتحقق مما اذا كان قد وجد في مصر معرب قادر على أن يؤدي للتعريب حقه فلا يظلم من ينقل فكرهم الى لغة أخرى ، ولا يخون صاحب القلم الأصلي في ما جرى به يراعه

المصريون في أشد الحاجة الى روح ترفرف فوق رؤوسهم لتمدهم بنفحات الحياة . طال عليهم أمد الاستكانة والخنوع للدول التي تعاقبت على بلادهم حتى حسبوا في عداد الأموات وحتى يئس محبو مجد مصر القديم من تحرك أبناء النيل حركة الشعور والاحساس حركة الحياة والعمل . واذ كان من المقدر في علم الله أن ينفض المصريون عنهم غبار الموت وأن ينهضوا الى حركة مباركة يدفعون بها عار الجمود المزمن ويستعيدون ببركتها ما سلبته اكف الازمان من مجدهم العتيق السميق . فقد قيض الله لمصر من بنيها شباناً يعرفون كيف يبثون في اخوانهم قوة الادراك والحس . وكان كامل حجاج في طليعة هؤلاء الشبان العاملين . قضى هذا الفتى النافع ليالي وأياماً طوالاً في تصفح كتب الفرنسيين ليلتقط منها أزاهر ينعش بأريجها اخوانه فتتنبه حواسهم وتغشى اليقظة أجفانهم ويسرى النشاط في نفوسهم . أجل لقد سبق كل ناطق بالضاد الى اقتطاع نخب من طرائف الفرنسيين المملوءة بالتصور والتأثير والعواطف الشريفة والرقة والتشابيه البديعة والمعاني الابكار ففتح لسواه من الذين سيقفون أثره باباً واسعاً يؤدي الى أشرف وأعز طلاب

سمى كامل حجاج افندي كتابه « بلاغة الغرب » توسعاً وتسامحاً وكان أجدر به أن يسميه « بلاغة الفرنسيين » لان الكتاب لا يشمل الا نتفاً من كتابات الفرنسيين خاصة . وجمّل غلافه بنقش بديع من الافنان الوريقة الحافلة بالازهار وهذا الرسم رقشته ريشة هذا الكاتب الرسام الذي نبغ في الكتابة والرسم والموسيقى وفن تربية الازهار والاشجار

والكتاب يشتمل على تراجم بعض الشعراء والكتاب الفرنسيين بايجاز غير مخل وعلى منتخبات من نفثاتهم تدل على أفكارهم ومناهجهم الكتابية

أغلب الكتاب مفرغ في قالب صحيح العبارة متين التركيب . وأعجب

ماشاهدته في الكتاب مطابقة قوة التعريب في أغلب القطع المنتخبة لقوة الأصل الفرنسي ، فما كان جزل اللفظ في اللغة الأصلية اختار له الالفاظ الجزلة في العربية وما كان سهلاً في الأصل اتخذ له ألفاظاً رقيقة في التعريب . وهذا يدل على تمكن المعرب في اللغتين الى حد ان يستطيع التوفيق في الاسلوب بين الأصل والترجمة ، والمختصون بهذه الميزة في اللغة العربية أندر من الكبريت الاحمر

أخذ المؤلف يترجم الكاتب أو الشاعر ثم يستعرض على الانظار من قوله ما يكون مرآة تنطبع فيها نفس المترجم ، فأحسن في الاختيار ما استطاع . انتخب قطعاً لا يكاد يتلو القارىء واحدة منها حتى يسرح بنفسه الفكر في أودية الخيال فيتمثل له ما يرسمه الكاتب بيراعه في صور متحركة تعرضها المرائي الطبيعية المختلفة على مخيلته المتنقلة مع قلم الكاتب من منظر الى آخر

ما أجمل المناظر الطبيعية اذا انبسطت امام البصر متنائية الامتداد وما أبدعها اذا حصرتها ريشة المتصور في لوحة تحوط العين بأطرافها وما أشد تأثيرها في النفس اذا استجمعتها يراعة الشاعر المتفنن في أسطر معدودات ! من ذا الذي يتلو في هذا الكتاب لفيكتور هوجو « ان للرمال ليناً خائناً كلين النساء » ولا يهلع لمنظر ذلك الانسان الذي تأخذه الرمال غيلة وهو يتظنى نفسه في أرض تتحمل وطأة قدميه وقد يسوخ في تلك الليونة القاتلة ! يلتفت يمنة ويسرة فلا يجد أيدياً تسدد الى صدره الأسنة ولا تشهر على رأسه الصفاح ، بل يرى على بعد بحراً خضما تتلاطم أمواجه بصخور الشاطىء ويبصر من جهة أخرى تلاعاً وجبالا وأشجاراً باسقات كأنها أحجار من الزمرد تكلل سفوحها ، وتتراءى له في أقصى الأفق « الرياض الزاهرة ودخان القرى يتصاعد كالسحب وشرع السفن الماخرة في عباب البحر والطير الصادح والشمس المشرقة والسماء اللازوردية » . كل هذا يبدو له وجسمه آخذ في تخلل تلك الرمال اللينة حتى

يختفي فيها وهو ممتع بصحته وقوته وشبابه وثروته ! ! بل من ذا الذي لا يخف به الوهم الى واد مخضل حافل بما يبهج النفس ويروق البصر اذا تلا للامارتين هذا الوصف البديع « أمامي النهر يزمجر بأمواجه الزاخرة المزبدة وينساب كالافعى وسط الرياض . وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة وقد ارتسم كوكب المساء على صفحات الماء . وكانت الجبال التي تحوطني متوجة بغابات قائمة رمى عليها الشفق أشعته الأخيرة » . وقوله في وصف مشاهد الخريف « سلام أيها الغاب المتوج ببقية من الخضرة ! وقد اصفرت منك الاوراق وذبلت فتناثرت على العشب . سلام أيتها الأيام الاخيرة من دولة الجمال والهناءة ! اني ليروقني النظر الى حداد الطبيعة على محاسنها التي انقضت وفاتت اذ أجرع ما تتجرعه من الألم . وبودي لو انظر النظرة الاخيرة لشمس ناصلة تكاد أشعتها الضئيلة تنير ما تحت قدمي من ظلمة الغاب . وفي هذه الأيام من الخريف التي تحتضر فيها الطبيعة أجد في نظراتها التي يغشاها الموت ارتياحاً وابتهاجاً »

فكل هذه الأوصاف الجميلة والتصورات اللطيفة وغيرها مما كثر وروده في هذا الكتاب الجليل كان الناشىء المصري في أشد الحاجة الى تشييع فكره منها

لا انكر ان الناشئين يستطيعون ان يقرأوا نبذاً كثيرة من أمثال ذلك في اللغات الأوروبية ولكني لست أرى انهم يصيبون فيما يتلونه بلغتهم الأهلية . وفضلاً عن هذا فانهم ان لبثوا يتلون في اللغات الأخرى ما لا يجدون له مثيلاً في لسانهم فضلوا تلك اللغات على هذا اللسان وكانوا عوناً لأعدائه عليه

ومما عرب به لأندريه شينييه « تبيض وتفرخ بقلبي الأماني والآمال في سجن تكاد جدرانه تنيخ عليّ لئلا أفلت منها ولكن ساء زعمها فاني راكبة جناحي الأمل كالعندليب تسرب من قفص بائع الطيور القاسي طائراً منتعشاً

متهللاً في فسيح الخلاء ومزهر الرياض وقد اكتنفته الهناءة من كل صوب يغرد ثملا بنشوة الحرية والسعادة »

وجاء في ما عرب به لراسين « لا تعتمدي على قوتي الضعيفة في حمايتك والدفاع عنك فلا أحد يستطيع أن يوقف حرية شعب عند حدان أرادت الآلهة رفع نير الاستعباد عن عاتقه »

فوجب علينا ان نثني على همة هذا الكاتب الأديب النافع أجل الثناء وأن نحث كل مصري يريد أن يغذي عقله بمادة جديدة من الطراز الغربي على اقتناء هذا التأليف النفيس واستظهار الكثير من منتخباته . وأملنا ان يتحف الكاتب المجيد اخوانه بالأجزاء التالية لمؤلفه هذا فان نفع كتابه أوضح من الشمس . وان اليوم الذي يكون فيه بين شعرائنا وكتابنا نفر يقاسون بهوجو . ولامارتين وفولتير وروسو لهو اليوم الذي يعتبر مبدأ التاريخ الحديث لمصر الجديدة

## ﴿ المجلة المصرية ﴾

### لخليل بك مطران فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٩

كتاب في مائتي صحيفة من القطع الكبير والورق الجيد متقن الطبع جميل الغلاف مصوره بالالوان على شكل لم يسبق في مصر جمع أحاسن المحاسن وغرر الدرر من قريض الغرب ونثره معربة من الفرنسوية بقلم الاديب البارع محمد كامل حجاج افندي الموظف في المحكمة المختلطة وصدر برسم المعرب ورسم آخر لا يقل اتقاناً عنه لحضرة المحامي الشهير بطرس افندي يوسف وهو الصديق الذي آثره المعرب في اهداء الكتاب اليه لما بينهما من الود القديم وما للمهدى اليه من الكلف بآداب الغرب العالية وأعماله وفنونه الجميلة

وتلي الرسمين والاهداء مقدمة موجزة جاء فيها . ثم ذكر المقدمة . . . . .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

كل ما ذكره المعرب في هذه المقدمة تجد مصداقه في خلال كتابه ومن لطيف تنبهه انه ترجم كل شاعر وأديب نقل عنه بعض مختاراته ترجمة ألم فيها بسيرته و بماله من المؤلفات و بما اشتهر عنه من الآثار و بالمنزلة التي أنزلته اياها الشهرة بين الرصفاء

وقد أجاد المعرب اختيار القطع التي قدمها لقراء العربية بين منثور ومنظوم ومما أورده مقتطفات من بعض الروايات التمثيلية الشهيرة كموقف الشرفة في رواية سيرانودو بيرجيراك لادمون روستان وملخصات من أشهر روايات كورني وراسين ابوي الفن التمثيلي الراقي في فرنسا

فالكتاب جدير بأن يقبل عليه المطالعون ولا سيما شبان المدارس لانه يفيدهم كثيراً في ضبط التعريب بارك الله في واضعه النحرير واعانه على اتمام السلسلة الجميلة التي افتتحها بهذا الجزء الاول

## ﴿ المجلة المصرية ﴾

### عدد ١٥ فى ١٨ ابريل سنة ١٩٠٩

### « ان للرمال للينا خائنا كلين النساء »

ننقل لقرائنا هذه القطعة الشائقة من كتاب ( بلاغة الغرب ) ليروا منها اقتدار كاتبها العظيم فيكتور هوجو الذي صور بها حالة قلما يجاريه أديب في العالم بتصوير مثلها وليروا أيضاً كيف أتقن المعرب ترجمتها بحيث جاءت تأخذ بلب مطالعها

وما أجدر محبي الأدب منا أن يقتنوا هذا الكتاب و يتخذوه أنيساً ومدرساً ومربياً ثم ( أورد القطعة )

## ﴿ الدستور ﴾

### ٢٨ مارس سنة ١٩٠٩

هذا هو اسم كتاب وضعه حضرة الفاضل محمد افندي كامل حجاج من موظفي المحكمة المختلطه عرب فيه قطعاً منتخبة من أشهر ما كتب كبار كتاب الفرنساو يين القدماء والحديثين أجاد في اختيارها وأحسن .

يقول الاتراك في امثالهم ان التأليف اذا احتاج للفكر مرة واحدة فان الترجمة محتاجة للفكر مرتين وحسن الاختيار محتاج اليه مرات ثلاث

وعلى ذلك يمكننا ان نقدر ما تجشمه حجاج افندي في وضع تأليفه على بلاغة الغرب وأدبياته فلقد عانى في ذلك ان يفهم أولا أفكار المؤلف ويقف على مراميه وان يترجمها ثانياً الى اللغة العربية الكريمة وان يحسن الاختيار قبل ذلك في كل ما يترجمه .

هذه كانت وظيفة حجاج افندي في مؤلفه النفيس ولقد أداها حق الاداء فخدم اللغة العربية خدمة لا يقدرها الا الواقفون على ما في اللغة الفرنساوية من كنوز الادب وجواهره

ولا عجب في ذلك فان حجاج افندي شاب أديب بمعنى الكلمة . اديب في اخلاقه . اديب في عواطفه . اديب في حياته يعشق الادب بكافة فروعه ويحب الموسيقى ويميل للتصوير ويشتغل بالادب منثوره ومنظومه

فاذا ترجم بلاغة الغرب لاهل الشرق فانما كان مدفوعاً الى ذلك بطبيعته فجاء سلسا لا تكلف فيه ولولا انه رأى من واجب الامانة على المترجم ان يتقيد بألفاظ المؤلف نفسها رغما عما يعترض ذلك من الصعوبة في كثير من المواضيع لما وجدت في كتابه شيئا يعاب عليه من هذه الجهة في مواضيع قليلة

اما طبع الكتاب فعلى ارقى ما يكون شكلا وورقاً ونظاما ويندر ان تجد له مثالا له في كتبنا العربية وكأن المؤلف اراد ان يكون كتابه ادبياً في شكله ومعناه فجاء وافيا بالغرض من الجهتين

وسنوقف قراءنا على قطع من هذا الكتاب

## ﴿الدستور﴾

٩ ابريل سنة ١٩٠٩

هذا هو كتاب جليل ترجمه حضرة الفاضل محمد افندي كامل حجاج عن أشهر كتاب الفرنسويين على ما ذكرناه في أحد اعدادنا الماضية

ووفاء بوعدنا ننقل لقرائنا منه قطعة كتبها فيكتور هوجو وهو اكبر كتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر — ثم نشر قطعة

( ان للرمال للينا خائنا كلين النساء )

## ﴿ مصر الفتاة ﴾

٣ ابريل سنة ١٩٠٩

هو كتاب عربه من الفرنسية حضرة الأديب البارع محمد افندي كامل حجاج الموظف بالمحكمة المختلطة بمصر . ونقل فيه طائفة صالحة من نفثات أدباء الغربيين شعراً ونثراً وألبسها ثوباً قشيباً من ألفاظ اللغة العربية فجاءت تختال في برد نسجته يد البراعة وغزارة المادة من اللغتين وقد جعلت سداه متانة الاسلوب ولحمته حلاوة التركيب . وطرزته بطراز من التوافق والتمازج حتى انه ليخيل الى الناطق بالضاد انه يقرأ هذه المواضيع في محالها من اللغة الافرنسية . ولم يقتصر حضرة المعرب الفاضل على أن ينقل لأديب فرد من أدباء الغربيين . بل كان

كالنحل الذي يمتص من كل زهر ويأتي به لنا شهداً فيه شفاء للنفوس والقلوب فقد جمع في هذا الكتاب الثمين من أدبيات هوجو . ولامارتين . ودوموسيه . وأندريه شينييه . ودوفيني . وكوبيه . وروستان . ودودويه . وجوتييه . وكورنيي وراسين ماهو أطيب وأحسن وألذ وأشهى حتى جاء كتابه في مائتي صفحة من القطع الكبير حاوياً لكل معنى غريب ومبتدع عجيب فنحض عشاق الأدب على اقتنائه ليعرفوا كيف يبتدع اخوانهم أدباء الغرب وليمزجوا آدابهم بآدابهم ليتولد من بينهما أسلوب عصري جديد تألفه الطباع ولا تنبو عنه الاسماع . وجزى الله المعرب خير الجزاء

## ﴿ الجريدة ﴾

**٢٣ مارس سنة ١٩٠٩**

من الكتب المفيدة التي ظهرت حديثاً كتاب « بلاغة الغرب » وفيه أحاسن المحاسن وغرر الدرر من قريض الغرب ونثره عربه عن اللغة الفرنسوية حضرة الاديب المجتهد محمد افندي كامل حجاج بالمحكمة المختلطة قال في مقدمته

« وبعد فهذه نخب اقتطفها من معجز بلاغة الغرب لترى معشر العرب ما أحرزه الغربيون من قصبات السبق في مضمار التحرير والانشاء وما لهم من سلامة الذوق وحسن التعبير في الوصف والاعراب عن الشعور والعواطف بما يحس به الوجدان دون كافة »

أما هذا النخب فمنها « نابليون الثاني » « والغريق » لفكتور هوجو . « والعزلة » « والخريف » لالفونس دي لامارتين . و « ليلة من اكتوبر » و « زهرة » لالفريد دي موسيه . و « جوّاب الآفاق » لفرنسوا كوبيه . وملخص رواية « سيرانو دي بيرجيراك » لادمون روستان

وبينها أيضاً نخب مقتطفة من أقوال غيرهم من كبار شعراء الفرنسويين مثل دوديه وكورني وراسين وغيرهم

والكتاب طليّ العبارة متقن التعريب حسن الطبع جداً ولا نرى في تقريظه خيراً من ايراد مثال منه . وقد اخترنا كلام هوجو عن « الغريق » ثم أورد القطعة

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وربما اقتطفنا غير هذا الفصل في فرصة أخرى تنويهاً بفضل المعرب واجتهاده

الجريدة — ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩

نشرت الدرس الاخير ( لالفونس دوديه )

الجريدة — ٣ ابريل سنة ١٩٠٩

نشرت نابليون الثاني لفكتور هوجو

قد اكتفينا بنشر هذه التقاريظ لما انطوت عليه من نفثات الاقلام البليغة والتحاليل الشائقة لكبار كتابنا

ونشكر لجرائد الاهرام والمقطم والاخبار والبصير وغيرها مما يضيق المقام عن نشر تقاريظهم

# الخطأ والصواب

| صحيفة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٨ | ٥ | نواله | نيله |
| ١١ | ٧ | القظ | القيظ |
| ١١ | ٩ | نخفق | نخفق |
| ١٣ | ١٤ | تكف ف | تكفكف |
| ١٦ | ١٠ | الوبنا | قلوبنا |
| ٣٨ | ١١ | البرية | البرية |
| ٤٢ | ١٩ | واود | وواد |
| ٦٦ | ١٥ | من أمل | من أمد |
| ٧٩ | ١٠ | يصمونا | أن يصمونا |
| ٨٤ | ١٦ | اصاب | اصابه |
| ٨٧ | ٤ | يقذفون | يقفزون |
| ٨٧ | ٦ | وفي هذه كان | وفي هذه الاثناء كان |
| ١٠٥ | ١٩ | اراه | أراها |
| ١٠٧ | ١١ | شفوق | شفيق |
| ١١١ | ١٢ | اعرج | أعرج |
| ١١٤ | ١٨ | بخلة | نخلة |
| ١١٥ | ٤ | ٠قابلة | مقابله |
| ١٢٧ | ١٦ | امنت | دفنيه . |
| ١٣١ | ١٠ | لابد اتغنى | لابد ان أتغنى |
| ١٣١ | ١٢ | الذين | الدين |
| ١٣١ | ١٢ | ستزين دوما | ( مكرره ) |
| ١٤٨ | ١٦ | كل سهولة | بكل سهولة |
| ١٩٦ | ١٨ | لحة الما | المالحة |
| ٢٣١ | ١٣ | فلتطرد | فلنطرد |

# فهرست

# خواطر الخيال

## وإملاء الوجدان

### فهرست

**خواطر الخيال وإملاء الوجدان**



**الادب والنقد**

الادب في القرن التاسع عشر

**الابحاث الفلسفية والبسيكولوجية**



**التمثيل**

## فراش وفيّ

تاقت النفس بعد ظهيرة يوم من الخريف ، رق هواؤه ، وصفت سماؤه ، واعتل نسيمه ، وغرّد طيره ، أن تستملي الخيال ، وتناجي الوجدان ، فضن وجمد ، وانطفأ توقده وخمد ، فاستغثتُ بطيف الشعر وهو أعظم رفيق ، وأوفى صديق ، فناجاني أن لا تطمع مني بنيل مادمت في مكانك فاني أنفر من هذا الهواء المسموم ، واللغط المشؤوم ، وموعدنا الأصيل ، على ضفاف النيل

ذهبتُ الى روض الجزيرة المشرف على النيل ، وتخيرت مكاناً خالياً بجانب نفق جميـل بني بأعواد الاشجار والصخور ، وجللته النباتات المتسلقة ببديع أزهارها ونثرت فوق صخوره نباتات من فصائل مختلفة فكستها ثوباً قشيباً من حسن وبهاء

وجهت وجهي شطر المغرب لأمتع ناظريّ بمرأى الشفق الشائق فانتعشت نفسي من ذاك المنظر الفخم اذ رأيت فوجاً من السحب المربدة فوق الشمس

عند ما أصفرت من ألم الفراق فانعكست أشعتها فوق الغمام فازدان، بفاتن الالوان، فكأنني أرى قوس قزح وقد عظم حتى ملأ الغرب أو يخيل الي أنني واقف في ظلام الليل فوق أكمة من آكام ( نابولي ) أشاهد منها بركان ( فيزوف ) وهو يقذف لهباً تندلع منه ألسن عديدة تلون كل منها بلون خاص وتشكل باشكال مختلفة كون مجموعها شكلاً بهيجاً يعلوه دخان كثيف رمادي اللون كأنه عهن منفوش أو أطار جميل يحف صورة في الاتقان آية ، وفي الجمال نهاية

و بينا أشاهد هذا المنظر الشائق اذ رأيت طيف الشعر محلقاً فوق رأسي ثم أسر الى أنني سأنفحك بنفحات ترضيك فخذ اليراع وصور ما سأسوقه اليك ثم ودعني وانصرف

لمحت بعد هنيهة طفلة جميلة كأنها دمية جاد بها بنان ( فدياس ) تعدو فوق بساط العشب الزمردي وهي تطارد فراشاً جميلاً كأنه استعار برداً من ذاك الشفق، أو كأنه قطع من وريقات ورود مختلفة الألوان خيط بعضها الى بعض أو صفائح الجمان ، رصعت بزبرجد و ياقوت ومرجان ، وما لبث أن حط هذا الفراش فوق صدري كأنه يتوسل اليّ أن أنقذه من صائدته الرشيقة فمسحت الطفلة ولاطفتها قائلاً :

— أتبيعينني هذا الفراش المسكين بصورة جميلة تماثلك ولفافة شهيـة من ( الشكولاته )

— انك تخدعني ريثما يفلت صيدي

ثم منحتها الثمن فتهللت وهرولت الى مربيتها وطفقت تفاخرها بثمن صيدها هدأت روع الفراش وطمأنته وقلت له :

— اني أحبك حباً جماً فلا استطيع مفارقتك فهـل لك ان ترافقني الى داري لتعرف مكانها علك تزورني من آن لآخر وتتخذني صديقاً وفياً

— ذلك ما كنت أبغيه فاني مدين لك بحياتي

ثم رجعت الى داري وصديقي محلق في العلا متتبع خطواتي الى أن وافيناها فقلت :

— أهلاً بمثال الرشاقة واللطف ، أهلاً بآية الجمال والظرف ، مرحباً بصاحب البرد المزركش ، والطيلسان المرقش ، دونك أزهاراً نضرة من ورود ونرجس وسوسن واقحوان ، فاقتعد منها ما تشاء وارتشف ما تشتهي من رحيقها ثم افتح لي صدرك وخبرني عن سرائك وضرائك

— اننا معشر الفراش خلق فتن بالازهار والرياض لا نأكل الا رحيقها ولا نشرب غير نداها نأنس بها وتأنس بنا ونحبها وتحبنا وحينما يرانا الانسان متعانقين يتملكه الحسد وينقض علينا ويسمر جناحينا بابره ثم يحقننا بسموم تكون لنا قاتلة ومحنطة ويحفظنا في رموس من الزجاج ويتخذ من رفاتنا زينة ، ومن عفننا ذخيرة ، اننا نحسن للانسان وهو لا يدري . ونعمل له الخير دون أن نعلمه اذ لا نريد جزاء ولا شكوراً نحن الذين يدعون له كل يوم من مختلف الثمار ما يلذ له ، ومن شائق الازهار مايفتنه،نحن وحدنا الذين تفتح لهم عاشقاتهم الازهار ثغورها لنلقحها من أبناء جنسها فنحدث لهم ألواناً شتى تسر الناظرين ، فيا له من قاس ظالم نعامله بالاحسان،و يكافئنا بالعدوان

— هون عليك ايها الصديق البار فقد جبل الانسان على الظلم والعدوان وان أردت ان تتقي شروره فاعتزله واهرع الى الغابات العذراء واتخذها لك وحدك جنة تنعم بسكونها وترتشف ثغور زهرها ونوارها وتنتعش بنسيم صباها وشميم شذاها ، وحبذا لو تفضلت وزرتني من فترة لأخرى حتى أنعش النفس بحديثك الحلو وأمتع الطرف بجمالك المتجدد وتيقن انك تجد عندي في كل الأوقات من بديع الزهر ما تشتهي ان تقتات منه وتنعم به

ليتني أوتيت حريتك وهناءتك ! ليتني وهبت جمالك ورشاقتك ، فأتنقل من الزهرات الى الثمرات ، ومن العيون الجاريات ، الى شائق الجنات ، ومن

الندى البليل ، الى النسيم العليل ، تتخذ من ثغور الازهار مضجعاً ومن وريقاتها المزرية ببديع الديباج غطاء ، ومن أوراق الافنان عرشاً وسماء

— سنلتقي قريباً فلا تخش فراقاً طويلا أيها الصديق الوفي ، والمحسن السخي

— على الطائر الميمون : تشيعك المهج والعيون : سلام يا ملك الجنات ! سلام يا مبدع الثمرات والزهرات ! سلام يا رب الرشاقة والجمال ، سلام يا حلو الشمائل والخلال !

## مقدمة الموسيقى والفلسفة

نشأت وشبت معي عاطفة تجذبني نحو الكمال والجمال وما فتئت هذه النفحة العلوية والجذوة الربانية تتوقد في فؤادي ويثور ثائرها كما تجلى لها الكمال والجمال بأبهى مظاهرهما ومعانيهما في أي كائن كان من صنع الخالق أو من مبتدعات فنون الانسان

أنارت هذه الشعلة بصيرتي وباصرتي فأصبحت العين تنفذ في أعماق ما يفتنها فترى فيه جمالاً ربما كان خفياً لا يدرك معناه كل من رآه كما انها لا تعزب عنها عيوب استترت تحت جمال كاذب يغر كثيراً من الجهلاء السذج

شغفت بالموسيقى وحلت من فؤادي المحل الأرفع فأصبحت لي في الداء شفاء وفي الحزن سلواناً وفي البؤس سعادة ترتاح اليها نفسي وينعم بها روحي

رويدك أيها القارىء فلا تتهمني بالشطط والمغالاة فانك لا تلبث أن تسلم بما قلت حينما أرفع لك الأستار وأكشف الحجب عن محاسن تفتن القلوب وجمال يسلب النهى وقدرة عظيمة وأسرار مدهشة حجبها جهل فظيع ذهبت غشاوته بالأبصار وانتقلت أعراضه الى الآذان فأصمتها والى القلوب فأعمتها وأصبح الفن عندنا كالحسناء فتك بها الداء الدفين والفقر المدقع فظلت هائمة على

وجهها متسربلة بأطمار بالية سترت مابقي فيها من آثار الجمال فنفر منها مريدوها وهجرها محبوها

اختلجت منذ سنين في صدري فكرة اظهار آيات جمال الموسيقى الخفية وأسرارها العلوية فوجدتني عيا لا أستطيع ان أجهر بوجدان أشعر به غير كاف للتعبير. فهو وان كان جله صادقاً فانه يعوزه الدليل القاطع والحجج الدامغة

أردت ان أستعين بالمؤلفات الافرنجية فنقبت طويلاً فلم أعثر عن ضالتي المنشودة لان هذا البحث لم يطرق الا حديثاً فصبرت ردحاً من الزمن الى أن وفقني الله للعثور على بعض المؤلفات الجليلة التي تبحث في الموسيقى والفلسفة وكلها لأفاضل المعاصرين فعمدت الى دراستها جميعها لانماء هذا الشعور وتهذيبه وسأوافي القراء بصفوة ما أحرزته بعد تبويبها حسبما يلائم مشربنا متوخياً أسلوباً جلياً واضحاً تفهمه العامة قبل الخاصة لعلي بذلك اكون قد أديت بعضاً مما يفرضه عليّ الواجب الاجتماعي

ليس المقام مقام بحث في الفلسفة وتعريفها وتقسيمها ولا مقاماً يتناول الموسيقى من الوجهة الفنية والعملية بل مداره اظهار فضل الموسيقى واسرارها وعلاقاتها بالفلسفة والشعر وتأثيرها في الحيوان

الموسيقى قوة عظيمة فتانة ساحرة بل هي فن يعبر به الانسان عن وجدانه وشعوره بأنغام أفصح من النطق وأبلغ من البيان وأقرب منهما تناولاً للاذهان. الفكرة الموسيقية مظهر لألهام عام عميق غامض ولكنه مفهوم لدى العالم الانساني. الموسيقى هي لغة النفس التي تنعم بصفائها وسعادتها ومقرها أرقى من الحياة الحقيقية. وقد قال (لوتير): انني أضع بعد الالهيات مباشرة الموسيقى وأمنحها الشرف الثاني». وزاد عليه (بيتهوفن) نابغة الموسيقيين اذ قال: «الموسيقى وحي أعظم وأرفع من جميع الاخلاق والفلسفة ان هي الا رحيق ينعشنا ويؤهلنا لجديد الابتداع. بل هي الحياة الخيالية منضمة الى الحياة المادية وهي الموصل

الوحيد الى العالم الاعلى عالم المعرفة الذي يشعر به الانسان ولا يستطيع ولوجه وبها ندرك العلم الكامل الالهي »

الموسيقى هي التي تترجم وتنشىء الحالات النفسانية العميقة بل هي ألطف ما انبعث من العقول . الموسيقى قوة رقيقة لطيفة للحياة الادبيـة . ان هي الا شعور وفكر في آن واحد . الموسيقى هي لغة الحب للافئدة بل حليـة الخيال وزينة التصور

الموسيقى لغة غزيرة المعاني خفية الاسرار توقظ التقوى وتخاطب الشعور مباشرة بغير واسطة . وقال ( فاجنر ) الموسيقي الطائر الصيت : « القلب هو الصوت وما الموسيقى الا لغته الفنية بل الهوى الذي يفيض ويسيل من الافئدة

وقد أظهر الموسيقي الفرنسي الشهير ( بيرليوز ) قدرة الموسيقى على التعبير عن الاحوال النفسانية ومعظم الجزء الخاص بالانتقاد في كتابه يدور على صدق التعبير في الموسيقى فتراه بمهارته المعروفة قد ازدرى وسخر من توقيع الآلات الموسيقية في الازمان الغابرة حيث وجد جانباً منها تكملة للعدد تسد فراغاً لا معنى له أو تضاعف صوتاً تحدثه آلة أخرى فقـال « ان هذه الموسيقى لا تصلح الا لترقيص القردة في الاسواق واسناد الحواة والبهالين و بالعي السيوف والثعابين في أقذر الطرق

الموسيقى هي الفن المتداول الذي يستقي مادته من الحياة الاجتماعية كالنبات يمتص غذاءه من المكان الذي تخترقه جذوره . لا التصوير ولا الحفر متداولان كما ان فن زخرفة البناء في غاية التعقيد ومفعم بالمعلومات الفنية والأثرية وخاضع للاشتغال بالزخرفة أو ضروريات أعمال خاصة ليصبح عملا وقتياً جامعاً لعدة اشياء فهذا الامتياز اذن خاص بالموسيقى وأخيها الشعر

الموسيقى لها معنيان مختلفان متحدان في شكل واحد كالروح والجسد احدهما في غاية من السهـولة والوضوح والثاني يفر من الباحث فيه فهو في الوقت نفسه

تقليد لحياة الحب أو الاشياء الظاهرة ولغة ذات فكرة خاصة بها تهيمن على جميع الاشياء فهي تشمل في هذا التعبير المزدوج العبارة الشعرية التي تعززها بالحقائق الوافرة وتكمل الفكر البليغة بنقلها الى مستوى ارقى خيالا . وهذا ما يدل على وجود التفاوت التام بين الموسيقى والشعر . . ليس الفرق بين الشاعر والموسيقار قاصراً على انهما لا يتكلمان بلغة واحدة ولا يخضعان لقانون واحد بل لانهما لا يفكران بمقدرة واحدة . وهذا التضاد هو الذي يدفع الواحد نحو الآخر ليتمما بعضهما ببعض . وحينما يجتمعان يعضدان اللغة الاصلية ويمنحان اصولها منتهى القدرة فيتغلبان على عواطفنا السامية ويتمكنان من ان يبثا فينا اقوى واشرف عواطف التكافل الاجتماعي

لا توجد امة متمدينة أو وحشية الا والموسيقى منتشرة بينها . واذا تصفحنا التاريخ وجدناها في العصور الخالية . وأقدم دليل هو صورة محفورة على الاحجار تمثل شخصاً يوقع على آلة موسيقية تسمى (هارب) وجدت في بلاد الكلدانيين وعثر عليها المسيو (سرزيك) في قصر (تلو) على الشاطيء الايسر من قناة تربط الدجلة بالفرات . وقد قدر تاريخها أفاضل العلماء مثل (بوتييه) بثلاثين قرناً قبل الميلاد . ولا مشاحة في أن الموسيقى أقدم من الشعر وهي التي نفحته بقوانينه الخاضع لها

ترتبط الموسيقى بأجمل العلوم و يدني طرق ابوابها من جهات مختلفة وفضلها لا يلبث أن يظهر من جميع الوجوه اذ تتعلق بالطبيعي والفسيولوجي فان كانا مزدودين بطرق التحاليل والبحث العالية حددا نواميسها و كشفا لنا فيها عالماً مفعما بالعجائب.وترتبط بالفيلسوف الذي يستطيع ان يبين لنا انها تسعد النفوس بشريف العواطف وجليل الفكر .وتتعلق بالمؤرخ الذي يظهر لنا تقدمها وماصادفها من التقلبات وعلاقاتها بالتاريخ العام للاخلاق والعادات ودورها في حركات

المـدنية . وترتبط بعلماء الجمال فتنفحهم مقراً رفيعاً غريباً يدرسون فيه آيات جمالها وأشكالها

الموسيقى الشاملة لجميع ما سردناه من المزايا تحدث في النفوس جرحاً من الملذات وتترك فيه مثل رؤوس الابر فلا تنسى هذه الآلام اللذيذة الحلوة

أجد من العبث ان أسرد عيوب الموسيقى الشرقية وما وصلت اليه من الانحطاط كما انه لا فائدة من وصف العلاج الناجع اذ قد بينا ان الموسيقى فن متداول من لوازم الهيئة الاجتماعية وانها ترجمان الاخلاق والعادات فهي مرتبطة بدرجة مدنية الامة وتسير معها خطوة بخطوة اما الى الامام واما الى الوراء . فان حاولنا ان نرقيها وحـدها فمثلنا كمثل طبيب جاهل يريد ان يعالج مريضاً فسد دمه وانتشرت على جسده الثآليل باقتصاره على الدهان فجهل العلة وأراد ان يداوي العرض وهيهات ان يبرأ عليله وتتحقق أمانيه . هذا والله أسأل ان ينهض بالشرق الى اعلى الدرجات حتى يبلغ من المجد والـكمال غاية الغايات

## الاسد

من أعظم الضواري المعزوة الى فصيلة الهر وأشـدها بأساً الاسد « ملك الحيوان » قامة عظيمة ونظر متوقـد ومظهر نبيل واختيال في المشية واعضاء في غاية التناسب ولبـد يحيط برأسه ورقبته احاطة الاطار الجميل بالصورة المتقنة يسترسل على كتفيه كطيالسة الملوك وزئير يقصف كالرعـد ويدوي لأبعد فج فيرتعد منه العالم الحيواني

تجمعت في الضيغم هـذه الصفات لتؤهله لان يكون المسيطر الفرد . كله اعصاب وعضـلات اكسبته قوة لا تثبت امامها اعظم القوى وجرأة لا تهاب الاخطار والمهالك عند الهجوم . وقصارى القول انه اقوى واشرف جميع السباع

لا حاجة لنا بوصفه اذ ما من احد الا رآه في حدائق الحيوانات ومسارح

الوحوش غير اننا نلاحظ انه اعظم حيوان يمثل القسم غير المخطط من الفصيلة ويمتاز بلون ثوبه المتحد ولبده المتكاثف الذي لا يشاهد في اللبؤة وخصلة الشعر السوداء التي تزين نهاية ذنبه . وهو يفوق جميع أنواع الفصيلة قامة وجمالاً

مواطنه المنطقة الحارة وكان في العصور الخالية موجوداً في جنوبي اوربا كما روى (هيرودوت) حيث كانت هذه الضواري القديرة تهبط من جبال مقدونيه لتفترس مطايا (خشاير شاه) ثم صارت نادرة في مقدونيه في عصر اسكندر الاكبر الى ان انقرضت من اوروبا في عهد الرومان . وكانت الاسود كثيرة الانتشار بآسيا ولكنها اصبحت الآن لا توجد الا في جزيرة ما بين النهرين والشواطيء الشمالية لخليج العجم والشمال الغربي للهند

يمتاز الاسد الأسيوي عن الافريقي بقامته الربعة وغزارة خصلة شعر الذنب واصبحت افريقية الآن وطن الاسد الحقيقي وهناك يشاهد بجميع مظاهر جماله وعظمته وهو شائع في هذه القارة الا بعض مواضع قليلة انقرض منها . وقد لوحظ انه يختلف لوناً وقامة حسب المواطن ولكن جميع انواعه في الطباع سواء

يسود الفزع والجنون بين الحيوانات حينما يرج الهواء من زئيره اذ كل منها يعرف هذا الخصم المزعج القاهر الذي لا يستطيع اشدها بطشاً ان يثبت امامه . ولا يؤمن شره بسور ارتفاعه ثلاثة امتار لانه يجتازه بكل سهولة وهو مقل فريسته ويجتاز ما يبلغ اربعة امتار ان كان لا يحمل شيئاً ولكنه لا يستطيع ان يتسلق الاشجار كالنمر

يقتات عادة بالحيوانات المجترة ولا يأكل الا الحي منها فلا يرجع الى ما بقي منه بالامس الا اضطراراً ويستطيع ان يصبر على الطعام يومين او ثلاثة عقب اكلة تملأ بطنه . وفصيلة (الانتيلوب) (نوع من الغزلان) لا ترى عدواً لها الد منه . اذ يختبيء في مقصبة ليغتال القطعان التي ترد الغدران او البحيرات وقت ظهور الشفق . ساد السكون في هاته الاماكن وسكنت الريح فلم تحرك قمم اشجار

الجميز ولبث جريد النخل دون حراك فلم يشب هذا السكون والدعة اي جلبة لا قريبة ولا قصية . فتأتي هذه الانعام الجميلة اولاد الصحراء ماشية بتؤدة وتبصر وتيقظ منتصبة آذانها شديدة الأصغاء مشرئبة اعناقها مسرحة انظارها الحادة في كثيف المقصبة خلا المكان من كل ما يرهب جانبه او يسمع له همس اولمس بين الخمائل فاطمأنت النعم وامالت رؤوسها متهافتة الى ماء منعش كانت تتلهف عليه وقتاً طويلاً وعلى حين غفلة يثب هذا القسورة القهار بطفرة هائلة ويخرج من مكمنه وينقض كالصاعقة على زعيم القطيع فيرزح المسكين تحته حتى يكاد يسوي به الارض بينا تهرب رفاقه مستنفرة باسرع من الفكر لتختفي في اعماق البيداء

وقد مجد اشهر الشعراء سلطان الحيوان في جميع العصور والازمان ومهما تغالوا في وصفه او في جميع التواريخ التي وضعت له فأنها لا تقل عن ان تكون حقيقة وتكاد توفية حقه من الوصف ومهما نفح الكتاب بمدهشات البيان واسعد المصورون بعجائب بنات البنان فانهم لا يستطيعون ان يمثلوه تمام التمثيل. وليست خيلاء الرئبال او شجاعته النبيلة اللتان اذاعتها بخطأ وركاكة الاساطير القديمة هما اللتان اكسبتاه وقاره المهيب وعظمته الهادئة بل مخائله التي تشف عن ثقته بقوته التي لا تغلب واعتماده على نفسه واعتياده على الظفر والنصر

ولو ان طباع النفاق عند الاسد لا تزيد عن طباع غيره من انواع فصيلته فان خصال هذه العامة توجد فيه . اذ يزحف على بطنه بخبث الى ان يتمكن من خصمه الذي يتوسم فيه الضر والاذى ويقيس بتبصر طول الوثبة فلا تفلت منه غنيمته ومن ذلك يعلم انه لا تمتاز طباعه عن غيره من انواع فصيلته

انه لا يقتل لمجرد التهويل بل لرد غائلة السغب ويندر ان يثب على فريسته مرة ثانية ان اخطأها في الاولى وان شبع مر مر الكرام امام الأنعام السائمة دون ان يلتفت اليها واضطجع في عرينه ونام. والغضنفر ان فوجيء وهو نائم يكون

كالميت ويغتنم مواطنوه هذه الفرصة ويباغتونه في حالة ضعفه ويقتلونه باسلحتهم النارية او سهامهم المسمومة

تنتشب بين الذكور معارك يشيب من هولها الولدان حينما يتزاحم اثنان على انثى فتية لم تأتلف بعد مع اسد . وقد روى احد اعراب البادية لصائد من اهل الجزائر واقعة من هذا القبيل حضرها مكرها . كان كامناً في ليلة مقمرة يترصد الأيل وليكون آمناً مطمئناً تسلق شجرة بلوط في مكان خال من النبت والشجر وسط الغاب في مقربة من الدرب . وفي منتصف الليل لمح لبؤة مقبلة يتبعها اسد فتى تكامل لبده فتركت الانثى الدرب واضطجعت تحت شجرة البلوط ولبث وحده الاسد بجانب الطريق مصغياً . وما هي الا هنيهة حتى دوى على بعد في الآفاق زئير فاجابته اللبؤة واشترك معها الذكر الذي اصطحبها فزمجر صوته كالرعد القاصف فهلع فؤاد صائدنا المتربص فوق الشجرة وسقطت بندقته من يده وكاد يهوى معها لولا أن تدارك وامسك بالاغصان . وكان زئير الاسد القصي يقترب شيئاً فشيئاً وكلما زاد قابلته بالمثل اللبؤة الجاثمة بينما رفيقها يجري روحة وجيئة من الحنق كأنه يريد ان يقول له : « فليقبل ليرى كيف التقيه » وبعد ساعة أتى أسد اسود قامت لملاقاته اللبؤة فمنعها رفيقها وطردها ثم انقض على خصمه الذي كان ينتظره بفروغ صبر وطفقا يتصادمان ويقعان ملتحمين وطال بينهما النزال وكان مزعجاً للصائد المشاهد رغماً عنه بينما العظام تهشم تحت الفكاك القوية والبراثن تمزق جسميهما والزئير يكون تارة مختنقاً وأخرى قاصفاً معبراً عن كاب الوحشين وآلامهما . وكانت اللبؤة عند ابتداء المعركة تنظر اليهما وهي جاثمة على بطنها فلما حمي وطيس القتال أخذها الزهو والاعجاب اذ رأت خصمين جبارين يقتتلان لاجلها وأنشأت تترجم عما خالجها بتحريك ذنبها . ولما انتهت الوغى وخر الاثنان صريعين هرولت الى الجثتين تشمهما ثم ذهبت لشأنها معجبة بنفسها دون ان تلوي على شيء

وللاسد خصلة حميدة وهي انه لا يهجر أبداً اليفته التي اختارها ويظهر لها كثيراً من الميل والاعتناء وله عناية عظيمة بجرائه ولو انه صعب المراس شديد الجانب لا يوجد مع صغاره الا بتكلف اذ يعروه السأم ويتنغص من لعبها معه

وحينما يريد أهل البدو من المغاربة صيد الأشبال يترقبون الزمن الذي تنقطع فيه عن ملازمة الأم وذلك يكون بعد ابتداء ظهور اسنانها بثلاثة شهور. فيرصدون العرين من اكمة بعيدة أو شجرة مشرفة عليه وربما تحينوا الفرص أياماً كاملة. وحينما يرون ان اللبؤة بارحت اشبالها وان الاسد غائب ينزلون من مكامنهم بكل تبصر ويقظة ويلفون الاشبال ببرانسهم لئلا تتمكن من الزئير ويناولونها الى الفرسان الذين ينتظرونهم في أطراف الغاب المجاور ثم يرخون أعنة جيادهم فتسبق الريح. وهذه الجرأة لا تخلو من المخاطر

لا يتم نمو الاسد الا في سنته الثامنة فيبلغ أشده ويكمل لبده. ولم يحقق بعد بالضبط نهاية عمره ولكن علماء الحيوان يقدرونها من ٣٠ الى ٣٥ عاماً. ويشاهد في الجزائر ثلاثة أنواع من الآساد. الاسود والمائل للون صدأ الحديد والاسمر. والاسود اندرها واصغر قليلاً في القامة ولكنه ربعة واعرض من الآخرين ولونه اسمر داكن الى الكتفين ثم يبتدىء لبده الاسود الفاحم الذي يكسبه شكلا مريعا ويبلغ عرض جبهته ذراعاً وطوله من ارنبة أنفه متران وثلث ويزن جسمه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رطل. والمغاربة تهاب هذا النوع اكثر من غيره لانه لا يتنقل ولا يجول كالنوعين الآخرين بل يبحث له عن مكان لائق امين يعيش فيه رخي البال نحو ثلاثين سنة فلا يجازف بنفسه في السهول الا نادراً ولا يهجم على الدور كغيره بل يتربص ليلاً بالثيران النازلة من الجبل وينحر منها اربعة أو خمسة ليرتشف دماءها

وفي الصيف لا يبارح مأواه الا عند الغروب ثم يقف بالمرصاد على قارعة طريق آتية من الجبل ينتظر المشاة والركبان المتأخرين وهم مقبلون وحدانا. وقد

باغت سبع اسود فارساً من اهل البدو وحينما هجم عليه فكر ان يترك له جواده فلربما لها به فتحقق امله ونجا وهذا امر نادر جداً لان المسافر المنفرد لا يتمكن من الفرار او النجاة ان فاجأه ليلا وهو منقطع عن الركب. ولو ان النوعين الآخرين اعظم جسماً لـكنهما اقل قوة من الاسود وطباعها ومعيشتها واحدة الا ما استثنياه

لا يغدو الاسد عادة من مربضه الا بعد الغروب ويروح اليه قبل الشروق فلا يفارقه سحابة النهار الا نادراً طلباً للماء او هرباً من البعوض او القيظ لانه يقضي النهار في عرينه نائماً مستريحاً في الغابات ليهضم مطمئناً في الدعة والسكون ويتغلب عليه حينئذ الـكسل والخدر فلا يلتفت الى الانسان وقتئذ ان صادفه ولـكنه يكون بالعكس ليلاً ويشاهد بجميع مظاهر قوته وافتراسه ورغبته في الهجوم . فان صادفه مدلج منفرد هلك واعيته الحيل

وحينما يوجد الاسد مع اليفته تزأر هي اولاً عند مبارحتها العرين ويشمل الزئير اثنى عشر صوتاً تقريباً مختلفة تبتديء بنوع خافت اشبه بالتنهد ثم يزيد شيأ فشيأ حتى ينتهي كما ابتدأ وبين الصوت والآخر بضع ثوان ويجاوبها الاسد بالتبادل . وان ارادا الهجوم على دار لافتراس انعامها يزأران من ربع ساعة لآخر حتى يصلا اليه وحينما يشبعان يستمران في الزئير لغاية الصباح . ووقتما يكون الاسد منفرداً يزأر عندما يستعد للخروج ويأتي في الغالب صامتاً الى المنازل

والآساد تفتك فتكاً ذريعاً في جميع الاقطار التي تسكنها فلا تدع الانسان ولا الحيوان وتعد ضحاياها بالمئات ، وكم من قرية اعيتها الحيل فهاجر اهلوها وتركوها قاعاً صفصفاً تزأر فيها الضياغم . وقد تعطلت سكة (اوغاندا) الحديدية بسبب افتراس الاسد للعملة الهنود وتركوا اشغالهم حينما رأوا انه ما من ليلة الا يذهب عـدد منهم طعاماً للسباع . وقد تمكن اخيراً احد مهندسيهم المسمى (باتيرسون) من صيد اسدين بعد ما بلغت ضحاياهما ثمانية وعشرين من الهنود وعددا عظيما مجهولاً من الزنوج

( للموضوع بقيه )